

جامعة الخرطوم

مطبوعات دار التأليف والترجمة والنشر

الكتب العربية التي صدرت

المؤلف

- الاستاذ معاوية محمد نور
الاستاذ معاوية محمد نور
د . محمد ابراهيم أبو سليم
د . علي أحمد سليمان
د . سميد محمد أحمد المهدي
د . عثمان حسن سميد
د . عبد الرحمن الطيب علي مله
الاستاذ موسى المبارك
الاستاذ مصطفى سند
الاستاذ جمال محمد أحمد
الاستاذ هل الملك
لجنة الدراسات الاقتصادية
بنك السودان
د . عون الشريف قاسم
د . ابراهيم المردولو
د . يوسف بشارة
د . يوسف فقل حسن
الاستاذ ابراهيم اسحق
الاستاذ محبوب محمد صالح
الاستاذان : صلاح أحمد ابراهيم وعل الملك
د . محمد ابراهيم الشوش
الاستاذ قاسم عثمان نور
د . متوكل أحمد أمين
د . سميد محمد أحمد المهدي
الاستاذ محمد محمد علي
د . عبد المجيد عابدين
د . محمد سليمان شاهين

الكتاب

- ١٠ دراسات في الأدب والنقد
٢٠ قصص وخواطر الجزء الثاني
٣٠ الحركة الفكرية في المهديّة
٤٠ الفرائب في السودان
٥٠ معجم المصطلحات القانونية
٦٠ اجراءات تحرير الاقتصاد السوداني
٧٠ تاريخ دارفور السياسي
٨٠ البحر القديم « شعر »
٩٠ سالي فو حمر « قصص »
١٠٠ نماذج من الأدب الزنجي
١١٠ تأسم المصارف في السودان
١٢٠ دبلوماسية محمد
١٣٠ الصهيونية وعداء السامية
١٤٠ كوبا الجزيرة التي أحببت
١٥٠ طبقات ود ضيف الله « تحقيق »
١٦٠ أعمال الليل والبلدة
١٧٠ الصحافة السودانية في نصف قرن
١٨٠ الأرض الآثمة « مترجمة »
١٩٠ الشعر الحديث في السودان
٢٠٠ مصادر الدراسات السودانية
٢١٠ يمانخي « مترجمة »
٢٢٠ الجريمة والمقويات
٢٣٠ ظلال شارده
٢٤٠ دراسات سودانية
٢٥٠ خواطر طيب

٢٦٦ ، ٢٧ « الفكر الإسلامى والفلسفات د . عبد القادر محمود

المعارضة (جزآن)

٢٨ ، ٣١ « أفق وثيق « ٤ أجزاء »

« تحقيق »

٣٢ « نحو النقد

٣٣ « القصة الحديثة فى السودان

الاستاذ مختار عجوبة

٣٤ « نماذج من القصة القصيرة فى السودان الاستاذ مختار عجوبة

الاستاذ الامين محمد احمد كمورة

٣٥ « مبادئ الكونيات

النور عثمان ابكر

٣٦ « صحو الكلمات المنسية

الاستاذ جمال عبد الملك ابن خلدون

٣٧ « مسائل فى الابداع .

دكتور حافظ الشاذلى

٣٨ « اطفالتنا غذاؤهم وصحتهم

ميمونة ميرغنى حمزه

٣٩ « حصار وسقوط الخرطوم

دكتور محمد ابراهيم الشوشى

٤٠ « أدب وادباء .

ترجمة الاستاذ على النصرى حمزه

٤١ « التربية من اجل الاعتماد على النفس

د . السمانى عبد الله يعقوب د . عزيز حنا داود

٤٢ « اتجاهات وميول الطلاب

دكتور حسن احمد ابراهيم

٤٣ « محمد على فى السودان

دكتور ابراهيم الحارذلو

٤٤ « غربه الروح

الفائرون فى مسابقة المجلس القومى للآداب

٤٥ « تصدع وقصص اخرى .

والقنون

٤٦ « فداء المسافة « شعر »

تيراب الشريف

٤٧ « العودة الى ستر .

محمد عبد الحى

٤٨ « الرحيل فى الليل

الاستاذ عبد الرحيم بو ذكرى

٤٩ « فى المسرحية الأفريقية

الاستاذ جمال محمد أحمد

٥٠ « الشرافة والمهجرة

محمد المهدي مجنوب

٥١ « المهدي والغيشة

محمد سعيد القدال

٥٢ « القصيدة المادحة

عبد الله انطيط

٥٣ « حوار مع الضفوة

دكتور منصور خالد

٥٤ « مدينة من تراب

الاستاذ على الملك

٥٥ « رسائل عثمان دقته

محمد ابراهيم ابو سليم

٥٦ « دراسات فى علم الانثروبولوجيا

د . عبد الغفار محمد احمد

٥٧ « مع ابي الطيب (طبعه ثانياه)

البروقسير عبدالله الطيب

٥٨ « شعراء الوطنية

صلاح الدين المليك

دوريات عربية -

مجلة كلية الآداب

كتب تصدر قريبا :

الاستاذ جمال محمد أحمد

١ « الدين فى الاطار الانثروبولوجيا

الاستاذ عبد الله صالح حامد .

٢ « مقدمة فى الرياضيات

منصة

٥٧

١٦ - جبارة الحاج عبد الرحمن ضد عطا منه بله

رقم ٢٤٠ / ١٧ ، ١٩٧٣ / ١ / ١٩٧٤

٦٥

١٧ - جمه أحمد عطيه ضد محمد أحمد صديق

رقم ٨٧ / ٢١٠ ، ١٩٧٢ / ١ / ١٩٧٣

(ح)

١٢٦ ، ٢٤

١٨ - حياتي عماش وآخرين ضد عثمان أحمد المصطفى

رقم ١٦٢ / ١٣ ، ١٩٧٣ / ٣ / ١٩٧٣

(خ)

١٢٧

١٩ - خديجة عمر ضد (ورثة المرحوم) عبد الله الماحي

رقم ٢٠٥ / ١١ ، ١٩٧٢ / ٣ / ١٩٧٣

(د)

٢٠ - دار الصحافة للطباعة والنشر ضد حموده العركي

١٢٧ ، ٧٤ ، ٤٥

عثمان

رقم ٧٧ / ١٠ ، ١٩٧٤ / ٦ / ١٩٧٣

٣٨

٢١ - دنيق مادوس ضد شركة الخرطوم لصناعة الطلح

رقم ١٣١ / ٨ ، ١٩٧٢ / ٤ / ١٩٧٣

(ز)

١٠٢ ، ٦٦

٢٢ - (ورثة) زينب عكاشة ضد أحمد ابراهيم حسن

رقم ١١٠ / ٢٩ ، ١٩٧٢ / ١١ / ١٩٧٢

الصفحة

(ش)

- ٢٣ - شاكر اندراوس ضد محمد أحمد عبد القادر
رقم ٨٠٠ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ٣ / ١٩٧٤
- ٢٤ - شركة اتحاد المهندسين ضد عمر محمد علي
رقم ١١٨ / ١٩٧٢ ، ١٤ / ٢ / ١٩٧٣

(ص)

- ٢٥ - صبحي عبد المسيح ضد شركة الخطوط الشرقية
رقم ٨٤ / ١٩٧٣ ، ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٣
- ٢٦ - صديق عمر بقادى ضد محمود عمر بقادى
رقم ٢٣٧ / ١٩٧٣ ، ٣١ / ٥ / ١٩٧٣

(ع)

- ٢٧ - عائشة عبد الرحمن ضد عبد الله مالك عبد الرحمن
رقم ١٧١ / ١٩٧٣ ، ٢١ / ٤ / ١٩٧٣
- ٢٨ - (ورثة) عبد الرحمن محمد عشا ضد علي عبد الرحمن عشا
رقم ٢٨ / ١٩٧٤ ، ١٩ / ٣ / ١٩٧٤
- ٢٩ - عبد العزيز محمد ابراهيم رشوان ضد أحمد
محمد البربر وشركة التأمينات العامة
رقم ٤٤٧ / ١٩٧٤ ، ١٨ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

٥٦ . . . ٣٠ - عبد الكريم على ضد مصطفى أحمد

رقم ١٦٠ / ٢ / ٧ / ١٩٧٣

٩٢، ٨٦، ٥٨، ٤٩ . . . ٣١ - عبد الله الطيب ضد محمد الباشا

رقم ٧٤ / ١٤ / ١١ / ١٩٧٢

٦٤ . . . ٣٢ - عدلان طه عدلان ضد تاج الدين محمد عبد الرازق

رقم ٢٨ / ١٥ / ٣ / ١٩٧٣

١٠١ . . . ٣٣ - على أكل قونج ضد أصايا كون

رقم ٣٠٢ / ٣ / ١٣ / ١٩٧٣

١٢٦، ٥٢ . . . ٣٤ - عمر ملال ضد عبد المطلب الشايب

رقم ٤٥٤ / ٦ / ٨ / ١٩٧٣

(م)

١٠١، ٥٣ . . . ٣٥ - محبوب على الأمين ضد (ورثة) أ. لولاص

رقم ٤٦١ / ٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٦٨، ٦٠ . . . ٣٦ - محمد أبو العزائم مدني ضد مدني أبو الحسن محمد

رقم ٢٩٥ / ٣١ / ١٢ / ١٩٧٣

٣٧ - محمد اسماعيل على ضد الشركة السودانية

٨٠ . . . لما وراء البحار

رقم ٥٠٦ / ١٦ / ٩ / ١٩٧٣

الصفحة

- ٣٨ - محمد البلولة ابراهيم ضد مرحوم بابكر
رقم ٤ / ١٩٧٢ ، ٣٠ / ٩ / ١٩٧٢
١٠٠ ، ٥٠ ، ٩٠
- ٣٩ - محمد الحسن عبد الرحمن وآخرين ضد ورثة
الطيب مجذوب
رقم ٦٠٢ / ١٩٧٢ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤
١٠١ ، ١٢٥
- ٤٠ - محمد جبر الله الأحيمر ضد السيد عيسى الفكي
رقم ٦٧٥ / ١٩٧٣ ، ١١ / ١٢ / ١٩٧٣
١٠٢
- ٤١ - محمد زين عبد الرحمن ضد بابكر صالح
رقم ٣٥٦ / ١٩٧٣ ، ١٧ / ١٠ / ١٩٧٣
١٢٥
- ٤٢ - محمد علي أبو كوع وآخرين ضد (ورثة) محمد
عبد القادر أبو ريبة
رقم ٩٥ / ١٩٧٢ ، ١٢ / ٣ / ١٩٧٣
٣٢ ، ٥٢
- ٤٣ - محمد محمود عبيد ضد عواطف محمود حسن
رقم ١٠٣ / ١٩٧٤ ، ٩ / ٦ / ١٩٧٤
١٠٠ ، ١٠١
- ٤٤ - محمد نبيل فمى ضد دانيال شحاته
رقم ٦٧ / ١٩٧٢ ، ٢٢ / ١١ / ١٩٧٢
٥٨ ، ٨٤
- ٤٥ - محمد بن بابكر محمد ضد (ورثة) عدلان سعيد
رقم ١٣٢ / ١٩٧٢ ، ١٨ / ٣ / ١٩٧٣
٧٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢

الصفحة

٤٦ - مذثر القراى ضد يحيى ابراهيم الحسين ١٠٩
رقم ٤٩٥ / ١٩٧٣ ، ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣

٤٧ - مؤسسة كريكاب ضد اخوان كيب وتيودور ١٠٦
رقم ٧٣٦ / ١٩٧٣ ، ١٣ / ٣ / ١٩٧٤

(و)

٤٨ - وزارة التربية والتعليم ضد أحمد فضيل حسن

عبد المنعم ١٠٧
رقم ٦٦٤ / ١٩٧٣ ، ٧ / ٢ / ١٩٧٤

(ى)

٤٩ - يوسف عبد العال ضد البادى طه فضل ١٠٠ ، ٢٦
رقم ١٨١ / ١٩٧٢ ، ٣١ / ١١ / ١٩٧٣

وكتراث عربي اسلامي نعتده لحاضرنا ومستقبلنا . اما الهدف الثالث الذي لا
ولا يعد هو ان يكون مرجعا للدارسي الادب السوداني وحافزا للنظر في ما
به البيئة السودانية من موضوعات تستحق ان ينفق الوقت والجهد في الكتابة عنها ،
وللنظر في ما يملأ المجتمع السوداني من ثروات تحتاج إلى بحث الباحثين وتنقيب
المنقبين ونقد الناقدين .

انني اذ اسأل الله التوفيق فيما قصدت لاحمده الحمد كل الحمد واشكر كل
من أعان على اخراج هذا المؤلف ثم اعتذر للقارئ عما قد يجد او يلاحظ من تقصير
أو سهو ، والكمال لله أولا وآخرا .

صلاح الدين المليك

نوفمبر ١٩٧٣

المقدمة

السودان قبل محمد علي

المنام الفكرى :

للسودان من بين البلاد الأفريقية وضع فريد فى سجل الحضارة الافريقية القديمة لا يشركه فيه بلد من بلدانها المختلفة ، وان كان بعضها يفوقه لظروف خاصة . شهد السودان مدنية مسيحية انتشرت فى بعض ربوعه ردحا من الزمن ، و « كان يسكن فى بلاد النوبة السفلى قوم يقال لهم المقررة ، وأول أرض المقررة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان ومدينة ملكهم يقال لها نجراش على أقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاها قبل مبعثه فى أيام فرعون فأخرب نافة . فالنوبة والمقررة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المجاورون لأرض الاسلام وبين أول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن وقيل النوبة والمقررة من حمير وأكثر أهل الانساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح . وكان بين النوبة والمقررة حروب قبل النصرانية وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا - النوبة والمقررة ومدينة دنقلة هى عاصمة ملكهم » (١) قامت هذه المملكة فى شمال السودان ، ومن العاصمة دنقلا انتشرت تعاليم المسيحية بين الناس وسادت أوساطهم وتغلغلت فى النفوس والرؤوس .

وفى بقعة أخرى من السودان ، وفى وسطه بنى فريق من النوبة « يقال لهم علوة (٢) مدينة عظيمة سموها سوبا وبسطوا سلطانهم على ما جاورها من البتاع واتسعت رقعة دولتهم ، حتى أن من « سار فيها يريد أقصاها لم يأت عليه بعد سنين (٣) وفى سسوبا « أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب وبساتين (٤)

١ - الخطط - المقرئى - ١ ، ١٩١ ، ١٩٢

٢ - تاريخ السودان - نعم شقير . بيروت ٢٤٣

٣ - نفس المصدر ٣٤٤

٤ - الخطط . المقرئى ١ ، ١٩٣

المطمئن الواثق لمكانه شيخه الدينية . فالذى مكنته الظروف من أن يدرس في مدرسة ما مبادئ القراءة والكتابة وتحصيل القرآن أو جزء منه يهيمن على حياة القرية الدينية والثقافية والاجتماعية أحيانا «(١)» .. وهذا يعنى ان التعمق فى أمور الدين وفى غيرها لم يكن غاية الكثيرين لذلك انصرفوا إلى المتصوفة وأخذوا يترددون على حلقاتهم ويروون اخبارهم وكراماتهم أكثر مما يروون أخبار الملوك والسلاطين «(٢)» وهذا يعنى أيضا سيطرة نوع معين من الأفكار ينشرها أولئك الذين يقدون على الشيوخ ويدعمونها بما يسمعون منهم ومن تلاميذهم من حوادث وخوارق تحدث على أيدي الشيوخ فى حياتهم أو بعد مماتهم أو كوارث تصيب مخالقيهم أو منافسيهم . لم تلتفت عامة الناس إلى شيء فى الحياة ، ولم تكن هنالك حروب متصلة (الامازغات قبلية) تشغلهم ، والزراعة يسيرة موسمية ، والتجارة محدودة فى مداها وفى اصنافها لذلك اصيب المجتمع السودانى بشيء من الفراغ ألبأ الناس إلى تلك الحلقات وأفكار ونجم عن هذا « شعور دينى مسرف فى الولاء للشيخ وتعلق بالغيب »(٣) وقبل المسيحية والاسلام عرف السودان حضارة الفراعنة وهى حضارة بثت فيه تقاليد وافكارا بقى اثرها زمنا طويلا - فمملكة مروي الشهيرة تدل آثارها القائمة إلى الآن قرب مدينة شندى على حضارة نستشف منها ما كان عليه المجتمع من رقى فكرى ونظام اجتماعى ، وقد نالت تلك المملكة « شهرة فى التاريخ . وذكرها المؤرخ اليونانى هيرودوتس »(٤) . وقامت فى شمال السودان مملكة أخرى هى نبتة ، تركت هذه المملكة أيضا آثارا تكشف عن مدى ما وصل اليه المجتمع فى عصرها .

مع هاته الحضارات العريقة التى ازدهرت فى شمال السودان وخلفت آثارا اجتماعية وعمرانية شملت الجنوب حضارة أفريقيا السوداء وتجلت فى فنون شعبية متعددة كموسيقى الطبول وصناعة التماثيل وفى بعض الافكار والعادات ، وقد امتدت جذور هذه الحضارة من الجنوب إلى اواسط السودان وتفرعت من هنالك إلى الشرق والغرب والتقت مع مثيلاتها وامتزجت بهن ، ولعلها طغت عليهن أو على

١ - السودان فى قرن - ٥

٢ - السودان فى قرن - ٤

٣ - الشعر السودانى فى الممارك السياسية م.م. ع. ٤٤

٤ - تاريخ السودان ، نوم شقير (بيروت) ٢٢١

بعضهن في بعض المناص في حب من جوانب الحياة الاجتماعية . وهذا يدل على قوتها . لا أنها لم تقو على مبادئ العقيدة الإسلامية وعلى تعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

نخلص مما قدما إن أن هذا المريح المسمى هو الذي كون العقليّة السودانية وعددها أو بعبارة أخرى هو المدح الذي تمت فيه وعاشت قبل الفتح وقد أثمر هذا المناخ ثمرات متعددة منها :

المحور الرابع من محور

١ - لديني : وهو عبارة عن شروح لبعض كتب الأقدمين ومؤلفات منها : -
ألف ابن رباب بن علي بن عون كتابا في أركان الإيمان وسماه أجواهر (١)
وشرح محمد بن محمد كداوي أم البراهين . (٢)

٢ - الأدبي : وهو قصائد من أشعر في المدح فقد مدحوا رجال لدولة ومن ذلك قصيدة (٣) الشيخ عمر المغربي في مدح الملك ددى أبو دقن . ومدحوا أيضا شيوخهم كمدح علي ود الشافعي « شيخه عمار بن عبد الحفيظ (٤) . وقصائد أخرى رثي بها بعض التلاميذ الأوفياء أساتذتهم الذين غدوهم بعلمهم وعظمتهم كقصيدة الفقيه ابراهيم عبد الدافع التي رثي بها الفقيه احمد بن عيسى . وغير هؤلاء الذين ذكروا كثيرون . نظم بعضهم مدائح ومراثي . وكان لبعضهم اشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مثل مضوى بن مدني .

لا يموتنا أن نذكر في هذا المقام أن إحدى حكومات ما قبل الغزو المصري التركي . وهي حكومة القونج حفظت لعماء والمتصوفين مكانتهم ، وقدرت علمهم واجتهدهم في سبيل حفظ التراث كما استعان بهم بعض ملوكها كالمملك « محمد ابو لكينك . الذي اعتقد في الفقيه داود بن محمد واحذ يشاوره في جميع أموره « كما أن الملك بادى أبو شلوخ طلب من جميع المراتب الدعاء « لما كادت

١ - الطبقات صديق ٣١

٢ - الطبقات صديق ٣٢

٣ - مخطوطة كآب الشونة

٤ - الطبقات صديق ١١٨

جيشه تمهده أمره بعض العزاة وضاه لحكومة قدمه ر سحة في ميدان
بشر العلم والمعرفة . فقد استنهر في عهدا الرواق لسرى وهو مكان
سكن السودانيين الذين هاجروا إلى مصر للدراسة في لآهر .

وخبم العربية التي نشرها القونج نشرت اطرق الصوفية . وقامت تلك
اطرق « سور خراحي غيبى يستغل ميل الناس إلى عاطفة » . (١)

الوحدة لادرية ودورها في خاق الوطن اسوداني : **الدهر الركني**
نعلم أن جيوش محمد على دخلت السودان وتوعلت في قلبه شرقا وغرب
وجنوبا . وبذلك امتد النموذ المصرى الركنى من مصب النيل إلى المناطق الاستوائية
حتى كدد يبلغ ممانعه جنوب وبذلك أيضا احتتمت حقبة من الزمن اتسمت بسمات
خاصة أهمها :-

- ١ - الانقسام والتمكك . لأن البلاد كلها كانت دويلات لاربط بينها .
- ٢ - سيطرة القبلية . لأن كل دولة من تلك الدويلات حكمتها قبيلة وحادة
وتعلت عليها حتى صار الحكم محصورا في تلك القبيلة أو في بيت أو عائلة
منها يرثه أحد رجالها عن ابيه أو جده أو أخيه .

ودخلت البلاد مرحلة جديدة من مراحل تدرجها الطويل . وشهدت هذه
المرحلة ابخديدة تغييرا في كثير من أوجه الحياة . فقد جاء البلاد حاكم دو فكرة
معينة وغرض محدد وله جيش قوى يسنده واعوان مخلصون مطيعون كثيرون .
ولتنفيذ الفكرة التي جاء بها . ولتحقيق الغرض المحدد الذي من أجله رحفت الجيوش
وازهقت بعض الأرواح كان ذلك التعبير . وبذلك كله دخلت حياة الاهدس طوراً
جديدا . انتقلت فيه من الانكماش داخل حدود الاقليم أو تقطر إلى لانطلاق إلى
الاقليم الأخرى وإلى الاقطار المحاورة لاسيما مصر . فقد انفتحت الابواب بعد
الفتح و وجدت القبائل نفسها حرة بحيث تستطيع التنقل في المكان الذي يطيب
لها فيه المرعى . وممارسة الحية فلماوصلات صبحت سهبة والأمن صار مستتباً . (٢)
استمر التنقل وكثر الاتصال بين الناس من مختلف القبش والبقاع . وبما أن الدويلات

١ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢٦٩

٢ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢١٥

اقتبالية قد رالت وحلت محلها حكومة واحدة لان محمد علي أعطى السودان ادارة موحدة (١) وجعل (٢) من أقاليم السودان المنفصلة وحدة سياسية ، ذ قسمه إلى مناطق سمي الواحدة منها مديرية يحكمها « مدير » . وكل المديرين يرأسهم حاكم مقره الخرطوم - العاصمة . زالت الفوارق والخواجز . ونضمت وحدة العصبية و « ضعف الاحساس » (٣) بالحياة القبلية فقد أحس الناس أنهم تحت نظام موحد . وأن السلطة لم تعد ثقيلة . وقد أدى كل هذا إلى توحيد ولاء الأهلين للحكومة . وهذا بدوره دى إلى انتزاع ولأنهم من القبيلة أى إلى جمعهم كلهم فى طاعة هيئة واحدة بسطت نفوذها على بلادهم . ووضعت لهم قانونا واحدا يسرى عليهم كلهم دون استثناء . ووضعت كذلك أنظمة أخرى متعددة تنطبق عليهم كهم لا يشذ فرد ولا تخرج عنها جماعة

مع كل ما تقدم نجد ان السفر داخل المناطق او من إقليم إلى آخر قد سهل . وأخذ الناس يرحلون فى طمأنينة لانهم لا يخافون الغارات . ولا يخاطر لطريق الآخر ولا يشغلون عن السفر بحروب قبلية . وقد ترتب عن هذا أن اختلطت الدماء والانساب وبخاصة الدماء العربية التى كانت تكثر بالساكن فى سرعة مذهلة كما ترتب عليه تهيئة السودان الموحد لأداء دورة كاملا فى المحيط الإسلامى الكبير مستعينا فى ذلك بحركة التجميع السياسى إلى جانب حركة التجميع الصوفى وازدهار البعث العلمى فى البلاد .

ومضى الزمن والناس على هذا الحال تحكمهم حكومة واحدة وينطبق عليهم قانون واحد وتعتبر الحكومة ببلادهم قسرا واحدا . وهم ينتقلون داخله كيفما يشاءون ويقيمون حيث تطيب لهم الإقامة دون قيود او حدود . ولهذا يمكننا القول بأن الحكومة بتوحيدها الادارة مهدت السبيل إلى خلق وطن سوداني .

١ - السودان فى قرن

٢ - تقرير لجنة الخدمة ٢٨

٣ - الشعر الحديث فى السودان ع . بدوى ٢١٢

الفصل الاول شعراء ما قبل المهدية

لم يكن السودان لدى مقدم الأتراك اليه واستيلائهم على أُلُحمة الحكم فيه خالياً من نظام تعليمي أو خلوا من أية حركة تثقيفية توجيحية ، بل كن فيه تعليم ديني يتقاه المتعلمون في المساجد على شيوخ علماء ، وفي الخلاوى حيث يتلقون مبادئ الدين ويتلقون القرآن ثم يحفظونه عن ظهر قلب . هذا النوع من التعليم هو أساس ثقافة كثيرين من الشعراء الذي ستحدث عنهم في الفصول القادمة من هذا البحث . لم تكن هذه الخلاوى وتلك المساجد محصورة في بقعة واحدة أو منطقة معينة وإنما تناثرت هنا وهناك . وطبقت شهرة بعضها ، لآفاق واشتهر معها الرحال الذين قاموا بالتدريس فيها . كما شهرت القرى التي قمت فيها ، فقرية كترانج « مثلاً مكان المسجد المعروف الذي درس فيه العالم ائقيه احمد ولد عيسى ، وقرية اني حراز « مسكن العالم المتصوف دفع الله ابن الشيخ محمد العركي فيها مسجد وعدد من الخلاوى ودرس فيها اعداد من الطلاب ، والشيخ حسن ولد حسونة أقام في قرية عرفت باسمه واصبحت ملتقى لطلاب الحق ولراغبين في حفظ القرآن . على ايدى هؤلاء الرجال ومن تدك البقع شع نور المعارف الدينية وانتشر حتى عم أرجاء القطر .

لما قامت حكومة العهد المصري التركي شجعت هذا التعليم لأنها رأت فيه دعماً « للثقافة العربية الاسلامية » . وكان الولاية أيضاً ، يرون في هذا النوع من التعليم نفعا يعود على الدولة وعلى الرعايا - فهو معين على تثبيت دعائم الحكم ، وها هم اولاء « يعيدون الازهرين (١) السودانيين من مصر إلى السودان ، وهو يكفل للرعايا قدراً من المعرفة يستعينون به على أمور الدين والدنيا ، لذلك اعان اسماعيل مدارس القرآن والعلوم الشرعية (٢) . الا انهم لم يكتفوا بهذا النوع من التعليم

١ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ١١٦

٢ السودان في قرن ٧٤

لأنه وإن وفي نجات الملاد الروحية لم يف ببعض حاجاتها الأخرى . فالملقام الحديد يحتاج إلى موظفين يساعدون في إدارة دولاب المولة ، ولتقيام بأعمال كثيرة كتابية وحسابية لذلك ، بدأ التعليم المدني في العهد التركي لسد حاجات الملاد وتمشيا مع التطور . (١) وفتحت المدارس في بعض المدن . وأخذت الحكومة في إرسال وفود من السودانيين ليتلقوا في مصر تعليمًا يؤدي إلى سير الإدارة الحكومية سيراً مرضياً مخففاً لأعراص القدامى بالامر في اسودن وفي مصر . ولم يكن لغرض من التعليم المدني تكوين المواطنين الصالحين - كما هو الحال في مصر تقريباً - ولم يربط بينة الملاد واحتياجاتها وقدراتها من قريب أو بعيد ومن هنا فلم يأت بالثمرة المرجوة . (٢)

ومهما يكن أمر التعليم المدني ونشؤده وأهدافه وثمرته ، فإن الذي يعيننا في المرتبة الأولى في هذا المقام هو التعليم الديني لأنه أخرج لسودن وللعالمين اعرفي والاسلامي الرعيل الأولى من شعراء هم نتاج ثقافات متعددة ومتنوعة .

المسلمون والخلافة التركية :-

بعد أن غزت جيوش محمد علي السودان و ستوات عليه بجميع أقاليمه أصبح جزءاً من الامر اطرورية العثمانية ومعنى هذا أن سكانه كانوا يدينون لدولاء وانطاعة الامبراطور على عرش الامبراطورية المتولى خلافة المسلمين ، وهو صاحب لسلطة لزمية والروحية . أمره مضاعف ، وكلمته لا ترد . والخروج عليه خروج من الدين فمصر لنى فكر واليهاء محمد على في فتح السودان . وفتحها فعلاً ، جزء من تلك الامبراطورية ، وقد عين الخليفة المتربع على عرش تلك لامبراطورية ذلك نوان . فكيف لا يكون السودان جزءاً من هذا الكيان وقد صار السودان تابعاً لمصر سياسياً وإدارياً . وأصبح أهله رعي لصاحب الشأن في مصر . وهو وشعب مصر من رعي الخليقة . وأهل السودان في الشمال وشرق ونوسط والغرب مسلمون من قديم الزمان . رسخت فيهم العقيدة . ونشأت اجيادهم المتعاقبة في بيثت اسلامية خلصة واشربت نفوسهم تعاليم الاسلام وتقليده وهم سرت فيهم رواج الاسلامية

١ الشعر الحديث في السودان ع. بدوى ١٧٤

٢ المرجع السابق .

وتعلقت ولهذا أيضا هم يعرفون قدر الخليفة . ومعنى الخلافة ، ويربطون طاعة الخليفة وتقدير الخلافة بالمصطفى - نالبي صلى الله عليه وسلم وجهاده وإخلاصه لربه ولأتباعه ، ونالراشدين وسيرهم في الحكم وسيرتهم بين المسلمين ، ويربطونها أيضا بخاضعهم وما يصيبهم فيه من توفيق أو اخفاق ، أو ما يعرض لهم من خير وشر . ويربطونها أيضا بمستقبلهم في الحدة وفي مابعد الحياة حينما

الخليفة وإن لم يصل درجة السى . وإن لم يبيع مبلغه في اقرب من الحق عز وجل وفي أمور أخرى كثيرة إلا أنه يحل محله في تصرف شؤون المسلمين - شؤون الحكم والدفاع والقضاء . وفي القيادة والزعامة الروحية ، وفي كل ما يتصل برعايتهم وحمايتهم . ان الخليفة يكتل ضم كل ذلك . وهم بدورهم يطيعونه ولا يقفون عند حد الطاعة بل يحجمون عن الدخول في أى أمر لا يقره الخليفة . والسودانيون وهم مسمون ، كانوا يعتقدون ذلك كما أنهم كانت الخلافة فيها . وكانوا ينظرون إلى الأتراك نظرة اكبار . فالشيخ ادريس ود الأرباب أفنى في مسألة فقهية استنادا على أمر من أوامر سلطان تركيا - وقد رفض فريق من السودانيين الدخول في أمر المهديّة محتجين بأنها خروج على السلطان وطاعة الماسطان مما يوجب الدين (١) .

ان المسلمين في كل زمان ومكان تعلقوا بخليفتهم ، ولم يسمعهم من ذلك مانع مهما كان . وكلنا يعرف قصة المرأة العربية التي ستغاثت حين وقع عليها الضيم في عمورية قاتلة . وامعتصمها ، وكلنا يعرف ما حدث بعد ذلك . وفي عصرنا هذا ظل اشعراء المسلمون يمحون الخليفة والخلافة في شعرهم . ويسجلون أحداثها لكبيرة اجتماعية كانت او سياسية في شعرهم . وفي كل من شوقى وحافظ خير دليل لذلك ففي ديوان كل منهما عدد من القصائد التي نظمت في موضوعات تتصل بخليفة المسلمين وحكومته من قريب أو من بعيد . ان الشعريين في نظما يعبران عن مشاعر المسلمين في مصر . ويمكننا القول بأنهم ايضا ينصحون عما يجيش في نفوس مسلمي اقطار أخرى لما لكل منهم من مكانة في تلك الاقطار

ان امير الشعراء شوقي سيقبل الطائرة التركية ادرميد التي اقلعت من تركيا يقوده طياران تركيا ونزلت في مصر بقصيدة منها :

الدول ذات الصلة بالمسلمين ، أو تلك التي سيطرت عليهم سيطرة مباشرة أو غير مباشرة . وكانت تلك الدول المسيطرة تحسب حسب هذا التعلق في معاملاتها الرسمية والخاصة . وتحسب حسابه كذلك في رسم سياستها في حكم المسلمين . فلما قامت الحرب انكبرى الاولى في عام ١٩١٤ . ودخلتها تركيا إلى جانب ألمانيا . صارت بدخول هذا عدوا لبريطانيا التي تحكم اقطارا سكانها مسلمون . والمسلمون لا يعارضون خليفتهم ولا يخرجون عن طاعته ناهيك بمعاداته أو محاربه . أو معاونة أعدائه من غير المسلمين . لقد اختلف المسلمون في الماضي وانقسموا وخرجوا على الخليفة وحملوا سلاح وقاتلوا جنود الخليفة . الا أن الخلاف في ذلك الزمن كن داخليا سياسيا ولم تدخل فيه عناصر أجنبية غير اسلامية . ودهم يكن من شيء فن لبريطانيين في السودان انزعجوا وبدأوا يعدون ترياق لما قد ينجم عن ولاء المسلمين لسلطان تركيا وعن تعلقهم به لانه خليفتهم . وقد صار عدوا لحكامهم . فكان ان استكتبوا زعماء السودان عبارات التأييد وجمعت في كتاب فكان سفر الولاة و كن الرعاء محمولين على ذلك حملا ليهـ الشعب «(١) .

الشعور الوطني والشعور الديني :

« كان الشعور الديني يطغى احبانا كثيرة ويسيطر على المجتمع الاسلامي سيطرة تامة ودليل ذلك انهم تقبوا حكم العثمانيين . وهم غير عرب . وكان بعض الرعاء والمفكرين امثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي يمهجون الوصية على أساس ديني . وقد دفع هذا الشعور بالامام محمد عبده إلى أن يقول « ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين »(٢) .

تبع هؤلاء المفكرين عدد من ذوي الرأي في مصر وغيرها . وتعلقوا بانخلافة رغم عن مضالم الاتراك وعجمتهم فكى الشعراء الخلافة لما نعت . وانكروا على دعة القومية دعوتهم — كل هذا يدل على سيطرة الشعور الديني وتغلبه على لشعور الوطنى فى أقاليم المجموعة الاسلامية المختلفة .

١ — الشعر السوداني فى المعارك السياسية م . م . على ٣٦٢

٢ — الاتجاه القومى فى الشعر العربى الحديث ٣٦

وهي السودان قمت ثورة محمد أحمد المهدي باسم الدين . فقد أعلنها
ثورة على نظام حاقت بتسليمين مسلمين هم أهل السودان ، ثورة على مناسد حدثت
على مسمع ومرئى من حكام كانوا يتلون إلى حد ما على وأكبر سلطة دينية في
العالم الاسلامي . واستجاب الناس للمهدي وتبعوه وحاشاه مصر مرة بعد أخرى .
وكتبه . تنصر رداد عدد تباعد ، وسرى احساس في جنوده وظنوا يقاتلون وينتصرون
إلى أن تم لهم ما أرادوا من اجلاء لائزال والاستيلاء على رماء الامور في البلاد
فلو ان محمد أحمد المهدي نفسه ثورة وطنية . ودعا الناس إلى محاربة الحكام
الذين . وحرير أرض اوطى من سيطرته . أفكان يحدد نفس التأييد والاستجابة
أكان يجد أى قدر من المساندة والتعاضد أو أى نوع من القبول بين الناس ؟

مكان السودان في نظر هؤلاء الشعراء من مصر ومن العالم الاسلامي :

لقد كان لدولة النوبح فضل كبير في نشر الثقافة العربية الاسلامية . ففي
عهدهم انتشرت الخلاوى في بقاع السودان المختلفة . ومن مآثر ملوكهم أنهم
عبروا بالاسلام ونعمة العربية ومن مظاهر تلك العناية أن قرأوا اليهم كثيرا من
العمماء والمتصوفة وغروهم نأخذوا إلى سائر . فتجمع حولهم طلائع العلم والتصوف
من نواحي السودان المختلفة ومن خارجه . كذلك قطعوهم الكثير من انضباع
الواسعة في أماكن متفرقة من البلاد وأجزلوا لهم خدائهم وكانوا لا يردون لهم
شفعة بل جعلوهم أهل مشورتهم وحمل اعتقادهم (١) ولم يقف جهدهم النوبح عند
هذا الحد . بل انه في رمنهم بدأت دراسة لغرية الفصحى تجد آذنا صاغية .
وعرفت صالات أدبية بين ملوك النوبح وبين أدباء مصر (٢) . ولكن هذه العناية
إلى أولاد ملوك النوبح اللغة العربية لم تنضج لم . ولم يقل أحد شيئا عن مبادئ
وكيفيتها ، ولم يقل أحد شيئا عن دراستها . أو عن وسائل تلك لدراستها ، ولعل
لذين قدروا العناية أو تحدثوا عن الدراسة رادوا العناية واندرسة غير المباشرين
والمثبتين عن طريق دراسة كتب الصوفية . والمؤلفات الدينية الأخرى . ومهم
يكن من شيء فإن الملك ددى كان حريصا على الصلة لعلميه بمصر وكان معززا

١ - ر - شعر سوداني ع . ط ١٢

٢ - تاريخ ثقافة عربية في السودان ط ١٨٩

هذه القصة بهديده . وهو بادي أبو دقن « من ملوك الفونج الدين طار ذكرهم وعبر حدود السودان إلى المناطق المجاورة و « من مآثره التي رويت عنه ان كان يكرم العشاء في بلاده ، ويرسل الهدايا لعلماء الازهر . منهم من مدحه بقصائد (١) فاشيخ عمر المغربي احد علماء الازهر الشريف مدحه بقصيدتين اولاهما من ستة وستين بيتا ومطلعها :

أيا راكبا يسرى على متن ضامر إلى الغرب يهدي نحوه طيب الذكر (٢)
وفيهما يقول :-

إلى حضرة السلطان والملك الذي	حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر
هو الملك المنصور بادي الذي له	مناقب قد جلت عن العد واخصر
حمى حوزة الدين الحنفي بالقنا	واصبح صدرا للعلا حائز الصدر
وجرد للاسلام والملك صارما	أباد به جمع الطواغيت والكفر
وجاهدهم في الله حق جهاده	وفاز بأنواع المثوبة والأجر
وهذه اركان المظالم عدله	فما كان زيد النحو يسطو على عمرو

ثم يقول :

بدولته « سنار » قد زاد أنسها	وتاهت وباهت بالمسرات والبشر
وأصبح أموها بخير ونعمة	يقدر كل نعمة الله بالشكر
واضحت به « سنار » في الانس والصفاء	وتاهت على البلدان حتى على مصر
صفا وقتها واخصر عيش لأهلها	وقد ليست تاجا بأيامه اخصر

هذه لقصيدته صحت نسبتها لشيخ عمر المغربي أبا لم تصح ان تكشف عن رأي
الشيخ وهو عالم تخرج في أكبر جمعة اسلامية في الملك بادي ابحال على عرش
ملوك الفونج . قد كان قتلها فالرأى رأيه . وان لم يكن هو القاتل فلعله اختار
من كلام غيره وغيره وبدل منه لأنه وجد فيه ما يتناسب المقام - مقام حاكم لغته

١ - السودان في قرود ٣٠

٢ - مخطوطة كاتب السنة ١١٠٠ ، ويقول المعقق « انها مقولة من كتاب الاعلام بأعلام بيت الله
خرم مسره أو بصري غير مباشر مع كثير من حروف مبطي و حذف لتصبح مسره
للملك بادي » .

إذا كان من لم يدرى ما كان
من الازهر بادي

العربية ودينه الاسلام وهذان رباذن يربطان احاكم وقومه بالشاعر وقومه أوثق الربط وأبقاه على مر الزمن . ولعل الشاعر وجد في كلام غيره ما يقوم بواجب الشكر لملك سبق بالفضل واهدى اليه هدية . ولتأمل بعد هذا الايات التي أخذناها من القصيدة الاولى - ففي المجموعة الأولى يقرر الشاعر ان ملك حمى الاسلام ودفع عنه بالسلاح . وجاهد في سبيل الله الجهاد الحق فقبض لله له النصر وزاد احره وحفل سحل اعدله بالمآثر خميدة حتى صار « صدرا للعلا » ويقرر في نفس المجموعة انه نشر عدله بين الدس فتضى على المظالم ، وعاش الدس كلهم متحابين متآخين ولم يكن لاحد ان يعتدى على آخر .

أم المجموعة الثانية فتحدثنا عما أصاب البلاد في عهد الملك بدى الممدوح اذ يقرر الشاعر ان لاهلين عمهم اخير والأمن . وأن حياتهم حلت بالمسرات حتى صار في مكتهم ان يتيهوا على جميع البلدان وعلى مصر ايضا . هذه هي حال الملك وعمه لسيه ودينه - يحمل السلاح في سبيل الله مجاهدا مدافعا ويسط العدل وينشر الرخاء بين رعاياه . بل هذه هي أيضا حال بلاد مسلمة أو مجموعة من المسلمين تعلو فيها كلمة الحق ويصبر فيها الدين ويسعد لاهلون . فكيف ينظر اليها علم « شعر » مثل الشيخ عمر المغربي . الا يجد فيها حصنا للاسلام وسندا للبلدان الاسلامية الأخرى . ألا يرى فيها على الأقل مثالا تحتذيه البلدان أو المجموعات الاسلامية .

القصيدة الثانية من سبعة وخمسين بيتا ومطلعها :

يا راكبا قد جد في السير قاصداً مواطن أحباب هناك أعزة (١)
وهي تشبه لأولى شهباء يكاد يكون دما ولا تخرج عنها في مبداه ومعناها بصمة عمه .
ومن أبياتها :

ويطوى إليها شقة البعد قاصداً	ديراً بها أحباب قلبي وبغيتي
لك الخير ان وافيت سار قف بها	وقوف محب ذى وفاء وذمة
ولق عصا التسيار في سوح ارضها	تجد راحة فيها واوفر حرمة

١ - وهذه القصيدة ، فيم بدو مقبولة من مرجع لا علاقة له بريح سار ولكنها سميت بلاشادة بمملكة سار وملكها السلطان بادى « مخطوطة كاتب الشونة

ويأوى إليها الآن كل مسافر
يلقى بها أمنا وطمنا وراحة
ونحى إليها من بلاد بعيدة
وحظ عظيمنا دافعا للمشقة
ومنها أيضا :-

وعرج على قصر العزيز مليكها
وعول عليه في أمورك كلها
حمين محيازين كل قبيلة
سود وإخلاص وصدق طوية
وتصيح في عز ميع ورفعة
وعرج عليه فهو حامى الحقيقة

ولقف قليلا الآن عند هاتين المجموعتين اللتين اخترتهما من الفصيدة . في المجموعة الاولى وصف لسار في عهد الملك بادى بدقن ، ونيس هو دلو صف السطحي الذي يبين المواضع والمنازل وغير ذلك ، انه هو وصف عميق يتم عن عاطفة قوية ويكشف عن حب - فهي ديار لاجئة . وهي أيضا البعية . لعله كان ينبغي ان يعيش فيها لينعم بما كان ينعم به أهلها - فنيها الراحة والامن واليمن ، ويكفيها انما أصبحت في نظره مأوى كل مسافر آت من بلاد بعيدة . لقد كشفت هذه الايات عن حب يكنه الشاعر لتلك البقع . ألا ترى انه يطلب للراكب القاصد إليها ان يقف بها « وقوف محب ذى وفاء وذمة » وانه ليس حاما عاديا وانما هو حب يمازجه وفاء ويشوبه احترام .

أما المجموعة الثانية ففيها تمجيد للملك . يصفه ويكاد يبلغ به درجة الكمال عن طريق المبالغة التي يميل إليها لشعراء عادة في التعبير عن آرائهم ومشاعرهم اذا ما خاطبوا الملوك أو مدحواهم . فالملك ههنا حامى الحقيقة . وهو أيضا من يعول عليه ، وفي كنفه العزة والمنعة ، وقد آناه الله وجهها جميلا . وآتاه صفات أخرى كثيرة حميدة غدت زينا لاهله وعشيرته .

ان ما نجده في هاتين المجموعتين من وصف لسار وما بلغته في عهد الملك المدح . ومن تمجيد ومدح للملك لا يمثل في نظرننا ذكرا للحقائق أو رد للجميل فحسب انما هو أيضا اعجاب بذلك الملك وهو حاكم مسلم هيا لرعيته حياة طيبة ، وهو أيضا ايمان بمقدرته وشخصه وهو مجاهد متفان في سبيل الله . وهو اعتبار

بما صار إليه حال بلد مسلم أبان حكمك ذلك الحاكم لعادى المجاهد . ان ه
 القصيدتين ان نظمهما الشيخ عمر المغربي أو اخترهما وعدل فيهما وبدل أو
 عليه دسا تثبتن فيما نرى تعلق بعض الشعراء فى ذلك لزمن هذه البقاع لآتهم
 مأوى مجموعات من الناس يربطهم بهم رباط لا ينفصم هو الدين . ولذلك يمكننا
 القول بأنهم اعتبروا هذه البقاع جزء من عالمهم الكبير وهو العالم لاسلامى
 وثمت شاعر آخر هو الشيخ يحيى السلاوى (١) - لم يكده هذا الشيخ يسمع
 بقيام الثورة العربية حتى هاجر إلى مصر وهناك اندمج فى اثورة اندمخ مناصرة
 واخلاص وعمل (٢) ونظم قصيدة بائية حث بها مواطنى مصر على مساندة الثورة
 ودعائها بالتوفيق ، يقول فى قصيدته تلك :

شعل العدا بنشئت لاحزاب	والله ناصرنا سيف عرابي
والقطر فيه من الرحال كفاءة	للحادثت فهم أوأو ألسب
وحمية الاسلام تقضى بالوفاء	حتما على كل امرىء أواب
ومحبة الوطن العزيز تحشهم	والمتح اذن تابع صواب
والمنشركون خواسر فى سعيهم	هزموا وقد نكصوا على الأعقاب

بعد هذه الايات أخذ الشاعر يذكرهم بالماضى المجيد . ويشيد بهم ليحرك فيهم
 الغيرة الدينية والحمية الاسلامية . فلم يقول الشاعر الشيخ يحيى السلاوى ذلك -
 هاجر إلى مصر ثم اتصل بزعم الثورة ونظم هذه القصيدة ؟ لا شك أن الشاعر كان
 يرى ان ما حدث فى مصر يمس ويمثل رأيه وهو الذى ولد فى السودان وتربى
 فيه . ومعنى هذا أنه يمس المجموعة التى ولد فيها وتربى وكذلك يمثل رأيه . وعيه
 يكون سفر الشاعر إلى القاهرة واتصاله بقائد الثورة ثم نظم هذه القصيدة . التى
 طبعت بماء الذهب ، وبيعت فى شوارع القاهرة كل نسخة منها بجنه ذهبا ، (٣)
 صدى للثورة العربية فى السودان أو مشاركة السودان فى تلك الحركة ، وهذه
 القصيدة « تمثل الانجاء العام للشعب السودانى ذلك الاتجاه الذى كان يفتقد من

١ - هو ابن شيخ عبد بنى سلاوى العالم لفضل بن توفى انقصه أيام الحكم التركى فى السودان

ولد يحيى فى الخرطوم ١٨٤٦ م . نفثات البراق ٨٣

٢ - المصدر السابق

٣ - المصدر السابق

يا آل عثمان ابناء العمومة هل تشكون جرحا ولا تشكونه (١)
 اذا حزبتكم حزن فى القلوب لكم
 كالألم تحمل من هم ابنيها سقما
 وكم نظرنا بكم نعمى وحسبهم
 بنا السرور فكنت عدنا نعماً

كان هذا الاستقبال صدى فى السودان فقد أعنت إحدى الصحف عن جثرة
 تمجدها لمن يشطر نيتى أحد الشعراء فى ستقس الطائفة وملاحيتها وهم :

يا أدرميد ألا طيرى مبالغة رسائل الشوق من عمرو إلى عمر
 إلى الذى خفقت فى الأرض رايته فالיום تحقق فوق شمس والتممر (٢)

واستجاب لإعلان الصحيفة عدد من الشعراء . وجاء شعر محمد عمر أيد فى المرتبة
 الأولى وفيه يقول :

(يا أدرميد ألا طيرى مبالغة) خيفة لله عد أصدق الخبر
 وبغية عن الإسلام قاطمة (رسائل أشوق من عمرو إلى عمر)
 (إلى الذى خفقت فى الأرض رايته) وعززها سيف الله بلطفـر
 مدت على الأرض ظلا لانفد له (و ليوم تحقق فوق الشمس والتممر)

عم تكشف هذه العناية التى يظهرها شعراء فى مصر وروءاء لهم فى السودان
 بقلاع طائفة ونزولها . وهذه الصحيفة علامة تحتل بالحدث إلى هذه الدرجة ؟ لو تأملنا
 الأبيات بيتا بيتا وانعمنا انظر فى معانيها لعرف السبب . ففيها تقدير عميق لخليفة
 سلطان تركيا يكاد يبلغ درجة التقديس . وهذا قبيل من كثير . وهو على قلته
 بصور لنا مدى تعنى المسلمين بالخلقة والحلافة . وان هذا الشعر يكشف عن
 تعلق رجل ذلك العهد بخلافة (لآسنة) . وان قلوب المسلمين كانوا تهفو إلى
 المجالس على عرش الخلافة فى تركيا . وقد كانوا إلى ما قبل سنة ١٩٢٤ يدعون
 له فى المساجد عقب كل صلاة .

لم يكن امر هذا التعلق سهولا أو خافيا على أفراد أو جماعات أو هيئات .
 انما كان معلوما وظهرا لكل المتصدين بالمسلمين فرادا أو جماعات أو هيئات لاسيما

١ شوقي - أول ، ٢١٦

٢ مجمع من مجمع سودى ١٦

يعبر عنه « (١) » .

لما فشلت الثورة العربية . حرّ فشله . في نفس اشاعر وظهر ذلك في احدي قصائده حيث أخذ يشكو وبأسى لاحداث الزمان ويسكى على بعض ما مضى ومن مضى وخلص من كل ذلك إلى الافتحدر تخفقه . فكانه يعرى ويتسنى عما كان يشكو منه - يقول :

بيت وظرفي لمحاسن ينظان	وطرفي يلباني عن ذوى المحاسن
عفا الدهر بعد الاكرمين وما عفا	كمي ولكن نسعددة اذن
رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا	وسمر ليلى لعامرية عمران
ولنتمس مرعى في التصني ومرتع	ربيع مريع نصبا فيه فنان
ليدل تقضت بالاماني والسي	على النعم باق بالنصابة نشوان
صبرت على خطب سبرت به النورى	فلم يخف عن عمنى من اساس انسان
وهبت له نفس عدت مضمنة	نخرم عظيم عنه يضعف شهسلان

هذا هو شعر الشيخ يحيى السلاوى بن هذا هو شعوره ، وهو بلا شك قد وضع البنية الاولى للكفاح المشترك . ودل على وحدة المشاعر واتفق الآمال والآلام ، ونظر إلى السودان ومصر نظرتة إلى بلد واحد ومجموعة كبيرة في الأمة الاسلامية الكبرى .

وشاعر ثالث هو الشيخ الامين محمد الضيرير العلم السوداني . نظم هذا العلم قصيدة في مدح الخديوى توفيق والحاكم المصرى جعفر مظهر . عدد فيها مآثر الخديوى واسلافه وأشاد بالحاكم . اتجه بعد ذلك إلى العماء مذكر وداعب - قال :

فيا أولى الفضل اهل العلم انكم	في شمر ما يرتضيه لله اخوان (٢)
فاخلصوا حبكم في الله وزدرو	نذر اخير وهذا الوقت ابر
اما حويتم بتوفيق العزيز حمى	تبعذ توفيقى رب لغز خذلان
أليس عارفكم ييدى معارفكم	كما يرى وله لائنصح ديوان
ألم توزع عليكم كلكم كتب	في العلم نافعة داطبع

١ - تراث الشعر السوداني ٥٨

٢ - نقشات اليراع ٧٩

ألم يكن جمعكم ادعى لصحتها ألم تيسر على التدريج أثمان
ألم يبيع لكم فيها تناوبكم اذ ليس يمنع مما رام انسان
فحاصل القول أن العلم قد سهلت اسبابه اذ بدت للخير أعوان

أعلن لزملائه العلماء رضه عن الحكومة نقائمة ودعهم إلى التحاب وبذر بذور
الخير لان ذاك الوقت أو ذاك العهد هو وقت بذرها فالقائمون دلامر سهلوا لهم
سبل العلم فهم أعوان للخير .

وقال ايضا :

ومصر كم مصر والتوفيق حافظكم والمعتنى عارف والوقت إد
وهو صرح برأيه كان يعتقد ان مصر بلدهم . بلد أولئك انعماء المتأخين في نشر
ما يرتضيه الله - انهم مسلمون ومصر بلد مسلم رعدهم حكمها وبذلوا لهم الكثير
مما عدده هذا الشاعر وغيره كد الشيخ محمد أحمد هاشم (١) في قصيدته اتى نظمها
مهنثا الخديوى محمد توفيق بعيد جلوسه قال فيها :

اليمن اقبل بالاحسان طائره والكون نار وقد زادت بشارته
والبشر أبدى سرورا من عجائبه لما بدا طالع الاسعاد نائره
والكون قد رقصت فيه محاسنه والغصن اعلن بالتغريد طائره

إلى أن قال :

قد ضياء سوداننا من حسن رأفته وصب في بربر منها جواهره
والسعد خادمه في كل آونة لم لا وذا منبع الاحسان ماطره
ذاك المليك الذى انوار طلعت عمت جميع الورى منه ستائره

واستمر هكذا يعدد المآثر ويشيد ويدعو . لم كان يفعل ذلك ؟ ولم يفعل الشيخ
الضريير ذلك ويزيد ، ان مصر كم مصر ؟ لم كانا يفعلان ذلك ؟ لأنهما موظفان
فى الدولة ، يشغل كل منهما منصبا مرموقا ويتقاضى جعلا من خزينة الدولة ؟
أم لأنهما كانا يريان رأيا معيناً فى صلة بلدهما بمصر ونازعالم الاسلامى .

اننا نرى أن هؤلاء الشعراء الذين تحدثنا عنهم واوردنا قدرا من أشعارهم
هم " السودان " . مكانا خاصا من مصر ومن العالم الاسلامى

بالتاريخ كان ناطرا المدرسة بربر فى العهد التركى المصدر السابق .

وان اختلفوا فى التعبير عن ذلك الاعتقاد . وان تفاوت تعبيرهم قوة وضعفنا . ولم يكن ليغيب عن أى منهم ما يجب عليهم للخليفة الذى تحكم مصر باسمه .

المستوى الأدبى للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان الفترة التى نتاول شعرها ههنا - فترة ما قبل المهديّة - تشمل عهدين مختلفين تمام الاختلاف من حيث المضمم السياسى والادارى فى كل منهما ومن حيث ما يترتب على ذلك من نتائج اجتماعيه واقتصادية . والعهدان هما - حكم الفونج والحكم المصرى التركى . لقد قلنا فى ما تقدم ان الفونج ظلوا ثلاثة قرون ينشرون الثقافة العربية فى أنحاء السودان (١) . ولما جاء الحكم المصرى التركى أخذ بيد ذلك المجهود وزاد عليه . وبذلك يمكننا القول بأن نشأة الشعر العربى الفصحى فى السودان اعتمدت إلى حد كبير على ما بذله ذانكم العهدان . ويمكننا أن نقول أيضا ان اختلاف الدولتين أو العهدين سياسيا وادريا لم يعق نشأة الشعر العربى الفصحى ولم يعطل نموه .

لقد كان فى دولة الفونج شعراء . وها نحن اولاء نعرض نماذج من شعرهم ثم نتاوله بالتد بعد ذلك . وصل لشعر أيام الفونج درجة مكنت أحد أولئك الشعراء من رثاء تلك الدولة لما شاء الله أن تنقضى أيامها . ونظم ذلك الشاعر الذى لم تذكر الكتب اسمه . مرثية من ثلاثين بيتا بكاهم فيها فى شىء من الحرقه والاسى اذ قل :

أرى لدهرى أقبالا وادبارا	فكل حين يرى للمرء أخبارا
يوما يريه من الأفراح اكملها	يوما يريه من الأحزان اكدارا
وكل شىء اذا ما تم غايته	ابصرت نقصا به فى الحال اجهارا

آه على زمن قد كان فى طرب	كنّا بجمع مع الاحباب سمارا
آه على بلدة الخيرات منشئنا	اعنى بذلك دار الفنج سنارا
آه عليها وآه من مصيبتها	لم نسلها اينما حللنا أقطارا

تبكى محاكمهم تبكى مدارسهم	تبكى مفاخرهم تنبىك أخبارا
---------------------------	---------------------------

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم
على كرام يزين الدهر مجددهم
تبكى القبائل ندوانا وحضار
على ديار عليها الدهر قد جارا

عرفت دولة الفونج شعراء آخرين أوردت بعض الكتب اسماءهم واشعارهم .
الا أن الشعر الوارد في تلك الكتب قليل . ولم يتضح في تلك الكتب ان كانوا قد
نظموا غير الذي روته عنهم أو لم ينظموا . وقد ورد في أحد تلك الكتب أن
« حجارى بن أبي زيد بن الشيخ عبدالقادر (وقد عاش أيام الفونج) كان شعرا
حاذقا كأنه كعب بن زهير . ولم يأت الكتاب بشيء من شعره . كما جاء في
نفس الكتاب عن الشيخ مضوى بن مدني بن عبد الدائم (من علماء الفونج وفقهاءهم)
أنه كان شاعرا وله في النبي صلى الله عليه وسلم قصائد واشعار مطربة للنفوس »
ولم يتحفظ المؤلف بقصيدة من تلك القصائد أو أبيات من تلك الاشعار .

من اولئك الشعراء الذين عرفوا في عهد الفونج ووصلنا شعرهم :

١ - مكى الدقلاشى (١) - يروى انه قال حين أراد الخروج إلى البادية :

اعمى يانفس ان الموت يفجعك
وتتزلزلن بديار لا بقاع لها
- محاسنك تبلى ويذهب جمالك
ر ورغبتك في الفاني نقص وحسرة
تحتوي بغتة والتقى مسكنك
الا التراب والدود ينتهش
تتمزق الاعضاء وتدرس عظامك
وعمرك محسوب ولم تدر أجلك

كما يروى انه قال في الحكمة :

الله لي علة في كل نائبة
ي فارحا بالمعاصي عند خلوته
ان الذنوب التي قدمتها كتبت
إلى متى انت في لؤ وفي لعب
فما مقالك والاسرار ظاهرة
تب يا بني آدم فانت اليوم في مهل
أقول في كل حال حسبي الله
أما علمت بأن الشاهد الله
ان كنت ناسيها لم يسها الله
فما مقالك في ما يعلم الله
والبار بارزة والحاكم الله
واستغفر الله ان اغافر الله

١ - تسد على الشيخ دمع بن العركي في أبي حرار . وبعد ان تصوف وتفقته عاد في بده حيث
أخذ يدرس ويدخل الناس في الطريق . الطبقات - صديق ١٥٧

ولم نحصل من شعره على غير هاتين المقطوعتين - الأولى من عشرة أبيات اخترنا منها أربعة ، والثانية ستة أبيات ، وقد أوردناها كلها .

٢ - على ولد الشافعي (١) . قل في مسح شيخه عمار بن عبد الحفيظ وهي عشرة أبيات ، ولم يذكر له غيرها :

يا طالبين لكل فن تبتغوا	شدوا الرحال ونوخوا سنارا (٢)
قد حل بها امام فاضل	زين النوافل على المقسار
ورع تقى صابر متواضع	وجل عليه سكينه ووقار
وله العلوم تأهات طوع المني	من غير اشكال ولا اعسار
في كل فن تطلبوه ترونها	بيدي الزيد كزائر الابحار
فقه وتفسير الحديث ومضق	وبديع علم والمعاني لدار
لغة ونحو والبيان وصرفه	علم الكلام به جلا لغبار
علم التصوف طال فيه يا فتى	وقتا به للسادة الابرار
تلك المناقب حازها وحوى لها	سمح الحصايل شيخنا عمار
وكان مجلسه المسمى ازهر	على المدارس في كلا الامصار

٣ - ابراهيم بن بقاء على بن حمودة الكاهلي (٣) . قال في رثاء والده الفقيه نقادى على حمودة . وهي مراثية من خمسة وثلاثين بيتا ، اخترنا منها :

الحكم لله كل غيره فاني	وفي المنايا عظام كل ولان
يا تأمها غافلا والموت يطلبه	أقصر عنك فللمنون عينان
وهذه الدار لا شبه يقاربها الا	سراب بدا في ظهر قيعان
سحارة الطرف ترمى في لواظها	سمية الصل لا راق ولا دان
كم اظهرت فرحا في طيه حزن	وما استحت واحدا في العصر رباني

١ - قرأ كتب العربية على عمار بن عبد الحفيظ وسلك الطريق على الشيخ دفع الله المركي . كان شاعرا ماهرا وله قصائد في مدح النبي ، وكتب من جميع دين العلم والعمل . انطبقت - ١٣٦٩ .

٢ - المصدر نفسه ١١٨ - ١١٩ .

٣ - ابن الفقيه العالم بقاء على بن حمودة ، صالح فاضل ، به صديق ٤٣ . مخطوطة كاتب الشوثة ٥٣ - ٥٥ .

في تاسع العشر من ذى حجة وسط
وضجت الناس عند موته فرعا
لاحبذا فقد أحباب فجعت بهم
فكم أحسن لاصوات مرثمة
فاز على بوعد خير إيمان
لما بدت ثلثة الاسلام في الآن
شم الانوف طوال الباع غران
حنين ثكلى شجائها فقد فردان

٤ - موسى بن يعقوب (١). قال يذكر « نعمة ربه عليه مع آيات ازال فيها :

سلام على قوم اذا ذكر اسمهم
تلاأت الانوار من نحو خالقي
نظرت إلى المحفوظ في كل ساعة
أمر على الآفاق انظر ما بدا
وارجلنا تسعى في الارض جملة
مقال عباد الله شرقا ومغربا
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى
نظرت إلى الجبل الذي كان نوره
فناجيت حقا فوقه متضرعا
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره
فاسمى موسى بالكليم مسميا
تهتك استارى اليهم برجفة
بوقت قيامي أو جلوسى بخلوة
تناهيت عن اظهار حكم الدهية
فاخبر عن ذكر النواحي الغربية
وفي مرة طيرا نظير بسرعة
بأذني اسمع سمعا بشهرة
وادعى في النواحي لفتية
يلوح على الاكوان كحلا لقلتي
فعاضت له منى اليه اشارتي
ولكني اكثي في الانام بقصة
ونور جلال الحق فوقى بمنسة

٥ - أحمد ابن الحاج الطيب (٢) - نظم قصيدة من واحد وعشرين بيتا يرثي بها
الشيخ يوسف بن الطريفي (٣) :

بدأت بحمد الله ثم صلاته
وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة
أيا رمس قد نلت المكارم والاعلا
وحزت به فضلا وفخرا ومترلا
على خير مبعوث واكرم من هدى
من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا
لكونك باشرت الامام الممجدا
وصرت به بين المقابر اوحدا

١ - نسبه ونصوف عن أبيه الشيخ يعقوب واشتهر بالصلاح . انطبقت صديق ١٥٢ - ١٥٤
الحاج الطيب - قتل مع محمد ونده عدلا سنة ١٢٣٥ هـ وهو صاحب علم ونبلاعه
مخطوطة كاتب الشوثة ٧٦

هو الخبر عند المضلات اذا أتت
فان نظر الانسان نظرة رحمة
اذا ما رأته العين في غابة الدجى
هو الكهف للآوى اليه جميعه
وكم من عراة عالة يقصدونه

يحل ويكشف كل ما كان معقدا
بها ينجلي ما كان في القلب من صدا
تراه مضيئا مشرقا متوقدا
هو البازل القياض ان تمدد اليدا
فتغشاهمو أمواج آلاه سرمد

٦ - الفقيه الصديق (١). قال يرثي شيخه العالم الفقيه أحمد بن عيسى من قصيدة طويلة :

أهالنا حدث أهى به البصر
لنا مصاب عظيم كان يعظمه
فشيخنا احمد قد ضاء جوهره
تنعیه كل علوم الدين ناشدة
من قام بالشرع والتدريس مجتهدا
له أياذ بتصرف العلوم اذا
ابان في محكم التنزيل مشتبها
محقق كامل التحقيق ذو أدب
طويل باع لفته لامراء له
وآلة العلم يديها محقة

وعمنا وجل يهوى به المطر (٢)
اجلة ما لقلب منه مصطبر
اذ أمه ملأ الافلاك والقدر
نداؤهم هكذا يا أيها القمر
وقام بالعلم فردا كان لا وزر
ضاقا مذاهبنا أو حارت الفكر
وقد نحا لأصول الدين ياتمر
وفي الحديث له التقديم والنظر
سليم قلب له العلياء والظفر
صرفا ونحوا بيانا زانه نظـر

(٣) - فرح ولد تكتوك (٣). قال في الحكمة من قصيدة فيها ثلاثة وعشرون بيتا :

يا واقفا عند ابواب السلاطين
تأني بنفسك في ذل ومسكنة
من يطلب الخلق في جلب لمصلحة
وكم يحاكي لمسجون يدوم له

ارفق بنفسك من هم وتخزين (٤)
وكسر نفس وتخفيض وتهوين
أو دفع ضر فهذا في المجانين
وكم من السجن في ايدي المساجين

١ - كان امام مسجد سنار . تراث الشعر السوداني ، ١٤

٢ - مخطوطة كاتب الشونة ١٠٤ - ١٠٥

٣ - كان شاعرا ماهرا وكلامه مطرب حاذق للتوب ، وعنده كلام في تهديد والتوحيد و الأدب

وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة - الطبقات صديق ١٤٦

٤ - شعراء السودان ٢٦٠

ان كنت تطلب عزا لافناء له
ولا تصاحب غنيا تستعز به
فانطمع برميك في ذل ومهالكة
والقنع ناه قريرا لا كصاحبه كما
فتق بربك لا تبغى سواه خسا
وكم جرى طمع في البيد معترب
فلا تقف عند ابواب السلاطين
وكن عفيفا وراعا حرمة الدين
وم يتيدك الا كل - هوين
تسم غصون في البستانين
والرزق منرله في ختم ياسين
ولم يحب قصده في اشياء والصين

عرضنا في ما تقدم نماذج من شعر شعراء العهد القويحي . ولم نغفل الا واحدا
هو ابراهيم عبد الدافع . وقد اغفلناه لانه من مختصرى العهدين . التركى والقويحي
ولأن أكثر شعره المروى عنه نظم في العهد التركى وهو عبارة عن اربع قصائد .
واحدة نظمت أيام النونج وفيها احد عشر بيتا فقط . والثلاث البقيات
نظمت انا ان الحكم التركى المصرى . ويتراوح طول الثلاث بين ثلاثة وعشرين
وتسعة وثلاثين بيتا . واننا نرى في كل ذلك مسوغا لاعتباره شاعرا في مجموعة
شعراء العهد التركى المصرى . وسنظر في شعره مع شعر تلك المجموعة .

سنبأمل تلك النماذج التى اوردها نرى انها لا تكاد تسهم من الاخطاء نحوية
كنت أو عروضية أو صرفية . فمن الخطأ النحوى قول احدهم (واسمه لم يذكر
في الكتب) فى رثائه دولة القونج :

أرى لدهرى اقبالا وادبارا فكل حين يرى للمرء اخبارا

فالعمل « يرى » تعدى فى هذا البيت لمفعوله الاول تعرف البحر اللام . ولا نعرف
مبررا لهذا الا اقامة الثورن . ذ يمكن ان يقال فى سهولة ويسر تامين « يرى المرء
اخبارا » على ما فى المعنى من ضعف وعامية لان الخبر لا يرى . قد لا يكون هذا
خطأ بالمعنى المفهوم اذ ليس هو مثل النحن . لكنه على أية حال استعمال مختلف
لنعرف النحوى (١) . اما اذا قرىء الفعل « يرى بصيغة البناء لمجهول فلا بد
من نائب فاعل . ولا يوجد اولى من « اخبارا » وهى كما نرى منصوبة . هنالك
فعل لازم آخر عداه الشاعر فنصب المفعول . وهم . تم . هى البيت :

وكل شيء اذا ما تم غايته أبصرت نقصا به فى الخول اجهارا

ف قول ابن مالك - وعد لا زما بحرف جر

ولعله يريد « أتم » .

من الاخطاء النحوية قول « على ولد الشافعي » :

يا طئبين لكل فن تبغوا شدة الرجال ونوخوا سنارا

حيث حذف نون الفعل المضارع ولم يسبقه ناصب أو جازم ، وقد تكرر هذا في قوله في نفس القصيدة :

في كل فن تطلبوه ترونه يبدى المزيد كزائر البحار

كما جاء فيها خطأ آخر في البيت :

علم التصوف طال فيه يا فتى وقتا به للسادة الأبرار

حيث نصب « وقتا » وحققا ان تكون مرفوعة على الناعلية . كذلك حذف مكى الدقلاشى النون من الفعل المضارع دون أن يسبقه ناصب أو جازم في قوله :

اعلمى يا نفس ان الموت يفجعك تموتى بغته والقبر مسكنك

أما الاخطاء الصرفية فمنها هذه المجموعة :

تبكى مدائنهم تبكى مواطنهم تبكى القبائل بدوان وحضارا

فـ « بدوان » و « حضار » ليست قياسية ولا سماعية في ما نعلم . كذلك « البحار »

في قول على ولد الشافعي :

يبدى المزيد كزائر البحار

ومنها ايضا لقاء ياء فعيله في الجمع الخصايل « من قول الشاعر نفسه :

سمح الخصايل شيخنا عمار

ثم ان مكى الدقلاشى جاء بزنة « فاعل » من « فعل » الثلاثي اللازم فقال :

يا فارخا بالمعاصي عند خلوته

وهذا يخالف القاعدة الصرفية . ومنها قلب الالف ياء في قول موسى بن يعقوب

واسمى موسى بالكليم مسميا - فقلب الف « مسمى » ياء دون مبرر . في بعض

الاحيان يلجأ الشاعر إلى اللغة العامية فيأخذ منها بعض العبارات كقول الغنقى :

طويل باع لفقه لامراء له ، وكقول ابراهيم بقادى على بن حموده الكاهلي -
شم الانوف طوان الباع غران و طويل ناع تعبير شائع في العامية . كذلك
كلمة « تهوين » بمعنى اهانه أو تخثير التي جاءت في قصيدة اشيع فرح ولد تكتوك :
تأتي بنفسك في دل ومسكنة وكسر نفس وتخفيض وتهوين

لا تحمل هذا المعنى في انعة الفصحى ولا في عامية عصرنا هذا . ومن الكلمات
العامية ضو بمعنى اضاء ، و ، غنى بمعنى أغنى وقد جاءتا في قول احدهم
وهو :

فكم غنى سائلا كم ضو بلدان

ومنها أيضا الكلمة « فردان أو فردني » بمعنى أوجد ، وهي في احد أبيات ابراهيم
بن بقادى الذي يقول فيه :

هكم أحن لاصوات مرثمة حينن ثكى شجاها فقد فردن

لقد كثر اختلال الورد والقافية في أكثر شعر النونج . فلم تحمل قصيدة
من القصائد التي أوردنا من وزن مختل أو قواء . فتنى المرثية التي ذكرت من قبل
ولم تنسب إلى شاعر معروف تجدد هذا البيت :

آه عليها وآه من مصيبتها لم نسلها اينم حللنا اقطارا

وهو غير موزون .

✓ أما أبيات مكسي الدقلاشي التي يبدأها بقوله :

أعلنى يا نفس ان لموت ينجعلك تموتى بغثة والقبر مسكنك

فتكاد تكون سجعاً . ومن خلل الوزن قوله في قصيدة أخرى :

تب يا بنى آدم فانت اليوم فى مهل

واستغفر الله ان الغافر الله

وقول على ولد الشافعى :

قد حل بها امام فاضل زين النوافل على المقدار

الابيات وهي من نظم موسى بن يعقوب :

مقال عباد الله شرقا ومغربا بأذني اسمع سمعا بشهرة
وعيني حقا قد ترى كل ما يرى وادعى في النواحي لفتينة
انا ابن يعقوب الذي شاع ذكره ولكني اكثي في الانام بقصة

غير سليمة الوزن ، وفي قول احمد ابن الحاج الطيب :

وبعد فقصدى ذكر مثقال ذرة من اوصاف من نالت به الأرض سؤدا

لا بد من قطع همزة اوصاف « ليستقيم الوزن . وفي قوله من نفس القصيدة :

هو الحبر عند العضلات اذا أتت نخل ويكشف كل ما كان معقدا

يتحتم جزء « يكشف كما يلزم ان تكون معقدا « بزنة » مُفْعَل « ليسلم الوزن
ويبدو اختلال الوزن في بيتي فرح ولد تكتوك وهما :

فالطمع يرميك في ذل ومهلكة وما يفيدك الا كل يهوين

والقنع نام قريبا لا كصاحبه كما تنام غصون في البساتين

ولتشف قليلا عند هذه الايات وهي من نظم ابراهيم بن بقادى وقد وردت مع
النماذج التي قدمناها :

الحكم لله كل غيره فانى وفي المنايا عظات كل ولهان

يا تأنها غافلا والموت يطلبه أقصر عناك فللمنون عينان

كم أظهرت فرحا في طيه حزن وما استتحت وحدا في العصر رباني

لندرك مدى حيرة القارئ في وزنها ، فلا بد أن يتوقف ويغير حركات بعض
الكلمات ليستقيم له الوزن .

بدأ على ولد الشافعي قصيدته بهذا البيت :

يا طالبين لكل فن تبتغوا شدوا الرجال ونوخه

بقافية قوية واضحة تأسر الاذن الا أنه لم يستطع الاستمرار .
هكذا :

قد حل بها امام قاضل زين

براء مكسورة فى القافية . ولكنه عجز عن الاستمرار فيها فأقوى وجء البيت
التالى براء مضمومة اذ قال :

ورع تقى صابر متواضع وجل عليه سكينه ووقار

وعاد مرة ثانية إلى الكسر فقال :

وله العلوم تأهلت طوع المتى من غير اشك ولا اعسار
واتبع هذا البيت أربعة أخرى قافيتها راء مكسورة ثم عاد مرة أخرى إلى الراء
المضمومة حيث قال :

تلك المناقب حازها وحوى لها سمح الخصال شيخنا عمار

ونجد الاقواء فى ابيات أخرى لشاعر لم نتف على اسمه . وهى :

سلام رب العلا اهديه الآن	إلى أمير بدار الفنج سلطان
هو الرشيد عزيز الاسم نذكره	محمد الميث نجل الشيخ عدلان
له خصال على الانداد زائدة	شجاعة القلب صدق ثم احسان

لم نجد فى مابين ايدينا من شعر المونج تشبيهات أو استعارات كثيرة . انما
هى كلها قليلة وسبب ذلك بالطبع قلة الشعر نفسه . فمن تشيائهم :

..... يبدى المزيد كزائر الاجار

.....
..... وكان مجلسه المسمى أزهر

.....
..... فكم أحن لأصوات مرثمة
..... هو الكهف للأوى اليه جريعه

..... كما تنام غصون فى البساتين
..... الحية لاروح فيها . أما الاستعارات وان كانت قليلة فانهم أكثر
اولاء نذكر نماذج منها :

ادبارا	فكل حين يرى للمرء اخبارا
لها	يوما يريه من الاحزان اكدارا

وتتجرد من سمات المجتمع السوداني على غناه بلعاني لسامية ومثل العليا . ان هولاء الشعراء جميعهم من العلماء ، وكل منهم تتلمذ على عالم فقيه متصوف مشهور . وبعضهم كما رأينا قدم أشيخه شيئ من نتاجه أو مدحا وهذا يفسر لنا الظاهرة الواضحة في شعر لقونج وهي شيوع لروح الدينية الصوفية في معظم قصائده . فاحمد ابن الحاج الطيب يبدأ قصيدته في رثاء الشيخ يوسف بن الطريفي « بحمد الله » ويختمها بالدعاء (١) والفقيه الصديق يختم رثاءه الفقيه احمد بن عيسى بالدعاء والصلاة على النبي (٢) . كما أننا نجد بعض لافناظ القرآنية في بعض القصائد كقول أحمد ابن الحاج الطيب . وبعد فقصدى ذكر مثقل ذرة « في البيت الثاني من المراثية التي تقدم ذكرها . ومثل هذا ما جاء في مراثية ابراهيم بن علي بقدي لابيهِ حيث قال :

على المرتضى في أمه وسطا مخطبين بكنتم خير دى شأن (٣)

وقد بدأ مراثيته هذى بقوله « الحكم لله » تم ختمها بالصلاة على سيدنا محمد .

تظهر الروح الدينية في قصيدة الشيخ فرح ولد تكدوك :

يا واقفا عند أبواب السلاطين ارفق بنفسك من هم وتحزين

وهي دعوة للزهد والابتعاد عن الحكم والتعويل على الخالق . انها موعظة أو سلسلة من الحكم منظومة ، وقد نجد في غير هذه القصيدة من قصائد شعر لقونج حكما ومواعظ تتخلل ابيات الرثاء أو ابيات المديح لا أنها كلها لا تدعو « دعوة ايجابية إلى الاقبال على الحياة والعمل على مجتدة الزمن والاندماج في الجماعة » (٤) . و أبيات مكي الدقلاشى :

يا فارحا بالمعاصي عند خلوته	أما عسيت دن الشاهداء له
ان الذنوب التي قدمتها كتبت	ان كنت ناسيها لم ينسها الله
إلى متى انت في هو وفي لعب	فما مقلت في ما يعلم الله

١ - مخطوطة كاتب الشوكة ٤٦ - ٤٧

٢ - مخطوطة كاتب الشوكة ١٠٦

٣ - مخطوط كاتب الشوكة ٥٤

٤ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - هابدين - ١٩٧٠ .

تدعو إلى الكف عن المعاصي وتذكر بالله وبالكرام الكائين . وهى - مع غيرها مما قدمه - يثبت ما قلناه فى شيوع الروح الصوفية وورود الحكم والمواعظ فى شعر الفنونج . ومما يثبت الأثر الصوفى ويبرزه واضح حليا آيات موسى بن يعقوب التى قل فيها محكما شاعر الصوفى المعروف ابن الفارض :

سلام على قوم ذا ذكر اسمهم تهتك استارى اليهم برجفة
تلاآت لانوار من نحو خالقي بوقت قيامى أو جلوسى بخلوة
نظرت إلى المحفوظ فى كل ساعة تناهيت عن اظهار حكم الدهية

انه يتحدث عن تهتك الاستار ، ويسلم على قوم ، وكذلك عن « تلاؤ الانوار من عبد الخالق » و « النظر إلى المحفوظ » . و سماع مقال عبد الله شرقا ومغربا ، وهكذا حتى يشعر القارىء انه قد فى عالم آخر ، وبثنه يتيه بمكانته فى ذلك العالم الآخر .

يتسم هذا الشعر فى جملة بضعف الخيال فلا نكد نجد شيئا من خطرات الخيال أو سبحاته ، وانه ليخلو تماما من الصور الشعرية الجميلة التى تأسرك فتقف عندها تتأملها وتتملأ بها . أن معاني المدح والثناء التى جاءت فى قصائد شعراء الفنونج ميدان فسيح للخيال يحوب اطرافه ليخرج منه صورا شعرية أخاذة ، وقد أمكن لبعضهم ان يحى ببعض الصور لكنها مفردة باهتة تقتصر إلى الواضح ناهيك بالانارة والاسر . جاء شعر هذه الفترة هكذا لأن « الحركة الادبية قامت على يدى هذه الصفوة اقليلة من علماء العصر (عصر الفنونج) وكانت تسعى إلى النظم بالعربية الفصحى . ولكهم لم يتجاوزوا دائرة التصوف الذى سيطر على الحياة فى ذلك الزمن (١) . ان لغة شعر العهد الفوننجى ركيكة ، وبعض القصائد يكون مزيجا من العامية والفصحى ، والاسلوب بصفة عامة « مضطرب كثيرا ولم تكن الفصحى بمهمة لديهم بقدر اهتمامهم بالانشاد والانحراف فى نشوة الترويم (٢) . ومهما يكن من شىء فان شعر الفنونج نشأ ونما فى مجتمع بسيط تسيطر عليه الصوفية بل انه ولد وترعرع فى احضان الحركة الصوفية . فجاء معبرا عن ذلك المجتمع

١ تاريخ الثقافة العربية فى السودان ، عابدين ، ١٩٠

٢ المصدر نفسه ١٩٨ - ١٩٩

وليس لأحد أن يتوقع غير ذلك . بقى أن نقول أن مـ وصفا من شعر القونج يبلغ
مائة وثمانية وخمسين بيتا فقط .

(١) في العهد التركي اشتهر خمسة شعراء . وسنعرض نماذج من شعر كل
منهم ثم نتناولها بالنقد فيما بعد .

والشعراء هم :

١ - ابراهيم عبد الدافع (١) وقد تعرضنا له في سياق حديثنا عن شعر عهد
القونج وشعرائه . وقبلنا آنذاك أننا ستحدث عنه في معرض حديثنا عن شعراء العهد
التركي وشعرائه لأن الشعر الذى نظم فيه هو الكثرة من نتاجه . إذ نظم في العهد
القونجى أحد عشر بيتا يرثي بها المقيم محمد ولد ضيف الله تختار منها الأبيات :

أظمان علم يطلب الرشيد والهدى	لعمرك اضحى شملة متبددا (٢)
دع العين تبكى دهرها يتوجد	على غيض بحر كان بالعلم مزبدا
هو الخير نجل الخير ضيف الهنا	لقد حاز فخرا فى الانام وسؤددا
هو العالم المشهور والعلم الذى	به يرشد الهادى إلى سبل الهدى
وانك اذا ما تأتة لقضيصة	تجده مبينا للثواب ومرشدا

إلى أن يقول فى ختامها :

فحاشا وكلا ان يظن به علا سوى	الجود والافضال والخير والندى
وصل الهى ثم سلم على الذى	ختمت به رسلا وآيته هدى

وفى رثاء الشيخ احمد بن الطيب شيخ الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة ،
مرشد الضالين ، ذى الكرامات العديدة . والارشادات المفيدة (٣) . وفى العهد
التركي ، قال :

عرج بركبك حادى الا طعان	واحطط رحالك مبنغى العرفان (٤)
عند الفقيه مكمل السر الذى	قطع الزمان مراقب الديان

١ - أديب وشاعر سوداني صار تاضيا فى العهد التركي المصري - قاموس تراجم

٢ - مخطوطة كاتبة الشنة ٦٧

هو بدر تم ضاء في البلدان
هو لا يرى نفسا على انسان
هو مرشد الغاوى الجهول الفاني
هو روح جسم عالم السودان

هو بحر علم بالغيوب مكاشف
هو بالتواضع والخضوع مميز
هو للمريد مهذب اخلاقه
هو زاهد الدنيا وحاسم حبه

ثم يختتمها بقوله :

منه الرضا والختم بالايمان
ما غرد القمرى فوق البان

وعساه يغفر زلتى وينيلنى
ثم الصلاة على النبى وآله

وما توفي نفر من « العلماء الابرار العاملين » رثاهم بقصيدة من تسعة وثلاثين بيتا ،
قال فيها (١) :

بموت اخواننا في الله والعلماء
نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
امام محرابنا الحبر الرضى شيماء
زهر النجوم وصرنا في شديد عمى
امامهم لينالوا الاجر متنتما
في مسجد مثل ما الافلاك فوق سما
مد الزمان وصار الوصل منصرما
من معهد الخوجلى القطب وانحسما
من بهجة الدين والدنيا وقد عدما
منهم غدت مسكن الطاغين والظلما
إلى العلوم وللقرآن والحكما
تعافه أعين الرائي ومن طعما

اليوم اصبح ركن الدين منهما
واظلمت ارضنا حقا وقد خمدت
والنهر افجعنا فى الشيخ قدوتنا
والنيران معا غابا وقد أفلت
كانوا على ظهرها فى الصف يقدمهم
والآن فى بطنها صاروا كحالتهم
وزال وقت صلاة الخمس فى ملأ
وانبت ما كان موصلا بمسجدنا
وانحل ما كان معقودا بقببنا
ديارنا بعد ما كانت معمرة
كنا زمانا يجينا الركب من بعد
صرنا طعاما بلا ملح يلد به

وفى ختامها قال :

نبينا من إلى الارسل قد ختما
شمس النهار وما برق قد ابتسما

ثم الصلاة على المختار سيدنا
والآل والصحب والاتباع ماطلعت

كذلك رثي شيخه الفقيه أحمد بن عيسى بقصيدة من اثنين وثلاثين بيتا نورد منها :

بكى السماء وعم الأرض بالمطر	بعد الكسوف لشمس العلم والقمر ^(١)
والدمع سال على الخدين منحدرًا	كالسبب في الديمة المخطيء والنهر
وحل بالناس خطب لا نظير له	يموت شيخ الهدى المحمود في السير
شيخ السلوك وقطب الوقت مفرده	امام كل بني سنار والقطر
علامة العصر بمجد الدين ناصره	بنشره الفقه طول الدهر والعصر
روح الحياة حياة الروح صحبته	وراحة النفس في رؤياه بالبصر
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت	جيوش اسراره في البدو والخضر
ختام مسك لمن ارث العلوم حوى	عن سيد الرسل خير الخلق والبشر
مكمل السر من كان الزمان به	مجملا ومحلى الراس بالدور
والوقت كان ربيعًا والبلاء به	مبيضة الوجه والايام كالغمر
ومجلس العلم في سنار كان به كالرو	ض حين يرى في اجمل الصور
والآن سين سمو البدر قد حذفت	وعادت النار ترمى الناس بالشر

ثم ينهى الشاعر مراثيه بالبيتين :

ثم الصلاة وتسليم الاله على	خير الورى احمد المختار من مضر
والآل والصحب والاتباع ماذكرت	بكى السماء وعم الأرض بالمطر

(٢) ومن شعراء العهد التركي الشيخ الامين محمد الضرير (٢) قال يمدح الخديوى توفيقا :

الود مادبة والصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان^(٣)

وقد اوردنا آياتا في ماتقدم .

ونظم قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وضمنها سور القرآن وفق ترتيب المصحف - قال :

١ - مخطوطة كاتب الشوفة - ١٠٣ .

٢ - العلم اسوداني معروف ، كان سدا مضاع في عشرته ، مهذا ديد لكمة عبد الحكيم . شجاع
متنصر للحق توفي ١٣٠٢ هـ - شعراء السودان ١٩ .

٣ - المصدر السابق ٢٠ - ٢١

يارب صلى على من كن فاتحة بكر الوجود به عمر اننا اتصالاً (١)
واختتمها بقوله :

وبالصلاة صل التسليم ما وصلت لنا المصلات على من نوره اصلاً ؟
والآل والصحب والازواج كلهم وكل متبع من قدره كملاً
ومراد الشاعر من قوله « نوره اصلاً » غير واضح .

ونظم قصيدة أخرى في مدح النبي . ويمكن أن تقرأ على وجهين ، قل :
حمدا لمن أبدى لنا سبحانه من امنا بهداه اذ قد صباه (٢)
نسباً صريحاً عن خنى ومكنه في القرب لم يدرك رسول ذو ثنا
لعله يريد نسباً مبرراً .

اذ خلقه متقدم قبل الورى فاضنا ابداه نورا مظهرا
لسواه فهو اساسنا ولذا جرى بظهور من بظهوره حازوا المنى
واختتمها بالبيتين :

صلى عليك الله يا مختار ما ظهرت لنا شمس الهدى ومن انما
لجنا بكم يا ذخرننا مترحما ما انشدت حمدا لمن أبدى لنا
(٣) ومنهم كذلك الشيخ محمد أحمد هاشم (٣) . وقد قال في تهنية الخديوى توفيق
بعيد جلوسه قصيدة : اوردنا بعض أبياتها فى ما تقدم .

✓ (٤) والشيخ أحمد الازهرى (٤) كن من شعراء العهد التركى . ومن شعره قصيدة
طويلة (من سبعة وخمسين بيتا) نظمها فى مدح أبيه لما أحرز نصرا على بعض
القبائل الغضبية . قال :

كر اسماعيل بين المحافل ولو هازلوا طرب به قلب غافل (٥)

ل. هـ نفسه ٢٢ - ٢٥

س. ش. السودان - ٢٥

حاشية ١ صفحة ٤٣

بمذبة 'النبص' ، وحملت شترآ فيها ، وتبقى عمومه على أحد العلماء الازهرين ، ثم هاجر

الازهر . عمل بالندريس ، وبين قصيداً للكرود ودارفور . قبل ١٨٨٣ هـ - نشرت ابراع ١٠٤

المصدر نفسه ١٠٤

ليعلم من ذكره من نحو قلبه طلاوة ما يبدو لأهل القوابل

ألم تر أن الله مـيز خلقه بتأخير مقضول وتقديم فاضل
فقال «رفعنا بعضكم فوق» فاذا ترى رفع بعض فوق بعض المقابل

(٥) ومن شعراء العهد التركي الشيخ يحيى السلاوي^(١) صاحب البئية المشهور التي نظمت تأييدا للثورة العرابية ، وقد أوردنا شيئا منها في ما سبق وقال في مدح السيد محمد سر الختم :

بليت وطرفي للمحاسن يقظان { وطرف الالبالي عن ذوى المجد وسنان^(٢)

فسيان عندي أحسن الدهر أم أسا متى صح لي بالله عقل وإيمان
وهل بعد تهذيبي على المجد اتقى من الدهر بأسا ان دنا الناس أوبانوا
ولي جيش عزم ثابت متألف عظيم له في الخطب بالحرب آذان^(٣)
وقال يمدحه ايضا :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر^(٤)

دم للندی یابن سر الختم مبتهجا وقرعينا بذكنر نشره عطر
لك العلا والحلا حالا ن لم يحلا فيهن للميدح اسواق ومتجر

تلكم نماذج من شعر العهد التركي عرضناها لكي ندرسها ونقف بعرضها ودراستها على ما بلغه الشعر في ذلك العهد في شكله ومضمونه ولنعرف كذلك مدى ما قدمه شعراء العهد التركي للشعر السوداني بصفة خاصة وللشعر "سري" بصفة عامة . وسنورد النصوص كاملة في الملحق في آخر البحث .

٧ ان اول ما نلاحظه على شعر العهد التركي انه انحصر في موضوعين

١ - أنظر حاشية ١ ص ٣٩

٢ - نفثات اليراع - ٨٥ .

٣ - يقصد اذان

٤ - نفثات اليراع ٨٧

الرثاء والمدح ، ولم يخرج عنهما الا قصيدة واحدة من نظم الشيخ يحيى السلاوى التى قال فيها :

شغل العدا بتشتت الأحزاب والله نصرنا بسيف عرابى

حاول الشاعر فى هذه القصيدة اثارة الحمية الاسلامية واشعان نار الحماس فى المواطنين المصريين ليؤيدوا الثورة العرابية . وليشدو من أزر قائدها . ومع هذا لم تخل القصيدة من المدح لانه مدح اولئك الذين وقفوا مع الثورة وبذلوا من أجلها وسماهم بأسمائهم ليثير فى الآخرين شعورهم الوطنى وحميتهم الدينية .

نلاحظ أيضا أن الاخطاء فى هذا الشعر شعر العهد التركى بصفة عامة — قليلة ، ونعنى بذلك اخطاء النحو والصرف و اللغة . ولم نجد شيئا منها الا فى بعض ابيات ابراهيم عبد الدافع مثلا قوله فى احد ابيات قصيدته التى برئ بها لعلماء :

والدهر أفجعنا فى الشيخ قدوتنا

حيث استعمل « افجعنا » وهذا خطأ صرفى فليصواب فجعنا . وفى نفس القصيدة قال :

ديارنا بعد ما كانت معمرة منهم عدت مسكن الطاغين والظلماء (١)

والجمع الصحيح هو « الظلمة » .

ومع أن الوزن فى جميع قصائد هذا الشاعر يكاد يكون مستقيما . الا أن نظمه ضعيف فى بعض الاحيان . ونجد ذلك فى قوله فى القصيدة نفسها :

ثم الصلاة على المختار سيدنا نبينا من إلى الارسال قد ختما

فهو يعدى « ختم » بحرف الجر إلى « ولا داعى هذا لان الفعل متعد اصلا . ولا نرى داعيا لحرف التحقيق « قد » لأن المعنى لا يحتاج اليها ، والمقام بصفة عامة لا يقتضيهما لكن ربما تقتضيها اقامة الوزن . كما تقتضى تعدية الفعل المتعدى . وفى قوله من مراثية للشيخ احمد بن عيسى :

بكى السماء وعم الارض بالمطر نعد الكسوف لشمس العلم والقمر

حيث جاء بلام الجر . ولا نرى ما يدعو لها غير اقامة الوزن ، لأننا نقول كسوف الشمس ، وكسوف القمر بالاضافة الصريحة .

وانا لنجد في هذه النماذج بعض الإخطاء في النحو كقول ابراهيم عبد الدافع كنا زمان يحينا الركب من بعد إلى العلوم ولتقرآن ولحكما

و « الحكم » معطوفة على مجرور وحققها ان تكون مجرورة . لكن الشاعر لا يأبه للقاعدة النحوية في سبيل اقامة الوزن .

و كقول محمد أحمد هاشم :

محمد من بتوفيق الاله سما فوافق الاسم معنى طاب ذاكره

حيث قطع همزة الوصل اضطرارا في « الاسم »

وقد حدث عكس هذا في قول الشيخ احمد الازهر :

ادر ذكر اسماعيل بين المحافل ولو هدرلا واطرب به قلب غافل

حيث وصل القطع اضطرارا في « اطرب »

وفي قوله :

صلاحي وتسليمي على اشرف الوري محمد من لي اليوم اعظم كفل

حيث منع الصرف اضطرارا في « محمد »

كما نجد بعض التحريف وذلك في قول الشيخ الامين محمد الضرير :

الود مأدبة والمصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان

حيث حرف كلمة « خيوان » في الشطر الاول بغية الجناس والتحريف امر مشهور في الرجز القديم ولكنه معيب على أي حال .

درج هؤلاء الشعراء على اختتام قصائدهم بأحدى طرق ثلاث : وقد يجمع

واحد منهم بين طريقتين في قصيدة واحدة ، والطرق الثلاث هي :

١ - الصلاة على النبي

٢ - اعادة الشطر الاول من البيت

٣ - التاريخ بحروف الهجاء

فشيخ ابراهيم عبد الدافع اختتم قصائده الثلاث بالصلاة على النبي كما رأينا في النماذج ، والضرير اختتم واحدة (وهي مدح الخديوى توفيق) بتاريخ وأخرى بالصلاة على النبي أما الثالثة فقد جمع فيها بين الصلاة واعدة الشطر الاول من البيت الاول . فلاحظ ان لغة هذا الشعر بصفة عامة خير من لغة شعر القونج ، فالأخطاء أقل والتعابير والانفاظ سليمة فصيحة الا فى القليل النادر الذى جاء فى قصيدة الشيخ محمد أحمد هاشم حيث قال :

تباشرت بربر فى يوم مجمعها بمولد فيه ذل الخير ناشره (١)

وكلمة تباشر ، بالمعنى المراد هنا عامية سودانية . نمة ظاهرة أخرى تجلت فى هذا الشعر وهى التلاعب بالانفاظ ، وقد برزت لنا فى شعر الشيخ الضرير فكثيرا ما يحس بين الالفاظ كقوليه فى مطلع قصيدته التى مدح بها خديوى مصر :

الود مأدبة والنصدق اخوان والصادقون لدى الآداب اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحالهم فهى الشعار حظوا بالوصل أو بانوا

وفىها أيضا :

أليس عارفكم بيدى معارفكم

وكذلك فى قوله من نفس القصيدة :

بحور فضل بلا من ولا علل نعم لهم علل بلن مـزدان
فالجد جدت عليا فى محامده وسينه الشهم ابراهيم معـوان
مخايل الخير فى توفيقه ظهرت اكرم بشهم له التوفيق عنـوان
ر عين الافاضل لا تحصى فواضله لانه فاضل الاعيان محسـان

واحيانا يطابق بين الالفاظ كقوله :

فالعسر يغلبه يسر ان اوضح ذا ما فى الحديث وما اخفاه برهان

اننا نجد مثل هذا التلاعب فى شعر الشيخ يحيى السلاوى ، ففى نونيته التى مدح بها السيد محمد سر الختم الميرغنى . وقد عرضنا مجموعة من أبياتها فى نموذجنا - قل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم الماء من سقم
ان المصطلحات العلمية وجدت طريقها إلى شعر العهد التركي ، ونجد النحوية
منها في شعر الشيخ الضرير حيث قال في مدح الحديوي توفيق في انونية التي عرضنا
بعض ابياتها في ما تقدم :

أسما غدا رافعا اعلام نصرته مع نصبه انخفضت للفتح بلدان
فصار يكسر بالتقديم شوكتها فلم يعد اهلها للحرب بل دانوا
كما نجد المصطلحات العروضية في قول الشيخ أحمد الازهرى وذلك في قصيدته
التي نظمها في مدح ابيه ، قال :

فبحرى طويل حيث صرعت وزنه ثنائي ضروب من فحول معادل
ونلمح في قصيدة الشيخ أحمد هذى بعض الالفاظ والمعاني القرآنية ومثال ذلك
قوله :

ألم تر أن الله ميز خلقه بتأخير مفضل وتقديم فاضل
فقال رفعنا بعضكم فوق^(١) فدكر ترى رفع بعض فوق بعض المقبل
نعم درجات خصها الله بالذى تقرب بالمفروض ثم النوافل

ونلمح مثل ذلك في قوله :

ويونس لم يأتق إلى الفلك^(٢) عابثا أتى نبذه بعد التقام لساحل

والآن يمكننا القول بأن شعر العهد التركي مع قلة عدد شعرائه يفضل شعر
العهد الفونجي في لغته وفي أسلوبه بصفة عامة - فقصائده تكاد تخلو من اختلال الوزن
ومن الأخطاء نحوية كانت أو صرفية أو لغوية . الا أن الخيال ظل ضعيفا في
العهد التركي كما كان أيام الفونج . اما المعاني في الموضوعين اللذين اقتصر عليهما
الشعر - المدح ولثناء - فلم ترد عن المعروف المألوف - ففى مدح النبي مثلا
لا يجد الشاعر ما يخلعه على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه الا أنه « أم الناس
بالهدى » وأنه « نور أظهره الله » و « هو عدتنا وذخيرتنا » وأنه « صريح النسب
مطره عن الخنى » وأن « النساء لم يلدن مثله ولن يلدن » ثم يعقب هذه المعاني

١ - سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

٢ - سورة الصافات الآية ١٤٠ .

بدعاء واستغاثة بالنبي - وعندما يمدح شاعر شخص من ذوى المكنة فانه يخلع عليه ايضا عددا من الصفات ويحاول الوصول به إلى درجة الكمال فى تلك الصفات . فالكرم والعلا والشجاعة والتقوى والمقدرة على فقه الخصوم واخضاعهم ثم الفضل الواسع وطيب الأصل وبيان الطريق كلها ترصن رصا ولا تبين شيئا كثيرا أو قليلا فى شخص الممدوح وهى كلها لاتعدو أن تكون من المعاني الانسانية المعروفة التى يشترك فيها كثير من عبادة الله فى كل بلد وفى كل زمان ومكان . وفى خضم هذه المعاني العادية نجد احيانا قليلة معنى عاميا كقول ابراهيم عبد الدافع فى قصيدته التى رثي بها العلماء :

صرنا طعاما بلا ملح يلد به

ان هذا المعنى كثير الورد فى كلام انعامية ، لكنه يرد فى نقاط مختلفة . و احيانا فى كلمة واحدة تقال عن الشيء أو الشخص أو الحياة أو العمل .

كل هذه المعاني تورد بشكل تقريرى لاحظ لخيال فيه . ولا يكاد القارىء يعثر فيها على أثر لشخصية الشاعر أو للشخص الذى تقال فيه .

وفى الرثاء حدثنا احد شعراء هذا العهد عن انه بدم ركن الدين « و » بكاء السماء « وعما حل بالارض والناس . وما اصاب الشمس والقمر ، وما آلت اليه حقائق الدرس بعلومها المختلفة . إلى غير ذلك مما يراد به تصوير الخطب العظيم والمصاب الأليم . بعد هذا التصوير عمد اشاعر إلى ذكر محاسن المتوفى وتعداد مآثره ومفاخره بطريقة الممدح ذاتها . ذلك السرد التقريرى الجاف الذى لا يوحى بعاطفة ولا يعبر أو يكشف عن حسرة . ولا يرسم صورة ناطقة للمرثى . بدت لنا معاني الرثاء ونحن نتأملها جافة لا حياة فيها ، عديدة لا تحوى جديدا مبتكرا . أما الصور فاننا لا نكاد نجد الا صوراً مفردة متمثلة فى التشبيهات التى جاءت فى شعرهم ، وأكثر انواع التشبيه ورودا هو البديع « ومن ذلك قول الشيخ الضرير فى النونية :

الود مأدبة والصدق اخوان

بحور فضل بلا من ولا علل

وفي الامة التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم :

« سبحان جاعله كهفا لى . تم فكان في طيبة الغراء شمس هدى »
« أعرافه لمسك والانفاق وافرة . كالنمل في قصص بل حطمهم حصلا »
ومنه أيضا قول الشيخ محمد أحمد هاشم في قصيدته التي نظمها مهنا الحديوى
بعيد جلوسه حيث قال :

« والسعد خادمه في كل آونه »

« وذا منبع الاحسان ما طره »

« ملك حسن واحسان والهة »

وفي قصائد الشيخ يحيى السلاوى نحمد هذه الامثلة : في البائية —

جبلان مرتفعان دونهم الورى	كاشمس في زحل بلا اطناب
.....	وارسل عليهم منك سوط عذاب (١)
جود لهم سيف اليقين فانهم	خسروا وسيف الحق ليس بناب
والسيد البكرى تاج نقابه	أشراف اهل المجد والأنساب
وجناب قاضى مصر سيف شريعة	يسطو على كل امرىء متغابي

وفي احدى مدحيته للسيد محمد سر الختم الميرغنى —

ولى جيش عزم ثابت متألف

وفي الأخرى :

ونور علمك لا تخفاه خافية (يقصد لا تخفى عليه)

والمجد عقد نفيس انت جوهره

لازلت ركننا لنا فى ظله متع كاشمس تمتد منها الانجم الزهر

وفي قصيدة الشيخ أحمد الازهرى نجد التشبيهات :

ولا سيما من بعض أهل زماننا	شياطين انس عصبوا كل نخامل
ظواهرهم مصلوحة (٢) باحتياضهم	يراهم غير القوم مثل الامائل

١ - تقرا « وآرسل » بهزة وصل الوزن

٢ - هذا الوزن غير معروف فى هذه المادة .

عندى سيف نص موضح أجز به رأس الجهول المجادل

وقل لزنيم كان يجهل أمره أذاك أذاك الخزي اتيان وابل

ومن مراثيات الشيخ ابراهيم عبد الدافع نأخذ الامثلة :
من الأولى :-

هو بحر علم بالغيوب مكاشف هو بدر تم ضياء فى البلدان
هو روح جسم عالم السودان

ومن الثانية :-

والآن فى بطنها صاروا كحالتهم فى منسجد مثل ما الأفلاك فوق سما
صرنا طعاما بلا ملح يلد به تعافه أعين الرائي ومن طعما

ومن الثالثة :-

والدمع سال على الخدين منحدرًا كالسبب فى الديمة الهطلاء والنهر
كثر الهداية مصباح الولاية فى حضائر القدس من أهل الولا الخير (أ)
سراج أمة خير الخلق عمدتها وتاج عز ذوى العليا بلا فكر
روح الحياة حياة الروح صحبته جيوش اسراره فى البدو والحضر
من منه فاضت عيون العلم وانبعثت
كذلك نجد الصورة المفردة فى بعض استعارات وردت فى شعر هؤلاء لشعراء
نذكر منها على سبيل المثال :

فى شعر ابراهيم عبد الدافع ، وفى مراثيته للعلماء نجد :-

اليوم اصبح ركن الدين منهما نار الكتاب وضاع العلم وانعدما
واظلمت أرضنا حقا وقد خمدت وقد بكينا دما والموت فرقنا
واشقتونى بعد سادات تغولهم ريب المنون فواحزنه واندمما

شكوت زمني بالاسى وشكرته
فسيان عدى أحسن الدهر أم أسا
وهل بعد تهذيبى على لمجد اتقى
وتهذيبه لى فى الحقيقة احسان
متى صح لى بالله عقل وإيمان
من الدهر بأسا اذ دد الناس أو ناثوا

وفىها أيضا :

ولرفد وفد فى حماه معزز
ضيوف تواليها على الحظ ضيفان

امام همام واحد العصر لم يكن
على فضله المأثور فى الدهر رجحان

وقد نظر بعض هؤلاء الشعراء إلى بعض الشعراء الاقدمين فى أبيات من قصائدهم فمثلا قول الشيخ ابراهيم عبد الدافع فى رثته العلماء :

وانت ما كان موصولا بمسجد
وانحل ما كان معقودا نقبتنا
من معهد الخولى القطب وانحسا
من بهجة الدين والدنيا وقد علما

ينظر إلى بعض أبيات ابن زيدون فى نونيته .

والشيخ الضربى فى قوله :

حتى نقول على عكس الذى رعموا
تصرف فى نصف البيت المشهور لأبي البقاء الرئدى :

من سره زمن ساءته ازمان

والشيخ احمد الازهرى حين مدح أباه بقوله :

فلم تحصر الخيرات فيمن تقدموا
نظرا إلى قول ابي العلاء :

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الاوائل

وبقوله :

وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه
ولم يدرك ذو الاسقام طيب المآكل
نظرا إلى القول القائل :

وفى ميراثه احمد بن عيسى -

بكى السماء وعم الأرض بالمطر

وفى شعر الشيخ الضرير ومن نونيه انود مأدبة والصدق اخوان « نجد -

فى ظل والده الممدود فى عمر له مع الطول بالخيرات عميران
من معشر ما زهت مصر بمثلهم من الملوكة وللتحقيق برهبان

أما قصيدة الشيخ محمد احمد هاشم فنورد من استعاراتها :

اليمن أقبل بالاحسان طائره

الكون قد رقصت فيه محاسنه

الفصن اعلن بالتغريد طائره

ضياء سوداننا من حسن رأفته

حيث الفاخر مضروب سراقها

هذا الخديوى الذى سحت فضائله .

ومن شعر الشيخ أحمد الازهرى نختار الامثلة :

أدر ذكر اسماعيل بين المحافظ

رضاء الاله قد يحف جنابه

أتاك أذاك الخزى

ومن بانية الشيخ يحيى السلاوى نختار هذه الأمثلة :

وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا والمجد يرفل فى رفيع ثياب

واشدد عراهم بالخليفة انه متكفل بالنصر للأحزاب

ومن النونية :

وللمجد ركن منه لازال ثبت توطد منه بالولاية أركان

ومن الرائية :

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمر

خذها أميرى رعدك الله سالمة من كل عيب عروسا زاتها الخفر

زفت لعليك والاجلال يقدمها والعز والبشر والتكرم والفا

تلكم نماذج من استعارات شعر العهد التركي اخترناها من قصائد شعراء ذلك العهد أمثلة للصور المفردة التي جاءت في شعرهم . وهي في رأينا بجلتها هذى — وبما يحيط بها من مأخذ واردة فى تلك القصائد لا تشير إلى موهبة مصقولة أو خيال واسع أو براعة فى الإخراج . وهؤلاء الشعراء الخمسة كلهم عظماء . شغلوا فى مطلع حياتهم بدراسة الدين . وفيما بعد بالعمل فى التدريس أو القضاء ولم يتفرغوا للأدب عامة أو الشعر خاصة ، ولما نظموا الشعر وجهوه إلى رجال الدين يمدحونهم ويرثونهم تقديرا للسلطان الروحى ، كما اتجه به بعضهم إلى الحكومة طلبا لارضاء السلطان الزمنى أو اعترافا ببعض فضله . وهذا يعنى أن التجربة الشخصية والاثارة النفسية (أو الانفعال العاطفى) لم تتوفر لهم ، ان توفرت فعلها لم تجد قوة تعبر عنها تعبيرا يجعل منها قطعة أدبية رائعة .

ان شعر العهد التركى انحصر فى دائرة ضيقة — دائرة المدح والثناء وفى هذه الدائرة الضيقة قيده شعراؤه فوقنوه على رجال الدين ورجال الدولة ، أما الحياة الاجتماعية فلم يتعرضوا لها فى شعرهم وقد كان لناس يعانون من بطش الترك وعسف وكلاهم . لم يثر الظلم المتفشى احدهم ، ولم يجد ما كان يلقاه المواطنون من قسوة الحياة وسوء الادارة صدى فى نفس احدهم ، ولو حدث شيء من هذا لكان لشعر العهد التركى وقع آخر فى نفوس الناس ، وموقع خطير فى تاريخ البلاد الاجتماعى والأدبى .

ومهما يكن من شيء فان الذى وصلنا من شعر العهد التركى هو اربعمائة وسبعة عشر بيتا ، ونحن اذا حكمنا انما نحكم على هذا القدر الذى حفظته لنا الكتب التى تيسر لنا النظر فيها .

الفصل الثاني شعراء المهديّة

ثورة المهدي أسبابها وغاياتها :

ان الحكم المصرى التركى الذى دان له السودان قرابة سبعين عاما بدأ إثر قتال دموى فى دار الشايقية انهارت بعده مقاومتهم وسلموا للحكام الجدد وخضعوا لقوتهم التى لم يكن لهم بها قبل . وبعد حرب معنوية فى البقاع الأخرى كدار الجعليين وسنار وغيرهما ، فنى بربر « سلم لهم البلاد الملك نصر الدين ، ووافاهم هناك ايضا ابو حجل ملك الرباطاب مطيعا مواليا » (١) أما سنار فقد ظهرت فيها الخصومات الشخصية . وبرزت الاحن والاحتقاد ، ولم يكن فى وسع بلاط الفونج العتيد الذى ظل ثلاثة قرون مهيمنا على البلاد فى قوة وعزة ومنعة ان يتحد ويصمد ويقاوم بسبب الفتن والاضطراب . ولم يجد الملك بادى صاحب المظهر والاسم بدأ من الاذعان والطاعة » (٢) للغزاة . انهزم السودانيون اذن امام هذه القوة انطاعية الغازية لأنها كانت أكبر من قوتهم ، ولم يكن لهم قبل بما فيها من سلاح وعناد وخيل ورجل . وانهزموا كذلك لان بعضهم تيبب اللقاء وخارت عزائمهم ولان الشقاق دب بين بعضهم وآثر بعضهم السلامة فالتقى السلاح واعلن الاستسلام للجيش النصارى والولاء والطاعة للحكم الجديد . لكن يمكن ان ينسى السودانيون تلك الهزيمة العسكرية فى ديار الشايقية وذاك الاندحار المعنوى فى البقاع الاخرى ؟ لا شك انهم ظلوا يذكرونه سنيين طويلا ، ويتناقلون اخباره طوال مدة حكم الاتراك . ولعل تلك الذكرى بقيت مصدرا لاسى وحسرة لكثيرين ، وربما كانت هذه الأخبار مبعث ألم وموجدة فى نفوس مجموعات منهم . واذا سلمنا بوجود هذه المشاعر — مشاعر الأسى والحسرة ، والام والموجدة فى نفوس الاهلين — يمكننا القول ايضا بأنها لا بد آخذة فى النمو والتفاقم إلى ان تصل درجة الانفجار ، ولا بد

١ - السودان فى قرن ٢٢

٢ - المصدر نفسه ٢٥ .

انها باقية على هذى الحال فى انتظار من يشعل الفتيلة هيسوى الانفجر وينذهب
عن يذهب به ، ويقوض اركان هذا النظام الجديد .

لقد ترك الغزو التركى المصرى جراحا فى نفوس الاهلين . وكان المفروض
أو المتوقع ان يأسو الحكمه الذى اعتقب الغزو تلك الجراح ويؤلياها بالعناية والرعاية
حتى تندمل تماما ، ثم يبدل قصرى جهده حتى تزول آسرها . ويحتط كل الحيطه
ويحذر كل الحذر حتى لا تنكأ الجراح لكنه لم يفعل . بل على العكس سار فى
الناس سيرة لم تحمد فى حبها فقد اتسمت بالنعف وخير شاهد على ذلك معاملة
الدقردار لنجعليين انقما لصهره اسماعيل باشا . ثم اطريقة التى تبعوها فى فرض
الضرائب وجمعها . وفى ايقاف تجارة الرقيق . وأبيت الشيخ محمد شريف التى
جاءت فى قصيدته المنظومة فى هجاء لمهدى توضح احواله لعامة فى البلاد - قال :

وما أبت السودان حكم حكومه إلى ن اتي ضعف المطالب من مصر (١)
فكثلث والثلاثين للمير وحده ولشيخ والنظار اضعافه فادر
بضرب شديد تم كتف مؤلم ومن بعده الالتقاء فى الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم واشنع من ذك كله عمل المر

اتسمت سيرة الحكومة أيضا بالمحاباة اذ اخذت تقرب بعض القبائل وتتخذ منها
الجنود ثم تعفيها من الضرائب . ولا تعامل القبائل الاخرى نفس المعاملة . كذلك
قربت احدى الطرق الصوفية المعروفة اى المرغنية . حتى كثر أتباعهم وعظم
جاههم (٢) مما احفظ الاهلين عامة ورجال الطرق الصوفية الاخرى بصفة خاصة .

تضافرت كل تلك العوامل مع ما كان يحدث ويتناقله الناس من احداث
فردية فى خلق شعور قوى مناوئ للحكومة . ولم يكن هذا الشعور منبعثا عن
الأحداث الادارية . أو بعض الاعمال السياسية انما اضيف إلى كل هذه بعض
ما ينكره الدين ويرفضه العرف . وبذلك صار اجوا انعم فى البلاد ، وهى بيئة
اسلامية ، جو ظلم وفساد . ضاق الاهلون بهذا الجوا ، واشربت نفوسهم كراهية
نظام الحكم القائم حتى قال قائلهم : عشرة فى تربة ولا ريل فى صبه » . هذه القولة

١ - تاريخ السودان - نوم شقير ١٩٣٣ .

٢ - المصدر نفسه ١٩٣٤

تصور مدى ما وصل اليه ضيقهم بالحكومة وبأساليبها وتوضح ضعف ثقتهم في رجالها . وتوضح كذلك فقدان الامل في حياة وادعة آمنة في ظل تلك الحكومة . وفي كنف اولئك الحكام . وهم والحالة كما وصفنا لابد تواقون إلى خرج مما احاط بهم . أو إلى منقذ ينشلهم من وهدة الظلم التي تردوا فيها .

في مثل هذا الجو الذي وصفنا عيش محمد أحمد بن عبد الله . وفيه أيضا تنقل بين حلقات بعض العلماء الاجلاء فتبصر في امور دينه وتفقه ودرس اللغة والسحو تم مال إلى الزهد . وفي هذا الجو ايضا تنقل بين بقاع السودان المختلفة معلما مرشدا في كثير من التقشف والورع حتى أحبه الناس . والتفت حوله جماعة كبيرة من المحبين والمعجبين ، وانتشر خبره ، وذاع صيت تقواه وورعه بين ارجاء البلاد المختلفة حتى أخذ الناس يفتدون عليه متبركين طالين خلاص على يديه لما رأوه فيه من تمسك باهداب الدين وغيره على تعليمه . وقد احس محمد أحمد بحالة الناس لانه واحد منهم . وادرك حاجتهم إلى منقذ . إلى رجل قوى مؤمن بالله وبنفسه . رجل منقذ يأخذ بيد المواطنين ويقف امامهم ولهم ومعهم في وجه لحكام الطغاة ، كما احس انه هو المنقذ لانه « عمت البدع في البلاد وتطابقت عليها العلماء والعباد . وانطوى بذلك نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العباد . وما وجدنا من أهل من يعاوننا على احياء الاسلام في الدنيا في ذلك متحيرين حتى أتى الإذن لك العلماء الله . »

كثيرة ، ان رسما

ش د

هو

فيه

ع

م

ومن هنا شاع بين الناس انه ، المهدي المنتظر ، فأيدوه وآمنوا به ليعيد العدل والحق ويحیی ما اندثر من تعالیم الدین ، وهكذا بدأت ثورة المهدي ، واخذت اشتعالا يشتد شيئا فشيئا ، واوراها يضطرم قليلا قليلا إلى ان استفحل امرها واتت على الحكم التركي . قامت ثورة المهدي لأن :

(١) المجتمع السوداني كان مهياً للخروج على حكومة الاتراك . وكان يبحث عن يقوده للخروج عليها .

(٢) محمد أحمد بن عبد الله كان مهياً للثورة بشخصيته وثقافته الدينية الصوفية .

قامت هذه الثورة تعبيراً عن ارادة الامة السودانية . فلم يكن السودانيون يريدون البقاء تحت سيطرة اجنبية تظلمهم ولا ترعى حقوقهم الوطنية ، تنهكهم ولا تحفظ فيهم كرامة الانسان . لقد قدمت تلك الادارة التي سيطرت على البلاد أكثر من نصف قرن شيئا من الاعمال الجليلة - كفتح المدارس وتحسين المواصلات وايقاد المواطنين للدراسة في مصر وغير ذلك الا أنها قصرت وأساءت في جوانب عديدة لذلك رفض السودانيون سيطرتها وهبوا مع محمد أحمد بن عبد الله الذي أعلن لهم انه « المهدي المنتظر » ، فآمنوا به . هبوا معه لتخليص بلادهم من يد الحكم التركي ولانتهاء بعض الافعال المنكرة التي كان يقترفها بعض الحكام ونقر من تلك الافعال التي تأبأها الشريعة السموية والشريعة العرفية . تلك الافعال

كانت عاتقه واجب الاصلاح لانه

التمار ما يترك

كون

من

هم

عه

ان

ى

-

لذلك وسية فيها حزم وصرامة وغرابة د مر باحراق الكتب د . . .
 كالقرآن والصحيحين واحياء علوم الدين (١) واعلن لناس ان مذهبه «هو الكتب
 والسنة والتوكل على الله» (٢) وانه قد ، طرح العمل بالمذهب ورأى المشائخ (٣)
 وهذا يدل على انه اراد ان يوحد مصادر الدرس للمسلمين ويوجه انضرتهم وعقوبهم
 إلى مراجع معينة حتى لا تشتت جهودهم وفكرهم . كما أنه أبطل « العمل
 بجميع الاوراد وألف لانصره راتباً يقصرأونه يومياً وهو مجموعة من الآيات
 والاحاديث والادعية » (٤). أما التعليم فقد وقعه على حفظ القرآن والراتب (٥)
 ولعله اراد بكل ذلك ان يجمع الناس في فكرة دينية واحدة ثم يسعى بعد ذلك
 لغاية أكبر واسمى .

كان محمد أحمد المهدي قد كتب إلى محمد المهدي لسوسى زعيم الطائفة
 السوسية في ليبيا ينبئه بأمره ويقول له : انك من الأوراء إلى ، ثم لازلنا
 نتظرك حتى اعلمنا الخضر عليه السلام باحوالكم وما انتم عليه ، ثم حصلت حضرة
 عظيمة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيها خلفا اصحابه من اصحابي . فاجلس
 احد اصحابي على كرسى أبي بكر الصديق . واحدهم على كرسى عمر ووقف
 كرسى عثمان فقال . هذا الكرسى لابن السنوسى إلى ان يأتيكم بقرب او طول
 واجلس احد اصحابي على كرسى على رضوان الله عليهم اجمعين (٦) وقد اختتم
 رسالته هذى بقوله « فاذا بلغك جوابي هذا اما ان تجاهد في جهتك إلى مصر
 ونواحيا ان لم يسلموا . واما ان تهاجر الينا . ولكن الهجرة احب الينا كما علمت
 فضل الهجرة من زيادة الثواب والمقابلة ان تيسرت . وعلى كل حال ترد الينا منك
 الافادة بما يصير اليه عزمك من جهاد أو هجرة ومثلك تكفيه الاشارة والسلام » (٧).
 ونحن نرى في هذا الخطاب :

- ١ - السودان في قرن ٣٣٧
- ٢ - المصدر نفسه - نفس الصفحة
- ٣ - السودان في قرن
- ٤ - تاريخ الثقافة العربية في السودان - عابدين ١٢٦
- ٥ - منشورات المهدي ، أبو سليم ٧٣
- ٦ - المصدر نفسه ص ٧٥

٢ - دعوة صريحة سنوسى لدخول فى المهديّة و حضوره إلى السودان
وقد صيغت الدعوة فى شيء من الاغراء وتضىء من التهديد فى ختامها .

ثانيا عزم المهدي على مصر : عماء الطوائف لدينية الكبيرة فى خارج السودان
بقبول مهديته .

ثالثا - ثقة المهدي بنفسه وإيمانه العميق برسالته

رابعا - عزمه على غزو مصر وادخالها فى دعوته .

وقد كتب فعلا إلى حسين باشا خليفة لذى كان مدير لبربر اباا الحكمة
اخر كى و كلمه الدعوة له دين العبادة وجبر انهم من تقبائل الاخرى . - ولما كان
موضوع امرنا القيام بأمر الدين وجهود عدااء لله الكافرين . وقد انتهى امرهم
بالسودان وعمرنا بإرادة الله على التفرع لغيره من البلدان فقد اخترنا الله تعالى
ووجهناك امامنا عملا عموميا على كافة قبائل جماعتك لعبادة . وعلى كافة من
يرغب الانضمام عليك من القبائل الاخرى بضوعه واحتيااره لثبيلهم دعوتنا وتعطيهم
نيعتد وتستغفرهم لأحياء الدين « (١) » وكتب لخدوى مصر ايضا يدعوه إلى الدخول
فى طاعته والاعتراف بمهديته ويذره ويحذره من عواقب الرفض قل « وقد
حررت اليك هذا الكتاب وانا بالخرطوم شفقة عليك وحرصا على هديتك فارجو
الله أن يشرح صدرك لقوله ويدلك على صلاحك ورشدك فى الدين وها انا قادم
على جهتك بجمود الله وعن قريب ان شاء الله فان امر السودان قد أنتهى فن
بادرتنى بالتسليم لأمر المهديّة والاذبة إلى الله رب البرية فقد حزت السعادة الابدية
وأمنت على نفسك ومالك وعرضك انت وكافة من يحبب دعوتك معك . وان
أثبت بعد هذا الا اعراض عن طريق الفلاح والرشاد فتما عليك ثمتك واثم من
معك . ولا بد من وقوعك فى قبضتنا ولو كنت فى بروج مشيدة . وهذا انذير
منى اليك وفيه الكفاية لمن ادر كنهه العناية والسلام على من اتبع الهدى (٢) .

لم يقف الامر عند هذا الحد بل عين المهدي ولالة له فى بعض البلدان الاسلامية
كسوريا ومراكش . وهذا التعيين وما قدمناه من ارسال انكتب إلى كل من السنوسى

١ - السودان فى قرن ٢٣١

٢ - السودان فى قرن ٢٣٢

نزعهم الديني . وإلى حسين نشأ حينئذ احد موطئى الدعوة التى دهرتها جيوش المهدي
وانتهت حكمها . ثم إلى خديو مصر . وما تضمنه تلك الكتب من روح دينية
عميقة وايمان بهدف معين وغاية محددة - كل ذلك يوجب على نقول ان الثورة
المهدية كانت ترمى إلى توحيد المسلمين فى فكرة واحدة وتحت امرة واحد
أو امام واحد هو «محمد أحمد المهدي» .

الشعر الوطنى ومظاهره فى الانتاج الشعرى :

جاءت دعوة المهدي فى وقت استشرى فيه الفساد . وعم الظلم . وأصاب
الناس كرب عظيم وأحسوا الغبن ونقصه . واستحبوا تلك الدعوة . وانخرط
معظم القادرين منهم جنوداً فى صفوف جيشها . وخصوا المعرك وحده بعد
الأخرى فى حماس دافق . مترين . ينجح بعد كل معركة واثركم انتصار .
ما اشعر فقد اخرجته سعاؤه من التمتع الذى حس فيه اهل العهد التركى وسرو
به فى موكب حماس الدافق . واخذ الشعراء يمدحون المهدي ويصنون شجاعة
لانتصار وصبرهم على القتال ويحثون الناس على جهاد (١) لقد تارت المهدية
حميتهم الدينية لان قيدها عرفت بالثقوى وأورع وأزهى واعين لخروج على
حكم التركى فى سبيل الاصلاح وازالة المظالم . كما أن المهدي واحد منهم
يسته جموع غفيرة من أهل البلاد وحسنه الخوفين فانتصر على جيوش الحكومة
التركية التى قصرت فى حقهم وهم رعاياه وهم مسلمون . لذلك اندفع الشعراء
بعلنون انتهاجهم بظهوره . ويمجدون انتصاره لان ظهوره بشرى بالخلاص
كما ان انتصاره تأكيد للخلاص .

فمن الانتهاج قول الشيخ حسين الزهراء فى همزيته المشهورة (٢) .

برج الخلف ما الحق فيه خفاء (٣) وتولت آيات ولانبياء
فالامر جاد والقلوب مريضة والداء داء والدواء دواء

١ - الشعر الحديث - الشوش - ٣٣

٢ - شيخ حسين عم سودى نعم من كرهه . وشعين شترس فى مدرسة فتحه فى قرب
تولى قضاء فى مهدية وكذب ورد لرب . سجنه الخليفة عبد الله حلاى وقع بينهم فى

فى فتوى ويقى فى السجن إلى ان مات - شعراء السودان ٦ .

٣ - شعراء السودان ٧

ن الشيخ العالم ابتهج بظهور الحق . وتوالى الآيات والانباء بهذا الظهور . فقد قامت الشواهد على ظهور الحق . ويبدو لنا ابتهاجه فيما قال عن الشمس الباهرة وما عليها من : هبة وبهاء ، وكذلك الدر وقد تم كمانه وغير ذلك من الاوصاف والمعاني التي تنبئ عن الاشراق والتعابير التي تمصيح عن المسرة والبهجة . بعد ذلك — أى بعد ان عبر عن بهجته اخذ في مدح المهدي ، قال :

مهدى رب العرش منتظر الورى وإن الولى ولاكرمون وراءه (١)
السائق ابن السائقين إلى الهدى من معشر نتحت بهم ره — راء

يبدأ الشاعر مدحه باثبات مهديّة محمد أحمد بن عبد الله حيث يقول : مهدى رب العرش منتظر الورى « ثم يعلن انتماء المهدي إلى القوم الذين سبقوا إلى الهدى وبهم رمت الدنيا وعم الخير . بعد ذلك يشرّ قومه بالمهدي . وهذا ابتهاج لكون المهدي من بنى وطنه . ويعتد ظهور المهدي مقدمة لنعم كثيرة تأتي فيم بعد — وهو بهذا يعلن أيضاً حسن ظنه في حكومة المهدي واعماله المقبلة ويتوقع خيراً وفيراً لأن المهدي «مهدى رب العرش ومنتظر الورى» سيرفع الظلم عن المسلمين ويملاّ الأرض عدلاً بعد ان ملئت جوراً وهو « مهدى رب العرش منتظر الورى » من ابناء هذا البلد الاتقياء الورعين الزاهدين وقد تحمس له الشاعر اذ قال « جمعت حذافير الولاة لنا ، ويبدو لنا في عبارته هذى ما يتوقعه للمهدي من نجاح ومن النفاذ المسلمين حوله يقدمون له فروض الولاء والطاعة . وهم بذلك يقدمون الولاء والطاعة لقوم المهدي الذين نشأ بينهم وخرج من صفوفهم معلنا ثورته بعد هذا المدح الذي يتسم بشيء من الروح الدينية وشيء من الشعور الوطني يلتفت الشيخ الحسين إلى العلماء فيقول لهم :

علماء امة احمد ناشدتكُم ردوا جوابي انكم علماء (٢)
ارضى وترضون الضلال بعدما ظهر الهدى وانجباب عنه فداء

انه يناشدهم مستعينا في مناشدتهم بعلمهم . وبما يجب ان يتحلى به العلماء . وما يتصفون بهم في حياتهم وعلاقاتهم . وقولهم وفعمهم بصفة عامة . انهم القادة .

١ — شعراء السودان

٢ — شعراء السودان

وهم القدوة - يبعدون عن الضلال ويمشون من كل خبث . ويميلون إلى الهدى ويسعون إليه ويحثون الناس للاخذ بأسبابه . وها هو ذا قد ظهر في المجتمع السوداني واضحا أخذا . فكيف يتركونه . وكيف يبعدون عنه . فينتقل زمام الأمور إلى الغرباء !^١ انه يريد منهم ان يتنبهوا لأمر الدين بعد ظهور المهدي حتى لا ينحدروا إلى الضلال فيفسدوا في البلاد ويصيب الأذى المواطنين المسلمين المسلمين . اننا نعتقد ان الشيخ الحسين أراد للعلماء مكان القيادة لأنهم أولى بها لعلمهم الذي يحميهم من الزلل والظلم ويحملهم على نفع المسلمين . وهو ايضا يغار على الاسلام ويحرص على منفعة المسلمين وهذا كله يدلنا على ان حركة المهدي أثرت حمية الشيخ الحسين الدينية كما أثرت شعوره الوطني .

عن شاعر آخر عن بتهاجه بظهور المهدي بقصيدة من ثنين وثلاثين بيتا واختار لها بحرا خفيفا موسيقيا - سريعها ذلكم الشاعر هو الشيخ عبد الغنى السلاوي (١) ، قال في تلكم القصيدة :

راق الصبح ورق الصهباء	مذكر فيهن للعليل شفاء (٢)
ريبة نبوية ملكية	مهدي روحية وسعاء
شمسية قمرية ما فض عنها	ختمها في دنيا ورقاء
تشدو بأعلى صوتها طربا	فغدت تدوب شدوها لشعراء

في هذه الأبيات الاربعة التي تبدأ بها الشاعر الشيخ اعلانه عن نبوءة الجوا لشرب - حسب عرف الحمريين - فهما شراب رقيق ذهبي اللون . والوقت صباح . وفي الصباح الاشرار والدفع واليقظة . ويتبع هاته السعي للعمل والاتصال بالناس من أهل وزملاء وغيرهم . وكل هذا خير ينفع النفوس ويبهجها . اما الشراب الرقيق ذو اللون الذهبي فهو شراب يذهب بالعلة . ويرى صاحبها منها فيعود صحيحا قويا . فالزمان طيب والشراب طيب . ولا شيء دعى للابتهاج منهما عند الحمريين - الا أن الشاعر الشيخ يعنى بل يريد ان يشرب من خمر معينة وصفها

١ - علم فاضل ، وله بالخطوط عام ١٢٣٧ هـ . نوى انتفاء شرعي في العهد التركي في مصر

مدن السودان - نفثات اليراع ٧١

٢ - المصدر نفسه ٨١

هي البيتين الثاني والثالث . يريد ان يشرب منها لتكتمل له ابهجة و يتم هماؤه «
لانها خمر « مهية روحية وسماء . وهي ايضا خمر محللة تأتي للتبريين من المهدي
وهي فضل واضيب من غيرها لانها خمر الهداية . ألا تراه يقول :

معصومة عما يحرم كاسها فاشربه ثم ادر هناك هناء (١)
ان كنت من انصار مهديها لنا مهدي الوري من فاض عنه هداء

يبين من هذين البيتين ان الشاعر تعدى مرحلة الابتهاج الى الاعجاب بتلك الخمر
لاننا نراه يدعو غيره ليشرب مما يدير الكأس الى آخر أو آخرين ثم يرده الى الشاعر
كما انه يغري غيره بالدخول في بعة المهدي بقوله ان كنت من بشارن مهدي
ن .

هذه الايات التي ورددها علي في فيها من صعب - تصور شعور
الاسظم . وفي رأيي ان شعوره يضوى على الابتهاج بظهور المهدي وعني عجب
الحاء به المهدي . يتخذ الظلم بعد ذلك في مدح المهدي وتأييد دعوته حيث
يقول في القصيدة نفسها :

ما هديه غير الكتب وسه وانزكون لذكهم كثره (٢)
احيى الصدا وروح انواع اردى وسحت به فوق السماء غلبه

اد تأملنا الايات حد ان فيها مدح لشخص المهدي وهذا المدح فيما نرى يشف
عن رأى الشاعر في شخص المهدي يقول عنه انه يشع كتب لله (قرآن)
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو حبس مساج صعب للاسلام . وهو يصرف
ورع لانه يهتدي بقرآن الكريم ويسترشد بسنة محمد النبي العظيم وهذا غاية يتمناه
كل مسلم . بل هو عتبة ما يبلغه الى مسلم . ويقول ان المهدي احى الصدا وازاد
انواع الردى « ونستشف من هذا ان الشاعر يعتقد ان المهدي بظهوره ودعوته
ومسلكه ران كل ما علق بالدين من شوائب و رفع عن بني وطنه مظالم وحرر
بينهم وبين انواع لغذاب التي كانت تديقهم طعم الموت وهم احياء مرات ومرات
ويقول ان ريدص المعلى يبعث بظهوره ونرى انه يريد من هذا التعبير المحذرى

١ - نفثات اليراع ٨١

٢ - نفثات اليراع ٨١ - ٨٢

ان يصف له أو يبين تلك الروح الجديدة التي دحمت المجتمع السودانى وتستعمر
السودانيون اعززة بسخوطه ، وشمخوا بأنوفهم لان المهدي المنتظر ظهر فيهم . هكذا
يخصى الشاعر فى امتداح المهدي فيقرر انه جدد آثار النبي صاوت الله وسلامه عليه ،
وانه ماجد فاضل عادل يسوى بين الناس . وهو خطيب يفوق قس وسحان .

نجد كذلك فى تلك الايات شيئا من الدعوة التي جاء بها المهدي . أنه يمتدحها
ايضا فيصفها بالقوة والاحكام والصدق وناحو من الارتياح . ويذكر أنها مقبولة
عقلا لانها تحوى موجبات صدقها . ونجد فى الايات أيضا شيئا عن مؤيدي
الدعوة ومعارضيها فمؤيدون ارتفعوا إلى اوج الاعلاء ما اندر صوت فهم عداء وهم
كثرة . كما بين الشاعر رأيه فى شخص المهدي بمدحه به . بين كذلك رأيه
فى دعوته بما قال عنها . فلمهدي فى رأيه رحل الدين المثالى لانه اراد ما عبق
بالدين من شوائب ولانه تقى ورع . ورحل الدنيا المثالى لانه سوى بين الناس ورفع
عنهم الظلم .

✓ أما الشاعر محمد عمر لند (١) فقد بلغ به الخدم للمهدية اقصى درجاته .
نظم هذا الشاعر ثابته المشهورة من ربعة وستين بيتا . ومطلعها .

الحرب صبر و للقاء ثبات والموت فى شأن الاله حياه

وقصرها على الموضوعات الاتية :

١ - مدح انصار المهدي

٢ - حثهم على القتال أو ترغيبهم فى الجهاد .

٣ - وصف معاركهم .

وحاعت بداية هذه القصيدة حث على الجهاد وترغبا فى لشهادة وانه حث مسبب
- قال :

لحرب صبر و للقاء ثبات والموت فى شأن لاله حياه (٢)

١ - عام سودى وشاعر ولد بترابها ١٢٦٩ هـ بقى اعلم بالارثر . نصر ديهى وصار من انجوس
اليه ، ومن الخليفة عيد الله من بعده - تولى مناصب فى القضاء الشرعى فى عهد الحكم الثنائى
توفى سنة ١٩١٩ - شعراء السودان ٢٧٣ .

٢ - شعراء السودان ٢٧٣

بجبن عذر والشجاعة هيبة لعمرو ما اقترنت بها العزيمت

✓ يأخذ الشاعر بعد ذلك في مدح الانصار ، وبحمى المدح بعد ذلك الحث المسبب
يثير الحمية بلا شك . ويحرك الصخر . كما أنه يكشف عن رعة أكيدة في نفس
اشاعر ولعلها كذلك اصيله . رغبة في انتصار المهدي على خصومه . وفي انفراده
حكم البلاد . وهذه الرغبة بالطبع لا تنجم لا عن شعور وطني وعن حمية دينية
لان المهدي من بى السودان ولانه اتصف بالتمقى واورع والزهد والغيرة على
الدين ولان الشيخ البنا نفسه عالم سوداني يغار على دينه ولا شك انه - نعلمه وثقافته
الدينية - يحب الخير للمسلمين لاسيما من يشار كونه الموطن وتربطهم به رابطة
الدم . ولا شك أنه توقع الخير في شخص المهدي وفي دعوته ولذلك انضم له وأخذ
يظم مثل هذه القصيدة ويقول ممدوح الانصار :

قد حار هذا الافتخر جميعه صحب الامام السادة القادات (١)
فوم اذا حمى الوطيس رأيتهم شم الجبل والضعيف حماة

بلى هذا المدح وصف لاحدى المعرك التي خاضها الانصار . ويبدو من الوصف
ان الانصار كسوا تلك المعركة وقتلوا الاعداء تقتيلا يقول الشاعر في ذلك :

فأثرون تقع الموت في عرصاتهم وأغرر صبحا اذ علت أصوات
وذباب أسياف لمية فوقهم رعمت دما وجلأؤها الهامات
والأرض سالت بالدماء وما غير الجماحيم والشعور نبست

بعد أبيات الوصف هذى يعود الشاعر إلى امتداح الانصار والاشادة بجهادهم

فيقول :

يا أيها الانصار ان صبيحكم شكر الاله له وتلك هبات (٢)
أعليت دين الاله وما نكم الا الثبات تزيه الوثبات
وشرحتم صدر الرسول محمد بالفتح وانكشفت بكم ظلمات

بلى هذا الثناء الذى ارجاه الشاعر لجهاذه الانصار وجهدهم في اعلاء الدين وشرح
صدر الرسول حث على القتال ومدرئة الاعداء . وقد بدأ هذه القصيدة بالحث

١ - شعراء السودان ٢٧٥

٢ - شعراء السودان ٢٧٦

الحبيبة عبد الله إلى الدائد عثمان دقه المعسكر بجيشه في هندوب « لانسحاب من المدينة ، قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب (١)
وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

يبدو لشاعر في هذه الأبيات معتد بقوة قومه الذين يصبرهم أو يجارب معهم وهم انصار المهدي . ويتجلى القدرى في اعتداد الشاعر قدرا غير قليل من خمس وقوة معنوية توحى بها الاناضاقية كقوله « ارتكبا للمصاعب

و ادرعنا للمصائب » وقوله وقع الصو عنق في المضرب و « يرن سلاله كالرعد » - ويتجلى الاعتداد والاعتزاز بالقوة في البيتين .

م ان رحلنا عنهمو جزعا ولا خوف النواصب
بل طاعة لولينسا فليدر ذا كل الاجانب

وفي لسطر الثاني من بيت الثاني يبدو التحدى للاحب الناس قد يتقاولون ويشسرون هذا لانسحاب تمسيرا لا يمت إلى دو عيه الحقيقية بصلة . وهذا التحدى يوحي بأن الشاعر يكف من ان يوصف هو وقومه بحسن وخور العزيمة . وفي هذه الآفة أيضا اعتداد وأى اعتداد . فلاحظ كذلك ان الشاعر استعمل ضمير جماعة المتكلمين في ثلاثة عشر بيتا اكثر من عشر مرات هذا لاستعمال بالاضافة إلى الاعتداد وشحدى والآفة يتم من شعور وطني قوى . كما ان الحمية الدينية بادية في البيتين :

نحسب الدين الله بل في شأنه تلقى المعاطب
متوسلين اليه بالمهدي وجهة كل راغب

رئي هذا لشاعر محمد بن النضر المجنوب محمد أحمد مهدي عندما توفاه الله بقصيدة جاء فيها :

دهتا دود بصرس القلب ويوقد في الاحشاء ناراهم (٢)
غداة معي الدغوب مهديا به ملة الاسلام حل مصابها

١ - فقامات اليراع ، ٩٣

٢ - شعراء السودان ٣١١

ورثه شاعر آخر هو الشيخ إبراهيم شريف الدولابي (١) نقصيابة من تسعة وثلاثين بيتا . جاء فيها :

كيف نشاء مؤدى نقطـور ورفوء دمع محجـرى المـجـور (٢)
م كيف يفتك لضمـه عن مـهـجة حشاؤه تصـسى على تنـور

ونظم الشيخ سمعيل عبد القادر المفتى الكردفني (٣) ثلاثين بيتا فى وصف قبة المهدي وضمن تلك الايات شيئا من الرثاء ، قال :

سمت قبة المهدي محمدا وسؤددا وبيطت بها اخوراء عقدا منضدا (٤)
وصيغ من الاكبل تاج لمامها وسبب بها نهر المحرة مزبدا

ثم قال يتحسر على وفاة المهدي : رجعته

به لله احيانا واضهر ديبه وأولاه فضلا ونصرا مؤيدا (٥)

لاحظنا فى ما تقدم ان الشعراء انتهجوا لظهور المهدي وانهم كذلك امتدحوه واشادوا . بجهاد انصاره فى سبيل الدعوة ووصفوه معركتهم وحشوه على القتال والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الدين . ولاحظنا ايضا ان مدح شمل بعض كبار صحاب المهدي . ولم يكن وقتنا عليه . ولاحظنا حبرا ان بعضهم رثاه . كما وصف بعض منهم قبه . ان كل هذا فى رأينا مظهر من مظاهر التأييد . ولتأييد بناء على قلوب نفكرة وانرمب نتائجها . وهذا كله فيما نرى يكشف عن شعور وضى قوى شرته فى هؤلاء الشعراء شخصية المهدي ودعوته

فكرة الشعراء عن الدولة :

تمين لنا ذكر فى فصل سبق ان المهدي جاء بمكرة محددة وهى وضع اسودانيين فى كيد موحد . وقد اتخذ لتحقيق هذه المكرة سبلا مختلفة منها :

١ - عم مودد انتهى نسبه فى كزهر . عمره قد شرب فى العهد تركى شعراء سودان ٢٦

٢ - المصدر نفسه ٢٧ - ٢٨

٣ - عم سودان حسن شهر . نسبه نسبه بآزهر . وتولى تسمى مهديا فى مديته مقده عام

٥ ١٣١٦ هـ

٤ - شعراء السودان ٤١

٥ - المصدر نفسه ٤٢

(١) إبطاله لعمل بالمذاهب الفقهية الأربعة المعروفة التي يتبعها المسلمون منذ مئات السنين في جميع بقاع المعمورة .

(٢) ابتداع مذهبا خاصا وفرضه هذا المذهب على أتباعه .

(٣) رفضه التخلخل الخارجي ومذهبه لـ لكل ما يأتي من اـ خارج حتى الاسلحة النارية « (١) » .

كما عرف عنه به تشبه بلسى في جميع أعماله « (٢) » . وانه اتحد لإدارة البلاد حكومة قومها ثلاثة أقسام - اتحد وقد جعلهم تحت إمرة خفافته لكل واحد منهم قسم . ويضم كل قسم مجموعة من القبائل من بينها قبيلة الخليفة القائد أو لأمير . ثم بيت المال وندب للإشراف عليه رجلا « من اصدقائه » (٣) تم لـ لفضه واسنده إلى رجل من علماء الأرهـ . وجعل له اعونا يؤدون بعض الاعمال الصغرى .

لقد أراد المهدي خلق كيان موحد لسودانيين ولذلك ربط اسـ برابط اقتبسه من الدين . وبتأخر من القبلية وبنالـ من السلطة التنفيذية التي كونها . وبهذا تكونت في السودان ولـ سودانيين دولة « كونها المهدي بفكره ووسائله وعمه . فهل ظهرت تلك الدولة في شعر أولئك الشعراء الذين ايدوا المهدي ومدحوا المهدي واعوانه وانصروه ووصفوا معارـهم ؟ وهل كان لأفكار المهدي صدى أو أثر في شعر اى منهم ؟ وهل دعا واحد من أولئك الشعراء تصرحا أو تلميحا إلى قيام دولة أو نظام معين ؟ اننا سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة بالنظر في شعرهم . ونقول - لقد تصفحنا شعر شعراء المهدي في مصادره التي روته لنا رواية يوثق بها ويعول عليها في البحث العلمى . والتقصى التاريخى . وتبعنا أولئك الشعراء ومنظموهم من شعر بيتا بيتا فلم نجد فيه بيتا أو تعبيرا يحمل فكرة واضحة محددة عن الدولة . أو رأيا صريحا مفصلا في احكم ونظمة . الا أن بعضهم اخذ يعنى على الولاة جهالهم . ويطالب بتولية العلماء . ذلك هو الشيخ الحسين لزهراء في ابياته .

١ - تقرير لجنة تنظيم الخدمة ٣٠

٢ - تاريخ السودان - نوم شقير (بيروت) ٦٦٧

٣ - تاريخ السودان ، نوم شقير ، بيروت ، ٦٦٩

جهل لولاة أمارت دين محمد واهيده متوا وهم أحياء (١)
وتراكمت ظلماتهم بين الورى ما اطمأن لهم ودام ولاء

يقفد الشيخ الحسين فى ابياته هذى سيسة المهدي التى يتبعها فى تعيين الولاة
اولئك الرجال الذين يحكمون نيابة عنه وينفذون سياسته . ويتخذ لهذا النقد وسيلة
مهذبة . فنحن نرى انه لا يوجه نقده أو لومه للمهدي توجيهها مباشر وانما ينتقص
اولئك الولاة اذ يرميهم بالجهل والؤم ويقرر ان ما نتج عن لؤمهم وجهلهم هو
إمارة الدين . . ونتجت ايضا اشياء أخرى منها موت اهل الدين وهم حياء .
ومنها تراكم الفضائل بين الورى . . ولا تخرج من ذلك الا تولية العلماء .
الا تراه يقول :

فتناولته من اللثام واعطه صنف الكرام فاهله العلماء

والى من يوجه اشاعر هذا الخطب ؟ انه يوجهه الى محمد أحمد المهدي ، بن النبى
محمد ووليه وأمينه كما يسميه أو يصفه فى الابيت ذاتها . نه يطالبه بوضع زمام
السلطة فى ايدي العلماء لانهم اعرف بالدين من سواهم . واشاعر يريد للدين ان
يحيا ، ويريد للمسلمين حكما صالحا يقوم على العلم الصحيح والخلق الكريم والعلماء
هل ذلك . ثم ان المهدي نفسه جاء ليعيد للدين مجده وليزيل كل ما علق به من شوائب
وهو الولي الذى ائتمنه انبنى على ملته وامته . كما وضع الشاعر . وهو لحد
« حاكم ديني » . والشاعر يطلب اليه تولية العلماء . وهم بالطبع اولئك الرجال
الذين تفقهوا فى الدين وعرفوا ما ينفع المسلمين . وما يصلح لمجتمعهم . وادا
كان الامر كذلك فما هو نوع الحكم الذى اراده الشاعر لبلاده . وما هى الأسس
التي ارتأى الشاعر قيام « الدولة السودانية » الجديدة عليها ؟ يبدو لنا ان الشاعر اراد
ان يقوم فى بلاده حكم ديني . وبعبارة أخرى ان يؤسس المهدي دولة اسلامية .
أما الشيخ محمد عمر البنا فم يطالب بتولية العلماء لكنه اسنحت المهدي
على غزو الخرطوم فى قصيدته الثانية قال :

فأنهض إلى الخرطوم ان سوحه أهل الغواية وبنفسد باتوا (٢)

١ - شعراء السودان ١٠ ، ٩

٢ - شعراء السودان ٢٧٧

طروا ورتعوا ثم صلوا . معشر
وتكبروا وعتوا عتوا فائقا
نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
الله اكبر (١) ان يدوم صنيعهم

انه يستحثه على الغزو لاسباب حدددها . وهى :

(١) وجود أهل الغواية والمفاسد فى الخرطوم .

(٢) بطرهم (اهل العواية والمفاسد) وعزوفهم عن سبيل الله .

(٣) تكبرهم وعتوهم عتوا فائقا .

(٤) نبذهم الشريعة .

(٥) كون المهدي وصحبه « رعاة للانام »

اننا بلا شك نستطيع ان نلمح سخط الشاعر على ما آت اليه الحال فى الخرطوم .
ونستطيع ان نسمح كذلك ان الشاعر أراد قيام بضام معين تروى به تلك المفاسد
والعواية وتمحى بقيامه أو تطبيقه جميع مظاهر الخروج عن السبيل المؤدية إلى طاعة
الله ورضوانه ويعود الشرع إلى مكانه فى المجتمع على يد « رعاة لانام » فما
هو ذاك النظم الذى يريده رجل ذو ثقافة دينية وعلم بالشرع وغيره على الدين
كالشيخ محمد عمر البنا . انه لن يكون الا نظام يحكم بالشريعة لمحمدية ويقم
فى السودان « دولة اسلامية »

فتأمل بعد ذلك أبياتا من شعر شاعر آخر هو الشيخ براهيم شريف الدولابي
قال فى مراثيه التى نظمها فى المهدي :

وأقامه لمختار عنه خليفة
ورقى إلى كرسىه متسنا
فدعا إلى الدين الخفيف بهذا
بالسيف والاندلس والتشهير

قرر هذا الشاعر ههنا ان المهدي خليفة من خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن

١ - لعل المراد « لن »

٢ - جهذا لو جاءت « ملايس » بالرفع

بحسب الرسول في مور المسلمين لاند ب يسير سيرته فيهم ، وقرر الشاعر ايضا ان المهدي جاهد في سبيل الدين بالسيف . كما انه اسر المكرين حرب منه في الدنيا . وعذب من الله في الآخرة . وبشر المؤمنين به خيرات الفردوس نرلا . ويتوقع لشعر في خليفة المهدي ب يسير فيهم سير المهدي الرحل ، وذلك بقوته في نفس القصيدة التي رثي بها المهدي :

أبقاه مهدي الاله وراءه خلفا يسير بسيره المشكور (١)
ويسوق للنهج التويم بحاله ومقاله وحسامه المشهور

نلاحظ في مقرر الشاعر عن المهدي اشادة بشخصه وتمجيده ، فعليه وهذا يدل على رضا عن حكومة المهدي . ونلاحظ ان هذا الرضا تنقل إلى حقيقة د اعل الشاعر انه سيسير بسير المهدي المشكور والمهدي كما أعلن لشاعر « خليفة الرسول » ، ومعنى هذا كما قلنا انه نتيج نصح الرسول صلى الله عليه وسلم في حكومة البلاد وادارة شئون الدولة . واذ توقع لشاعر ان يسير خليفة مهدي في حكومته كما سر لمهدي فهو قد توقع ان يسير حقيقة سير الرسول أيضا وبهذا يمكننا القول ان الشاعر ابراهيم شريف الدولابي كان يفضل ان يحكم اسودن حكما دينيا ، وان تقوم فيه « دولة اسلامية » .

وفي شعر الشيخ الشيخ اسماعيل عبد تقادر الكردياني نجد الايات الآتية :
به الله احبنا واطهر ديسه واولاه فصلا ونصر مؤيد (٢)
وقد احرر الدين الحنيفي بانصبي ودمر حارا طفلي وتمرد
وجهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشردا
واذا انعم النظر في هذه الايات نجد ان الشيخ ان الشيخ لشاعر قد قرر :

(١) ان الله احبى أهل لسودان بالمهدي . ولعلمهم كانوا في نظر لشاعر موثا قبل ظهور المهدي . وقد جاء المهدي ليعيد لدين مجده . وذا تنصر وقام حكومته سر الاهلون وكأما عادت اليهم اخية باعلاء كلمة الدين .

(٢) ان الله اظهر دينه بالمهدي . وانه سبحانه وتعالى جمع على مهدي من

١ - شعراء السودان ٢٩

٢ - شعر ، سود ، ٤٢

فضله وتأيدته فانتصر وحمل الدين بالسلاح .

(٣) د. المهدي جاهد في سبيل شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل الخارجيين عليها وشتت شمل أولئك الذين اعتدوا على حرمتها وشردهم .

اننا نحس من هذا الذي قرره الشاعر ان الناس اطمأنوا وراست مخاوفهم ويدل على ذلك قول الشاعر « به الله احيانا » . والاحياء قد يعنى الانتعاش الروحي الذي سرى فيهم بانتصار رجل منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله . ويعنى ايضا الاستقرار المادى الذى يتم برفع الظلم عن الناس وتوقيعهم . ونحس ايضا ابتهاج الشاعر بالنظام الحديد الذى برأسه المهدي . ذلك النظام الذى عقب حكم الاتراك - حكم البطش والعسف . نحس الابتهاج فى بعض عباراته - كقوله : « وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا » ونحسه ايضا فى قوله : « ودمر حمارا طغى وتمردا » وغير هاتين من العبارات التى تبين قوة المهدي ومعظم عمله نخب ضعف خصومه وسوء عملهم . ويمكننا حينئذ ان نقول ان الشيخ الشاعر كغيره من شعراء تلك الفترة . كان راضيا عن السلطة الجديدة . وهى سلطة دينية . ومعنى هذا انه . كغيره من الشعراء الذين عرضنا بعض شعرهم فيما سبق . كان يرى قيام « حكم ديني » أو « دولة اسلامية » فى السودان .

ان هؤلاء الشعراء الاربعة الذين عرضنا بعض شعرهم . لم يذكروا كما قلنا من قبل رأيا صريحا واضحا محددا فى نظام الحكم الا أن رضاهم عن أعمال المهدي الظاهر فى شعرهم . وتمجيدهم تلك الأعمال ثم اشادتهم بما قدم المهدي للدين . كل ذلك يوحى ويشعر برأيهم فى الحكم . ولذلك فأننا قد استنتجنا انهم كانوا يرون قيام دولة اسلامية فى هذا البلد . الا انهم لم يقولوا شيئا فى ايام لمهدية الاولى عن امتداد ذلك النظام أو تلك الدولة إلى ما بعد حدود السودان .

المهدية ومكانها من الاطار العربى والاسلامى العام :

اجتاحت الثورة المهدية بجيوشها البلاد من اقاصها إلى اقاصها . واجلت عنها الجيوش المصرية التركية . كما اجتاحت بدعوتها عقول الاهلين وقلوبهم لانها اعلنت ضرورة طرد المصريين الذين ازدروا باحكام الشريعة . وجروا فى حكومتهم على خلاف ما تقضى هذه به . « كما اعتبرت » طرد المصريين الوسيلة التى يمكن

بها وحدها تقرير اعدالة ونشر السلام مرة أخرى . واعلت وجوب الامتناع عن
 عن دفع اية ضريبة غير العشور او الزكاة فقط التي نص عليها الكتاب الكريم ثم
 دعت إلى شيوع الملكية . فلا يستأثر مؤمن بمال أو عقار دون خيه المؤمن . بل
 بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوي . وطالبت الا يسرى في السودان
 غير قانون الشرع الاسلامي وحده (١) . وبذلك كسبت الثورة المهدية انتصارا
 متفانين ومؤيدين مخلصين . كسبتهم لانها منحتهم ما كانوا يريدون ، ولان قندها
 اعلن (٢) على الملأ انه المهدي المنتظر والمكلف من قبل الملوك بتأسيس دولة اسلامية
 مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة . ولذلك ايضا بايع اهل السودان
 المهدي وحملوا السلاح لنصرته وقتلوا وقتلوا في سبيل ما اعتقدوه فيه وفي دعوته
 كان هذا ما لقيته المهدية - الدعوة التي دعها محمد أحمد بن عبد الله السوداني بين
 المسلمين داخل حدود السودان ؟ فكيف كان صداها بين المسلمين خارج حدود
 السودان . وكيف تلقاها الناس في البلاد العربية والبلاد الاسلامية ؟ .

نعلم مما ذكر من قبل ان محمد أحمد المهدي فكر في نشر دعوته وبالتالي
 في بسط نفوذه - في العالم الاسلامي بدليل انه كتب إلى السنوسي في ليبيا يعلنه
 باختياره خليفة من خلفائه ويكلفه غزو مصر ، وكتب كذلك إلى خديو مصر
 يعرض عليه الدخول في دعوة المهدية ، ونعم كذلك انه كلف احد كبار موظفي
 العهد التركي بالدعوة له بين قبائل صعيد مصر . هذا وقد اهتز للمهدي العالم
 الاسلامي في جميع الاقطار ، وهاجر اليه جماعة من مصر والحجاز والهند وبلاد
 المغرب قصد زيارته والوقوف على حاله (٣) وبالإضافة إلى ما قام به المهدي
 في سبيل السيطرة على مصر وليبيا نجد انه فكر في بلاد أخرى من البلاد العربية
 الاسلامية ، فقد اختار رجلا اسمه عبد الله الكحال ، وعينه « عاملا له على بلاد
 الشام » (٤) . كما استجاب لجماعة من اهل مراکش المستوطنين مصر ، كتبوا اليه
 يصرحون له بتصديقهم مهديته ويسألونه تسمية احدهم وهو السيد محمد الغالي اميرا

١ - مصر والسودان - شكرى ٢٦١

٢ - المصدر نفسه ٢٦٢

٣ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ٩٥١

٤ - نفس المرجع

على مراکش لنشر دعوته في بلادهم » وكتب المهدي لهذا الرجل (السيد محمد الغالي) خطاباً بتوليته . كما كتب إلى أولئك الذين طلبوا اليه توليته خطاباً قال فيه . وبعد فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى احبابه المكرمين السيد ابراهيم السنوسي الحسنى . ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام الببني ومحمد قاسم الحو وفقهم الله وسددهم والهمهم الصواب وأرشدهم آمين . أيها الاحباب اهدي لكم جزيل السلام الممزوج بالرضا عنكم وجيل الاكرام واعرفكم بأن خطابكم المؤرخ ٧ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ قد وصلني وما احتوى عليه من حسن تسليمكم لأمر المهديّة ورغبة وصولها اليكم ونشرها بجهاتكم الغربية مع تولية السيد محمد الغالي عبد السلام على فاس وجهاتها إلى آخر ما بخطابكم قد أحطت به علما وجزاكم الله عن دينه وعنا احسن الجزاء وشكر سعيكم ، وأدام هديكم وجعلكم مفتاح كل خير وقد سرنا حسن رشادكم زادكم الله رشادا ومحبة وها نحن قد اجبناكم إلى ما طلبتم وحررنا الاوامر بامارة السيد محمد الغالي وها هي واصلة اليكم (١)

ان السلطان عبد الحميد صاحب السلطة الزمنية والروحية في ذلك الزمن اهتم بأمر المهدي واغتم كذلك لدعوته و « شعر بأنه قد اھين في شخصه كخليفة لمسلمين وذلك نتيجة لتصريحات الامام محمد أحمد علاوة على ان ثورة السودان كانت تهدف - بمحاولتها تغييرا للوضع القائم - رفع كل سيادة تركيا على السودان وكما أعلن السلطان أن عرابي كان ثورا وخارجا على النظام فانه لم يتوان عن ان ينعت محمد أحمد بأنه نبي مزيف وانه متمهد ، وانه شقي دنقله . (٢) ولعله نعت بهذه الصفات في المنشور الرسمي الذي كذب فيه دعواه ونشره في جميع البلاد الاسلامية » (٣). ويبدو ان السلطان الخليفة كان قلقا لظهور المهدي وسرعة انتشار دعوته داخل السودان وهو جزء من الامبراطورية العثمانية التي تدين له بالولاء وكان ايضا مصمما على سحقها أو حصرها داخل الحدود السودانية لذلك « استفتى علماء الازھر في شأن محمد أحمد المهدي فافتوا بتكذيبه ، ونشر مجلس النضر

١ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ١٩٢٦ - ١٩٢٧

٢ - الثورة المهديّة ، جلال يحيى

٣ - تاريخ السودان ، نعم شقير (بيروت) ١٩٥٢

مشورا بذلك» (١).

وفي مصر ثارت ثائرة رجال الحكومة الخديوية . وبدأوا يعدون العدة ويرسمون الخطط للقضاء على حركة محمد أحمد المهدي لأنهم قد رأوا منذ أول انتصار للمهدي أنهم مهددون في ممتلكاتهم السودانية» (٢) . ومن بين ما أعدوه لاختماد الحركة ارسال اعداد من الجنود لتعزيز القوت المقتة . وكان ان اختاروا تلك الاعداد من جنود جيش عرابي الذي قضى عليه بالتسريح بعد انقضاء على ثورته . الا ان معظم اولئك الرجال لم يكن يرغب في السفر إلى السودان خصوصا وانهم كانوا يتوقعون ان ترسلهم الحكومة إلى تلك الاقاليم كسجناء لتخلص منهم . كما أنهم - كرجال ثورة وطنية - كانوا لا يؤمنون بضرورة فرض سلطة الخديوي على ثوار السودان» (٣) وهذا يبين لنا مدى عطف اولئك الجنود على حركة محمد أحمد المهدي ناهيك بقائدهم نفسه (احمد عرابي) الذي لم يخف وهو في منفاه تأييده وميله للمهدي بل اعلن انه كان ينوي تعيينه حاكما عاما على السودان» (٤) .

يتضح من كل ما سقنا في الصفحات السابقة ان دعوة المهدي التي بثها في السودان الخاضع لخديوي مصر وخليفة الاسنانة . تلك الدعوة التي أيدها بحرب طاحنة انتصر في معاركها واحدة بعد الاخرى حتى اضطرت الحكومة المصرية إلى سحب جنودها ورجالها جميعهم من السودان . تلك الدعوة هزت العالمين الاسلامي والعربي بمضمونها . كما جذبت اليها الانظار بمقدرة صاحبها العسكرية وبما شاع عنه من زهد وورع وتقشف . وقد اعين الناس انه « المهدي المنتظر» (٥) وانه جاء لازالة الظلم واحلال العدل محله ثم أعلن الجهاد وحمل السلاح وقاتل إلى أن اظهره الله على خصومه .

ان العالم الاسلامي تسود اجزاء كثيرة منه الافكار الشيعة ، ومنها فكرة المهدي المنتظر التي انتشرت في البيئات المسلمة ووجدت قبولا وراجت بين العطفين

١ - تاريخ السودان ، شقير (بيروت) ٩٥٢

٢ - الثورة المهدية ، جلال يحيى ٤١

٣ - المصدر نفسه ٤٦

٤ - المصدر نفسه

٥ - المهدي والمهدوية ، أحمد أمين ٢٧ - ٢٩

على البيت العوى لأن اساسها اعادة الخلافة إلى احد اعضائه لأنها حقهم انزعه منهم خصومهم ظلما وغدرا . وكن من نتائج انتشار فكرة المهدي المنتظر « وتغلغلها في نفوس وعقول كثيرين من المسلمين قيام ثورات وحركات سياسية كثيرة في أنحاء متفرقة من العالم الاسلامي خصوصا في العصر العباسي . وقيام دولة عظيمة كدولة الفاطميين (١) ودولة الموحدين في الاندلس فليس بغريب والامر كما ذكرنا ان يهتز العلم الاسلامي لظهور « محمد محمد المهدي ، وذويوع امره . بل ان المألوف والطبيعي ان تسافر اليه الوفود من عامة مسلمي البلاد الاخرى كما حدث بالفعل مدفوعين بحب الاستطلاع والرغبة في تأييده طمعا في الثواب الاخروي أو النفع الدنيوي « وطبيعي ايضا ان يتخذ السلطان ما يتخذ . وان تفعل الحكومة الخديوية ما فعلت لان حركة كهذه — وقد حفل تاريخ البلاد الاسلامية بمثيلاتها — تستند إلى افكار دينية واضحة لا بد ان تستشري وتعرض كيان الدولة إلى خطر جسيم ، ولا سيما وان زعيم هذه الحركة اخذ يكتب لولاة المسلمين في البلدان المجاورة لبلاده . يعرض عليهم دعوته ويتهدهم بالغزو .

نجح المهدي وقامت دولته في السودان . وبسقوط الخرطوم في السادس والعشرين من يناير ١٨٨٥ ثبتت دعائهما واطمأن المهدي وانصاره ، وبدأ التفكير في غزو مصر الا ان الاجل لم يمنه فانتقل إلى رحمة مولاه بعد خمسة اشهر من استيلائه على العاصمة — الخرطوم — وخلفه عبد الله التعايشي خليفته الاول في رئاسة الدولة الجديدة التي قامت في عالم لم يرحب بها . ولم تحذ منه التأييد وقد سعت اليه بوسيلتها التي ارتضتها وضنت انها تكفله لها . تلك الوسيلة هي كتابة رسائل تتضمن شرحا للدعوة ثم مطالبة بالدخول فيها وتختتم احيانا بشيء من التهديد . ذهب عدد من تلك الرسائل إلى بعض بلدان العالم الاسلامي كما ذكرنا من قبل . وكن نصيب مصر رسالتين واحدة للخديوي وقد تحدثنا عنها فيما سبق ، وثانية لاهل مصر (٢) عامة انذروهم فيها بالغزو ودعاهم إلى نصرته .

كتب خليفة المهدي عبد الله التعايشي رسالة إلى خديوي مصر واخرى إلى

١ - المصدر نفسه ٣٥ - ٣٩

٢ - تاريخ السودان ، نعم شقير - بيروت - ٩٢٢

حكومة مصر مطالبا بالدخول في المهديّة ومهددا بالغزو . وكتب كذلك إلى السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين . وجاء في خطابه للسلطان قوله : « فقد حررنا هذا الكتاب انذارا لك من الوقوع في سخط رب الارباب فامعن فيه نظرك . وافدنا بما يوافق رأيك . وليس بعد هذا الانذار إلا الاعذار والسلام على من اتبع الهدى (١) . ونفذ الخليفة تهديد مصر بالغزو بأن ارسل جيشا بقيادة عبد الرحمن النجومي للاستيلاء على مصر وضمها إلى حكم المهديّة الا ان الجيش هزم وقتل قائده .

كان نصيب السنوسي من تلك الرسائل رسالتين . وقد تعرضنا لاحدها وهي التي استحثه فيها على التوجه إلى مصر غزيا وعرض عليه « كرسى عثمان بن عفان » في خلافته . وكان تعليق السنوسي عليها قوله للرسول الذي حملها اليه : « قل لمحمد أحمد اننا كلابا لا نساوى التراب الذي كان يطأه عثمان بن عفان » (٢) . ذكرنا فيما تقدم ايضا ان محمد أحمد المهدي اختار رجلا اسمه الحاج عبد الله الكحل ليكون واليا له في الشام . وكلفه السفر اليها الا ان الرجل . جاء مصر بطريق ودای وعاد إلى تجارته فيها » (٣) . اما عامله على مراکش لسيد محمد الغنى . . وقد رشحه لهذا المنصب بعض المراكشيين المقيمين في مصر فقد كتب له المهدي خطاب الولاية وخطابا آخر إلى أهل البلد وارسلهما « صحبة الحبيبين عبد الخالق السبتي والطيب البناني (٤) لا ان هذه الكتب لم تصل إلى اصحابها لان الطيب البستاني الذي عاد بها لم يبلغ بربر حتى كان المهدي قد مات . وعلم الخليفة به فارسل في طلبه واخذ منه الكتب وجسه » (٥) .

واصل الخليفة عبد الله كتابة الرسائل إلى جمهرة المسلمين في الملاد لاسلامية لغربية إلى بعض الولاة والوجهاء داعيا ومشرا . فكتب إلى — قبائل نجد والحجاز وعين حذيفة بن سعد عاملا له على الحجاز (٦) . وكتب إلى قريش وإلى أهل المدينة

١ - نفس المرجع ١٠٢١ - ١٠٢٢

٢ - تاريخ السودان ، نعم شقير ، بيروت ، ٧٠٨

٣ - المصدر نفسه ٩٢٦

٤ - المصدر نفسه ٩٢٧

٥ - المصدر نفسه ٩٢٩

٦ - المصدر نفسه ١٠٢٢

وعين عبد الله بن فيصل بن مسعود عاملاً له على نجد^(١) . واعداد الكتابة إلى السنوسى فى ليبيا ، فلم يتحرك السنوسى . كذلك اتجه برسائله إلى البلاد الأفريقية الإسلامية فكتب إلى سلطان ودى محمد^(٢) يوسف ابن السلطان محمد شريف . وقد دارت بينه وبين محمد أحمد المهدي قبل مماته كتب كثيرة . وكتب الخليفة إلى السلطان « حياتو بن سعيد^(٣) سلطان سوكونو أكثر من رسالة داعياً إلى الدخول فى الدعوة المذكرا بما دار بينه وبين المهدي فى حياته .

كتب المهدي رسائل إلى عدد من ولاة المسلمين قبل وفاته ، وتبعه خليفته فحرر عدد منها إلى حكام البلاد الإسلامية عربية وغير عربية ، وكتب كذلك إلى بعض الأهلين فى تلك البلاد . إلا ان جميع تلك الرسائل لم يأت بالثمرة المرجوة منها ، وذلك لان بعضها لم يصل كرسائلى مراکش ، أو لان ما وصل منها قد اهمل كرسائلى السنوسى . أو كرسائل التى بعثت إلى جهات معينة وإلى قبائل ومجموعات فى الحجاز وغيرها كالتى ارسلت إلى سلطان وداى والى سلطان سكونو ، إلا أن سلطان سكونو اتصل بالسنوسى مستشيراً لما وردت عليه الرسالة فاجابه ، اتركه وشأنه ماتركك . فاذا دخل دارك فحاربه فانك منصور عليه بعون الله »^(٤) .

ان بعض الذين اغفلو رسائل المهدي وخليفته فلم يردوا عليها و يستجيبوا لما جاء فيها كانوا قد أرسلوا من قبل وفودا إلى السودان لموقوف على جليلة الامر كعامل الحرمين^(٥) وعبد الله بن فيصل . كما ان بعضهم رد معلناً التصديق وارسل اهدايا كسلطان وداى محمد يوسف بن السلطان محمد شريف ، والسلطان حياتو بن سعيد بن محمد . سلطان سوكونو الا اننا لم نجد فيما بين ايدينا من مراجع ما يدل على ان احد السلطانين زاد على ما فعل .

يمكننا ان نقول مما تقدم ان العالم العربى والإسلامى انقسم قسمين فى موقفه من المهديّة — قسم عاداها عداً صريحاً منذ الوهلة الاولى وعمل على خنقها فى

١ — المصدر نفسه ١٠٢٣ — ١٠٢٤

٢ — و ٣ المصدر السابى ١٠٢٧ — ١٠٢٩

٤ — المصدر السابق ١٠٢٧

٥ — تاريخ السودان ، نعم شقير ، بيروت ١٠٢٣

مهدداً الا انه عجز ، وفشلت خططه فشلاً ذريعاً ، ويشمل هذا القسم تركيا ومصر ، واسباب العداء واضحة وقد تعرضنا لها من قبل . ولا شك ان العداء قد تمكن بعد محوثة الخليفة عبد الله غزو مصر في سنة ١٨٨٩ . وقسم استخف بها فلم يكثرث لشيء مما جاء في رسائلها ويشمل الحجاز والمغرب وبعض البلدان لاسلامية في القارة الافريقية . ونخلص من كل هذا الى ان المهدي لم تجد في العلم العربي والاسلامي المكان الذي ارادته اليه وسعت إليه ، فقد ارادت قول دعوتها والدخول فيها والجهاد من أجلها ، الا انها لقيت عداء واستخفافاً واهمالاً .

الشعراء والمعارك التي حدثت في هذه الفترة :

خاض المهدي بجيشه معارك عديدة ضد جيوش الحكومة المصرية التركية . وكن بعض تلك المعارك حاسماً كمعركة الجزيرة ابا انتي كشفت للحكومة مدى تمسك المهدي بفكرته . ومدى اخلاص اتباعه له ، وكان بعضها حاسماً وضارباً كمعركة شيكان التي انتهت مقاومة الحكومة وسالت فيها دماء كثيرة . وكان بعضها حاسماً وضارباً وطويلاً كمعركة الخرطوم اذ ثبتت بعدها اركان المهدي . وقتل فيها الحاكم انعام غردون باشا البريطاني الذي كان يمثل سلطة الخديوي في السودان كما قتل فيها كثيرون من الاهلين . وسبق كل هذا حصار طويل عاني فيه سكانها ما عانوا من جوع وخوف ، وعاني فيه جنود المهدي ما عانوا من متاعب نفسية وجسمية : وقد سبق كل معركة من هذه المعارك احداث معينة مهدت لها أو أدت اليها ، فقبل ان يشب القتال من معركة ابا حاء رسل الحكومة على ظهر باخرة خاصة الى الجزيرة ليتحدثوا إلى المهدي في امر خروجه على السلطة ، وتمت مقابلة ودار حديث بين الرسل والمهدي عاد بعده الوفد المرسل وجاءت فرقة من لجيش ثم دار القتال في ليل بهيم وفوق ارض ممطورة كساها وحل كثيف وكان قتالاً فريداً في نوعه ونتيجته اذ واجه فيه السلاح الابيض الاسلحة النارية وتغلب عليها بعد هذا الغلب شاعت الفرحة في الانتصار وقويت عزائمهم وذاع خبر النصر واخذ الناس يفلدون إلى ابا مباعين متأهين للجهاد . كذلك سبق معركة شيكان احداث لا تقل عما سبق معركة ابا وان اختلفت عنها ، فقد بث المهدي عبونه حتى علم بنبا تحرك جيش هكس ، ثم رسم خططه وارسل سراياه في جهات عدة . بعضها

لاحتلال مواقع المياه قبل ان يحتلها جيش هكس . وبعضها لماوشته في الطريق وهكذا ان حصره في واد مفتوح شئت وعى كل من جانبيه غبة كثيفة (١) ثم انقض عليه ودارت المعركة بالتحكم الجيشين في قتال مرير قصير انتهى بآبادة جيش هكس كله . وبهذا النصر الباهر كسب المهدي مكسب مادية وادبية افاد منها فوائد جمة في فضاله العسكري والسياسي . كذلك حفلت معركة الخرطوم بأحداث مثيرة سبقتها أثناء الحصار الطويل . وأحداث أخرى وقعت وانتقل مستمر كالهجوم على القصر - مقر الحاكم العام - ومصرع الحاكم العام البريطاني غردون باشا ثم خاتم الأحداث الحدث الكبير وهو تغلب جيش المهدي واستيلاؤه على مدينة الخرطوم .

(٢) ان كل هذا الذي ذكرناه عن معركه الثلاث يكون - في رأينا - مجالا خصيبا لتحياال الشعراء . ومادة غزيرة حية للموهبة الشعرية ، فهل استغل شعراء المهدي ذلك المجال الخصيب . وهل صاغوا شيئا من تلك المادة الغزيرة الحية ؟ لقد نظم شعراء المهدي شعرا في معركه خاضها امهدي بجيوشه . ولتتناول الان ذلك التقدير الذي خصوه به تلك المعارك لنجيب على السؤال الذي قدمناه ، فالشيخ الحسين الزهراء تعرض إلى بعض معارك المهدي في الثنتين من قصائده ولم يسم معركة بعينها من معاركه الشهيرة . قل في همزيته المعروفة :

والله دمر من طغي وأباده	حتى تولى قتله الضعفاء (٢)
ولقد تبدد جسمه برماهم	فكأنه من خلقه اشلاء
صالوا به وذويه بين حصونهم	في خندق غرت به الاذواء
شادوه بالحصن القوي وأبدوا	بالنار من في النار فهبى جناء
في كل مزغال شرارة بنسق	رام طوى من في يديه خواء
وكروهم كالرعد بين صواعق	للمسلمين وكل ذاك عدااء
الله اكبر ان يرد وجوهم	عن شأنه او تمنع البأساء
ولجوه عمدا باختيار صادق	ولهم يد في فتكة خرقاء
وقت بذمة احمد ومحمد	مهديهم وجنوده شهداء

١ - تاريخ السودان ، نعم شقير ، بيروت ، ٧٢٣

٢ - شعراء السودان ١١ ، لعله يشير في الأبيات الثلاثة الاولى إلى واقعة معينة .

فى جسد كل صريع منهم أثر ضربة سيف ، أو طعنة رمح . أو اصابه رصاصة حتى غصت القبور ببحث الموتى . وفى المجموعة الثانية وهى سبعة أبيات من قصيدة « رفعها إلى المهدي » يشيد الشاعر بالمتدين وشجاعتهم وبذلم النفوس فى سبيل ما حملوا السلاح من أجله . ثم يتحدث عن اسلحتهم البيضاء - بيض رفاق وقتنا سمر يحملها اولئك الجنود الذين يخطون يوم الوغى وكأنهم الآساد ليسنوا على عدوهم حربا تزلزل الاطواد الشاخنة : وهم لا يحربون وحدهم انما تحارب معهم ملائكة السماء وجنود من الجن لا حصر لهم . انه يمتدح شجاعة الجنود المقتلين ومقدرتهم الفائقة فى الحرب . فى يوم الوغى لا فى معركة خاصة ، انما هم كذلك فى كل معركة يخوضونها .

تعرض الشيخ محمد عمر البنا فى بعض قصائده لحروب المهدي فتدل فى نائيته المشهورة :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن الإله حياه (١)

وقال فيها

شم الجبال وللضعيف حماة (٢)	قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
شهدت به يوم اللقا الغارات	ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
قتل الاعادى عندهم عادات	وخلوفهم صدا الدروع لحزمهم
اثر السجود عليهم وسميات	فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا
اسدا واسل رماحهم غيات	وتخالهم يوم الجلال ضراغما
رزق النسر وخمهم قوات	ركبوا الجياد وغادروا شلوالعدى
تختال فى ميدانها فتيات	والخيل ترقص بالكمة كأنها
وأغر ن صبحا اذ علت اصوات	فأثرن تقع الموت فى عرصاتها
رعت دما وجلأوها الهامات	وذباب اسياف المنية فوقها
غير الجماجم والشعور نبات	والارض سالت بالدماء وما بها
وتوهموا ان الصعود نجاة .	ظنوا جبالهم المنية تقيّة

يا أيها الانصار ان صنيعكم
 اعليتم دين الاله وما بكم
 وشرحتم صدر الرسول محمد
 ورهبتهم العليج الكفور بسيفكم
 وسقيتم الاعداء كأس منية
 شكر الاله له وتلك هبات
 الا الثبات تزيينه الوثبات
 بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
 والدين تصلح شأنه الرهبات
 عبراتها ما مثلها عـبرات

وقال في قصيدة أخرى :

فسوفهم مسلوله ورماحهم
 ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
 واميرهم عثمان اهلك ملة
 ان صال فالفرسان تحجم دونه
 أوجال في الميدان تحسب انه
 أو جرد السيف المهند مؤمنا
 مسنونة وعليدهم مرهوب (١)
 أو غولبوا فعدوهم مغلوب
 عدم النصير صريحها المكروب
 فرق الهلاك وللسنان لعوب
 اسد تفرس والرجال تشوب
 لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ان الشيخ البنا خص معارك المهدي بستة عشر بيتا في تائيته . وفي هذا القدر اليسير
 بدأ بمدح الجنود فاشاد بقوتهم وصمودهم في الميدان أثناء القتال . واثني على
 بأسهم الذي تشهد به « الغارات يوم المقاء » ثم وصفهم بالحزم وباعتياد قتل الاعادي
 وبالتعب والاكثار من النصلاة في وقت السلم . وعندما يدخل هؤلاء الجنود ساحة
 المعركة ماذا يفعلون . وما الذي يحدث . ونحن نعلم ان الجنود عصب المعركة
 ولا معركة بلا جنود . انهم يمتطون صهوات الجياد . وتتقدم بهم جيادهم ورماحهم
 مشرعة . وينهلون على عدوهم فيردون جنوده قتلى وتتشرب جثثهم كثيرة ، وتسيل
 دماؤهم غزيرة . لتكون فيما بعد طعاما شهيا للطيور الكاسرة . وتذهب الخيل
 وتجيء وترتفع السيوف وتنزل ملطخة بالدماء . والغبار يعلو . والرؤوس تتناثر
 تتناثر في الارض .

هذا ما كن يفعله جنود المهدي في المعارك كما حدثنا الشاعر البنا في تلك

التي اقر الشاعر - اعلاوا دين الاله - صدره

واخفوا العليح الكفور ، وسقوا اعداءهم - اعداء الله - كس لمية .

اما فى البائية التى بدأها بقوله :

ما بال طرفى للدموع سكوب شوقا وقلبى لملاح طروب (١)

فقد تدول المعارك بايات ستة فقط ، وقد اوردناها من قبل . وفيها يمتدح الخود ويخص « اميرهم عثمان » ويتبع ذلك بوصف المعركة التى يخوضها ذلك الامير أو الميدان الذى يحارب فيه ، واذا دخل الميدان تحجم الفرسان خوف من الموت لانه اعتاد ان يلاعب استه فيغمدھا فى الاجساد ، ويحرد سيوفه فتساقط الرؤس فهو وجنوده مضطرون فى معاركهم بشجاعتهم وقوتهم وأسلحتهم الفتكة ، فليسيوف المسلوله والرماح المسنونة فى ايديهم أثناء المعركة وهم اسد تكلل النصر ، وتحقق لهم الغلبة وتنفوق . فمن يلاقيهم فى معركة ميت لا محالة ، ومن ينوى لقاءهم يحجم خوفا .

ان الشاعر البنا لم يسم معركة معينة لا فى ايات الثانية . ولا فى ايات البائية الستة بل وصف المعارك من حيث هى معارك خاضها جنود شجعان مستبسون كثيرون ، يحملون اسلحة كثيرة فتاكة ويحسنون استعمالها . وهم فوق هذا ، وذلك اتقاء يؤمنون بالله وبالغرض الذى يقاتلون من اجله ولذلك انتصروا وقتلوا اعداءهم تفتيلا ..

ثمة شاعر ثالث تعرض لمعارك المهدي فى شعره ذلكم هو محمد الطاهر المجذوب حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا	كيف ارتكبت لمصاعب (٢)
وهشيم تشهد عزمنا	كيف ادرعنا للمصائب
يا طالما صلدنا بها	صيد الغضنفر للنعالب
جيشا يرن سلاحه	كالرعد اذ ما المزن صائب
وسواكن تدرى بنا	اذا لدى الهيجا فضارب

نلاحظ ان الشاعر سمى ثلاثة أماكن - هندوب وهشيم وسواكن (١) -
 وتخذ كل واحد منها شاهدا على احداث معينة - ففي هندوب لاقوا مصاعب بل
 تعمسوا لقاءه وصبروا عليه . وفي هشيم عزموا ولبسوا دروعهم استعدادا لملاقاة
 ما كانوا يتوقعون من مصائب . وكانوا جيشا كثيفا قضى على الاعداء وجندل
 ابصارهم . وفي سواكن خاضوا الهيجاء وضاربوا واصابت سيوفهم اعداءهم في
 المتدثر و نقضت عليهم ضربات انقضاض الصواعق . اما هم فكانوا يتحركون
 في ارجاء المكان كالثيوت الظافرة . وكلما برزت لهم مجموعة من عساكر العدو
 وكتائبه انقضوا عليها ورموها ردى التواب . واعملوا فيها سيوفهم . من كل
 ذلك ذاع صيتهم ووصلت أنباء معركتهم مصر وكتبت عنها احدى الصحف .

ان الشاعر فى ابياته تلك يصف ما در فى تلك البقاع من عراقك فى شىء
 من لتفصيل فهو يبين نوع الضرب . ويحدد نوع السلاح وصوته وحرركته . ولا
 يغفل حركة الجنود وحرركة الخيول . انه يفعل كل ذلك فى فخر واعتداد لنفسهما
 فى الابيات الثلاثة الاولى . وتلمحها ايضا فى البيت السابع والثامن ، وانا لنحس
 فخر اشاعر واعتداده ايضا فى اربعة أبيات أخرى من هذه القصيدة هى :

حتى انت اخبارنا	من مصر تكتبها الجوائب
وأقر ويك بفضلنا	الاعداء فى كل المكاتب
وتحققوا ألا نبنا	لى بالمشقة والمتاعب
نحى لدين الله بل	فى شأنه نلقى المعاطب

نعود بعد هذا إلى ما نظم هؤلاء الشعراء الثلاثة - الحسين بن الزهراء ومحمد عمر
 البنا ومحمد الطاهر المجدوب - فى معارك المهدي فنلاحظ انه لا يتناسب من حيث
 الكثرة مع المعارك العديدة الهامة التى خاضها المهدي وانتصر فيها ، فكذلك لا يزيد
 عن ثمانية واربعين بيتا . وقد جاءت ابيات كل من الشعارين الاولين فى أكثر من
 قصيدة ، ما البالث فجاء بها فى قصيدة واحدة ، كما ان الشعارين الاولين لم يخصا

١ - هندوب مدينة فى شرق السودان كنت آنذاك مقر عثمان دقة ، هشيم ، مكن عرب هندوب
 كدت به حرب دنة بين جد المهدية والجيوش الانجليزية المصرية ، وقد أبلى انصار المهدية
 فيها بلاء حسنا - نفثات اليراع ٩٣ .

رام بهم ولهم بذاك سخاء
بيض بكت آثارها بيضاء

فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم
وسمو خراطيم الشقا بجوازم

وقال فيها أيضا :

ورماهم في الكافرين رواء (١)
ان الديار من الدمار هبساء
ان القبور ببعضها شهداء (٢)
ماذا الرغام وفي النفوس اباء
مح الهندي لما نهاء شقاء
عشب لعمري ان ذاك بلاء
تجري بهم وجسومهم سوداء

فسل الطلول هناك عن اسياهم
وامرر بهم وعلى الديار فحيها
واغش القبور بمنحة وهدية
واستجوب الاطواد صرعى بينها
وتخط خط النار تعرف خط من
والنار ترعى في الجسوم كأنها
ما النار شأن النار اعجب مأرى

وقال في أخرى :

فكأنها بنشيدها اعمواد (٣)
بخطوبه تخطو بها الآساد
والحق ابلج والورى اشهاد
بحلومها تراقص العباد
بشتاتها تنزل الاطواد
في جيش مهدي الورى اجناد
سوى الذين وماهم اعداد

مهج تققع في شتات جسومها
وكأنها يوم الرغى في كربيها
وعيونها مفضوضة بعيوبها
بين الرقاق البيض والسمر القنا
حرب بمحراب الهدي من بأسه
لم لا واملاك السموات العلا
والجن والانس الذين عهدتهم

هذا هو ما وصلنا من شعر الشيخ الحسين في وقائع المهدي الحربية : آيات لا تبلغ
الثلاثين عدا في قصيدتين مختلفتين ، ففي المجموعة الاولى وآياتها ثمانية عشر لا يسمى
الشاعر معركة بعينها ، انما يصف قتالا ابل في جنود المهدي بلاء حسنا لانهم
صالوا واقتحموا وحطموا الدور ، واعملوا سلاحهم في عدوهم ، وقذفوا
برصاص بدقهم فلم تطش منه واحدة حتى تساقط جند الاعداء قتلى والنار مشتعلة

١ - المصدر السابق ١٢

٢ - شعراء السودان ١٢

٣ - المصدر نفسه ١٣ - ١٤

بوصفهما معارك أو معركة معينة بل ارساله مسبق أو متبوعا بانشاء على الانصار
المقاتلين ثناء يثير الحماس ويوضح دور الانصار في الجهاد من اجل المهديّة . غير
ان محمد الطاهر المجذوب سمى ثلاث مواقع - هندوب وخصها بيت واحد هو
مطلع قصيدته ، وهشيم وخصها بالآيات الثلاثة بعد المطلع ، ثم سواكن وخصها
بثمانية أبيات . اما الباقي فكنه فخر واعتداد . فلاحظ ايضا ان الوصف في كل
الحالات وعند كل شاعر يكاد يكون متشابها بصفة عامة . فكل منهم ذكر الجيش
الكثيف والسلاح الكثير المتنوع واشاد بالشجاعة والاقدام والاستبسال ثم المقدرة على
الفتك بجنود العدو .

اننا نعتقد ان هذا الوصف الذي جاء فيما نظمه اولئك الشعراء الثلاثة وصف
حسى - وصف لعملية القتل والتقتيل التي تتم في ارض المعركة . وليس تسجيلا
فنيا لحوادث دامية هامة ذات أثر سياسى ودينى واجتماعى ، بل هو ايضا وصف
سطحي . اننا نقول ذلك لاننا لم نجد فيه اثرا واضحا قويا لشعور عميق داخل
الشاعر . ولو حدث ذلك لوجدنا في الايات وصف لما حل بالانفس من سرور
أو ضيق أو أسى . ولو تم ذلك لوجدنا في شعر كل منهم صورة لما في نفسه خاصة ،
ولبعض ما في المجتمع من صدى . ولقالوا كلهم أو لقتل واحد منهم كما قال
ابو تمام في تصوير الفرح بانتصار الخليفة المعتصم على جيوش الروم في وقعة
عمورية المشهورة :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت	منك المي حنلا معسولة الحلب (١)
ما ريع مية معمورا يطيف به	غيلان ابهى ربا من ربعها الحرب
ولا الحدود وقد ادمين من خجل	اشهى إلى ناظر من خدها الترب
سماجة غنيت منا العيون بها	عن كل حسن بدا أو منظر عجب

اننا نقول ذلك لاننا لم نجد في شعر أى منهم شيئا ولو يسيرا من الصور الحية تكشف
عن انفعال قوى وشاعرية ناضجة . وتدثر على سعة الخيال ، تلك الصور التي
نجدها في بعض قصائد أبي الطيب المتنبي التي وصف بها معارك الامير سيف الدولة
الحمداني وذلك مثل قوله في احد قواد الروم الفارين من قتال ذاك الامير العربي .

مضى بعد ما انتف الزماحان ساعة كما يلتقى الهدب فى الرقدة الهدبا
ولكنه ولى ولطعن سورة اذا ذكرتها نفسه لمس الخنبا
وخلى العذارى والبصريق والقرى وشعث النصارى والقرابين والصلبا

أو مثل قوله فى القائد الرومى نفسه لما هرب وترك ابنه :

نجوت بحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل
أتسلم للخطية انك هاربا ويسكن فى الدنيا اليك خليل
بوجهك ما انساكه من مرشة نصيرك منها رنة وعويل

انهم لم يأتوا بشيء من هذا ، أو بشيء قريب منه ، يبدو أنهم كانوا بعيدين من المعارك بعدا حسيا اذ لم . نجد فى مابين ايدينا من كتب ان أيا منهم صاحب المهدي فى جهاده كله من ابا إلى الخراطوم أو فى بعض ذاك الجهاد ، وكانوا بعيدين عنها بعدا معنوي لانهم لم يستطيعوا تسجيلها بالشعر تسجيلا فنيا يوضح اجواءها واحداثها ويبرز ما ظهر فيها من بطولات وأعمال حربية . ويكشف كذلك عما اكتنفها من صراع فكرى ونفسى . أنهم لم يستطيعوا ايضا تصوير ما كان يعقب تلك المعارك فى اوساط الجنود وفى المجتمع السودانى بصفة عامة . لقد كان فى تلك المعارك وما أحاط بها وحدث فيها وأعقبها موضوعات شعرية حية يتسع المجال فيها للنظم والاجادة .

قد قلنا من قبل ان الشعر الذى نظم فى معارك المهدي قليل ، ويمكننا ان نضيف الآن انه ليس بالجودة المرجوة ، كما أن ذاك الشعر سكت عن معارك كثيرة خاضتها جيوش المهديّة بعد وفاة المهدي اى فى عهد الخليفة عبد الله ، فقد كتب عليه ألا يساير الابطال فى حرب الحبشة كما ينبغي وألا يشيد بانتصارهم الذى دوت به الآفاق .. ثم هو لم يواكب الانصار فى مصادمة الجيش الفاتح بل تخلى عنهم وهم فى اشد المعارك اثارا للشاعرية واستدعاء الشعر (١).

المستوى الأدبي للشعر فى هذه الفترة من ناحيتى الشكل والمضمون :

ان اول ما نلاحظه فى شعر المهديّة انه أكثر مما نظم فى العهد التركى ، بل

١ - الشعر السودانى فى المعارك السياسية م . م . عل ٢٨٨

بل انه أكثر مما نظم فى عهد لعونج والعهد التركى . وعة هذه الكثرة قيام الثورة المهدية . فقد اطلقت تلك الثورة الشعر من عقائه . فانطلق الشعراء ينظمون القصائد الطوال والقصار فى موضوعات مختلفة .

من شعراء المهديّة الشيخ الحسين بن الزهراء . ومن قصائده همزية طويلة رفعها للمهدى وقال فيها :

كـ برح الحنا ما الحق فيه خفاء وتو لست الآيات والانبياء (١)
فالامر جد والقلوب مريضة والداء داء والدواء داء

وقد رفع هذا الشعر قصيدة ثانية للمهدى . قل فيها :

الامر جد والخطوب جسد وجنود مهدي اورى امجاد
نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر فبدت لهم من حاجس ازواد

ورفع قصيدة ثالثة للمهدى قال فيها :

أهاجك وصل بالاباض يلمع لها فيه ما شاء السراب الملمع
أم البرق فى شطر العقيق ولعلع فهاجك يا هذا العقيق ولعلم
أم الواقع المتبول بين اجساد عليه بها طير المنية وقسع

ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

بنفسى فتى بالشمس رآد الضحى أزرى ونورا يفوق النور من كان والبдра
تبلى لنا من ذيل آفاق غيبه إلى ان ترى فى العلا بيننا جهرا

ومن شعراء المهديّة كذلك الشيخ محمد عمر البه ، ومن شعره النائية الطويلة

المشهورة التى قال فيها :

الحرب صبر واللقاء ثبات والموت فى شأن لاله حياة (٢)
الجن عار والشجاعة هيبة للمرء ما اقترنت بها لغزمت

وقد مدح الشيخ البنا عثمان دقنة بقوله :

١ - شعراء السودان ٧٤ .

٢ - شعراء السودان ٢٧٥ .

ما من طرفي ناسه - سكون
ولقد فنتت وما ظفرت وري
نا في هوى الغيد حسان معدت
شوق وقسى لملاح طروب (١)

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح به الامير 'ار'كى بنيت العزل الآتية .

بـ يؤرقى عبر شـدك
ويردني من حلة العتلا إلى
ويزيدني قلقا دو م جفـاك (٢)
حل الخيال تـنى وابـاك

كما بدأ قصيدة اخرى بقوله :

دعوني جتنى ثمر ارقـاد
الا ياحادى عيسهم رويسدا
وخاموي امين إلى اوساد (٣)
سلمت من الملمات العواد

كان من شعراء المهديـة الشيخ ابراهيم شريف الدولاني . وقد رثى المهدي بالقصيدة الآتية :

كيف التئام فؤادى منقور
اـ كيف ينفاك النـصا عن مهجة
ورقوء دمع محـاجرى المنجور (٤)
حسوها تصلى على تـور

ومنهم أيضا الشيخ اسماعيل عبد القادر لفتى الذى وصف قبة المهدي بقوله :

سـت قبة المهدي مجدا وسؤددا
وصيغ من لا كليل تاج لها مـها
ونيطتـها اجوزاء عقدا مضدا (٥)
وسار بها نـهر المجرة مزبد

أما الشيخ عمر لارهرى (٦) فقد مدح النـى صلى الله عليه وسلم بالقصيدة التى جاء فيها :-

١ - شعراء السودان ٢٧٨

٢ - شعراء السودان ٢٨١

٣ - شعراء السودان ٢٨١

٤ - نص المصدر ٢٧

٥ - شعراء السودان ٤١

٦ - شاعر سوداني ولد ١٢٠٠ هـ درس خزانة و مدعى محقق و نعت اعراسه على شيوخ سودانيين ثم هجر إلى الجزائر و تقصع بدراسة فقه و اشتغل بتدريس بعد عودته توفي ١٣٢٣ هـ شعراء السودان ٢٤٩

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني (١)
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه العشاق لم يختلف فى ذلك اثنان
ومن مدائحهم فى النبى صلى الله عليه وسلم قوله :

ناد هـواه ورائد خفته سانه صب تفرق بالنوى اخدانه (٢)
فجرت بوادر مقلتيه لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جنباه

وهذا الشيخ الشاعر قصيدة نشرتها مجلة « الجوائب المصرية لأنها نالت جائزة
تلك المجلة ، يقول فيها :

سلوا عن فؤادى مسيلات الدوايب فقد ضاع من بين القلوب الذوايب (٣)
فلا سلمت نفس من الحب قد خات ولا كان جفن دمعته غير ساكب

من الذين عرفوا بطم الشعر فى هذه الفترة المصوى عبد الرحمن (٤) ، فقد نظم
قصيدة يثنى بها على الزبير باشا ، قال فيها :

أوميض برق أم سما مصباح أم ضوء فجر صادق الاصباح
ام بدر تم فى الدياجى ناشر بيض الملاء على ربي وبطاح

ومن شعراء المهديّة كذلك محمد الطاهر المجذوب الذى رثى المهدي بقوله :

دهت دواه يصرس القلب دهب ويوقد فى الاحشاء نارا منابها (٥)
غداة نعى الناعون مهدينا الذى به ملة الاسلام جل مصابها

ومن شعر هذا الشاعر قصيدته التى وصف فيها بعض المعارك التى خاضتها جيوش
المهديّة بقيادة عثمان دقنة ، حيث قال :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبنا للمصاعب (٦)

١ - المصدر نفسه ٢٥٠

٢ - شعراء السودان ٢٥٢

٣ - شعراء السودان ٣٥٨

٤ - ولد فى قرية مملوك ، بدأ تعليمه فى السودان ثم هاجر إلى مصر ودخل لاهوت وادب
بدأ يعلم ادب فى كركرج ثم حق المهدي وصحبه مدة من الزمن ، وبعد وفاته عاد إلى مصر
وفيها لقي الزبير باشا نفثات اليراع ٩٧ .

٥ - شعراء السودان ٣١١

٦ - نفثات اليراع ٩٣٠

وهشيم تشهد عزمنا كيف ادرعنا للمصائب

ومنهم ايضا عبد الغنى السلاوى ، وقد رفع قصيدة لمهدى جاء فيها قوله :
راق الصبوح ورقت الصهباء مد كان فيها لمعليل شفاء (١)
ريية نبوية مسكية مهديّة روحية وسماء

هالك شاعران نظم كل منهما قصيدة فى اواخر العهد التركى الا ان القصيدتين
قريبتان من شعر المهديّة احدهما تشبه شعر المهديّة من الناحية الفنية . والثانية
قيمت فى المهدى ودعوتها لما جهر بها وظهر امره . الاولى من نظم حمد مدني (٢)
فى رثاء السيد عبد العز بن السيد احمد بن دريس المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ . وقد
قال فيها :

ماى أرى رويق البلدان قد ذهب والوراضحى عن لاكون مسلبا
والناس مشغولة الافكار حائرة يد صاح مداد بهم هل تعرف اسبابا

— أما القصيدة الثانية فمن نظم الشيخ محمد شريف (٣) . قيبت فى انكار دعوة
المهدى والتقليل من شأنه وشأن صاحبها . وقد جاء فيها :

لقد حاءنى فى عام زرع لموضع على جبل السلطان فى شاطئ البحر (٤)
يروم الصراط المستقيم على يدى فابعتة عهدا على انهى والامر

تدكم هى نماذج اخترناها من شعر المهديّة . وهى نماذج يسيرة وسبحد
القارئ الكريم النصوص كاملة فى آخر الكتاب ان ول ما نلاحظه فى تلك
النماذج هو ان اولئك الشعراء لم يخرجوا عن موضوعات الشعر القديمة المعروفة .
ونعنى بها الاغراض التى نظم فيها شعراء العرب الاقدمون وهى — المدح والرثاء
والحماسة والوصف والهجاء والغزل . الا أنهم قصرو نظمهم على بعض تلك
الاغراض وهى المدح والرثاء والحماسة والوصف . ولم يوردوا الغزل قصائد بعينها .

١ - نفثات اليراع ٨١ .

٢ - أحمد مدني . ولد فى شدى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٤٦ م) تلمذ على كبار علماء مصر . وصار مدبرا
خاصا لمدير دقلا ابان العهد التركى . نفثات اليراع ٩٦ .

٣ - حميد الشيخ نقيب صاحب طريفة سمادة . تلمذ على المهدى وصحبه مدة طويلة لا اهما
اختلفا واقرقا .

٤ - تاريخ السودان لموم شقير ، بيروت ، ١٤٠٠

كما ان شعرهم الذى وصل ايننا خلا من الهجاء نمدح الا قصيدة واحدة نظمت فى
اواخر العهد التركى واوائى ياء المهدى . ولنتناول لآن ما قالوه فى كل غرض
من تلك الاغراض بالنقد .

المدح :-

أقبل الشعراء على المهدى بخصونه بمدحهم . وفيها يشنون على شخصه كقول
الحسين بن الزهراء :

فهل دون مأواك الخصب فناؤه	لحاج ذوى الحاجات يا عيش مربع (١)
أنادى فلم يذهب ندائى للمذهب	شقاءى ولم يجمع شتائى مجمع
واثنى لعل الصوت يبلغ احمدا	فيعلم ما بي او يعيه فيسمع

وكفوله ايضا فى قصيدة أخرى :

بنفس فتى بالشمس راد الصبحى ازرى ونورا يفوق النور من كن والبدر

وكقول الشيخ محمد عمر البنا فى تائيته المشهورة :

حاشا جندكم المرأ ان ارى ضيما ولى فى حبكم سكرات

وكقول الشيخ عبد الغنى السلاوى :

اضحى به روض المعانى يانعا	وعلا لرواد الضلال رداء (٢)
امست به آثار طه نورها	يعلو ولا يعلو عليه سناء
فالمجد فيه مؤئل والفضل منه	مؤمل والنس فيه سوء

وفىها كانوا يمجدون نسبه تأكيداً وتأييداً لمهديته . وذلك كقول الحسين بن الزهراء
فى المهمزية المشهورة :

اسابق ابن السابقين إلى الهدى	من معسر تنجت بهم رهراء
وبهم تبلج كل غصن مشر	بجلايه ترهو روضة خضراء

كما انهم ضموا تلك المدحات تأييدهم دعوة المهدى . وكثيرا ما كانوا يسوقون
ذلك التأييد فى قوالب المدح ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء :

بالآية الكبرى التي بظهوره
مهدى رب العرش منتظر الورى
كحل لرضا ونجابت الاسواء
وإلى الورى والاكرمون وراء

وكقوله فى قصيدة أخرى :

عماد المهدى أس الجدى معدم العدا
ملك اساطير الخلافة كفوها المعد
بدا واليه أس فى لارض نجع
هذا حصن الحصين الممنع
بهمته التاج لمقيس المرصع
امام المهدى المادى لكل مرشد

وكقول عبد الغنى السلاوى فى قصيدته الحمزية :

ان كنت من انصار مهديا لب
م هديه غير انكتاب وسة
مهدى الورى من فاض عنه هدا
ولتاركون لداك هم كمراء
ومع مدحهم المهدى وتأيدهم دعوته فى
المقاتلين والقواد . ومن ذلك ما جاء فى توبة البيا من شادة بجنود المهدى حيث قل :

قوم ذا حمى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
شم الجبال وللضعيف حماة
شهدت به يوم النقاء الغارات
قتل الاعادى عندهم عادات
تتر السجود عيهم وسمات
فى السلم تلقاهم ركوعا سجدا

وقد قال الشاعر نفسه فى مدح عثمان دقة بعد ان اشاد بجوده الذين قادهم
لنصرة الدعوة المهدية فى شرق السودان ، قال :

واميرهم عثمان اهيك مله
ان صان فالفرسان تحجم دونه
عدم انصير صريحها لمكروب
فرق ضلالك واللسان لعوب

ومدح البناء كذلك امير آخر من وراء المهدية هو الامير نراكى (١) وقد تعرض
معظم هؤلاء لشعراء إلى فكرة المهدية فى مدائحهم . فقد قال الحسين بن الزهراء
فى احدى قصائده :

به اخبرت من قبل وقت ظهوره
صحاح رواها هرزى موضع

وكقوله في الحمزية :

انعم بامر كان من جد القضا جار وقد حكمت به الاسماء
وله الاشارة من ألت برنكم طوعا به وليس مع العلماء

كما تعرضوا لبعض ما عرف بين الناس في ذلك الزمن من كرامات المهدي ولما ورده
المهدي في مشوراته كشتعال^(١) النار في جسم العدو عند ما تصيبه صربة أو طعنة
من جنود المهدي . وقد ذكر ذلك الحسين بن الزهرى في حمزيته التي عرضنا ابيان
منها في الصفحات السابقة حيث قال :

والنار ترعى في خسوم كآنها عشب لعمرى ان ذاك دلاء
ما النار شأن انار اعجب ما ارى تحرى بهم وحسومهم سوداء

وكاشتراك جنود من اجن^(٢) ومن الملائكة مع جنود المهدي في القتال . وقد
ذكر هذا الحسين بن الزهرى في دالينته التي رفعها للمهدي . وذلك حيث قال :

لم لا واملاك السموات العلاء في جيش مهدي الورى اجناد
والجن والانس الذين عهدتهم سوى الذين وما لهم عداد

كما ذكر البنا في قصيدته التي مدح بها عثمان دقنه اذ قال :

وامدهم جيش للملائك نشر رايات نصر للبلاد تجوب

كذلك مدح بعضهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالشيخ عمر الازهرى الذي
نظم قصائد عدة في مدحه صوت الله وسلامه عليه . وقال في واحدة منها :
محمد صموة النارى وخيرته المختار من رسله للانس واجنان
ذو المعجزات التي قد اعجرت عدداً من رام عد بالى الف ديوان

وقال في أخرى :

هذا الذى اعجز النصحاء والبلعاء عجزا ظهرا قرآنه
نطق الدراع له وحن الجذع وانسكب لسحاب اذا اشار بناه

١ - كتاب المهدي إلى يوسف اللال ، مشورات المهدي - أبو سليم ٣١٢

٢ - خطاب المهدي إلى محمد وذ البصير . مشورات المهدي ، أبو سليم ١٨ ومشور الدعوة ، المصدر
نفسه ٢٤ ومشور الحضرة ، المصدر نفسه ١١١ .

جمعت خصال المسلمين له كما
متواضع والزهد فيه سجية
جمع الندی فی کتبهم عرفانه
یطوی ویصعب والوان اوانه

وقال في الثالثة :

محمد المحمود في الارض سيرة
ذا ذكر اسم الله يقرن باسمه
وهوق الطباق السبع الملاء الاعلى
لتعظيمه في كتب انت تتلى
فمن لم يحب بالمار يصلى وان صلي

من الشعراء الذين نظموا قصائد في مدح الرسول الشيخ أبو القاسم (١) أحمد هاشم
والشيخ الطيب (٢) أحمد هاشم والشيخ ابراهيم (٣) أحمد هاشم الاننا نكتفي بما ورد
من شعر الشيخ عمر الارهرى امثلة للمدائح النبوية ، لأن الشعر الذي يعنى في هذا
المقام هو الشعر المتصل بالمهدى ودعوته ، لكننا نرى الا بد من ذكر بعض ابیات
من قصيدة الشيخ المضوى (٤) عبد الرحمن التي نظمها في مدح الزبير ناشا لان
شعراء ذلك العهد لم يتجهوا بمدائحهم للأفراد العاديين — قال المضوى :

امومض برق ام سنا مصباح
ام بدر تم في الدياجي نائس
ام ضؤ فجر صدق الاصباح (٥)
يخص الملاء على رنا وبطاح

واذا تأملنا هذه القصائد نجد ان الشاعر في كل واحدة منها يعدد فضائل المدح
بل يسردها واحدة تلو الاخرى في شكل تقريرى ظاهر ، وتتساوى في ذلك مدحات
النبي ومدحات المهدي ومدحات الافراد العاديين . فعمر الارهرى قال مدح
النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد صفوة الباري وخيرته المختار من رسده للانس والجان

- ١ - علم سوداني عمل كاتبا في انهدية وقصيا في عهد الحكم الشدي ثم اختار شحا معلما وولد في برى ١٢٧٨ هـ شعراء السودان ٣١
- ٢ - ولد في بربر ١٢٧٣ هـ علم سوداني ، عرف في مهدي بنسبه ونفوذ ، وكان فرسا كدر رجلا . تولى القضاء والافتاء في عهد الحكم الثنائي ، المصدر نفسه ٤٣
- ٣ - ولد في بربر ١٢٨٩ هـ وعمل في دور المحاكم الشرعية ابان الحكم الثاني .
- ٤ - ولد ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) تنمذ عن عمه كثيرين ، اتصل بالمهدى وصار دعة له في حرموم حرب إلى مصر بعد وفاته ، نقشات التبراع ، ٩٧ .
- ٥ - المصدر نفسه ٩٧ .

دو المعجزات التي قد عجزت عدد من رما عدا نانقي ألف ديون

ان الشاعر في بيته تبت بين لعله في قصائده كلها . يقدم لما يرب بانصافات
الحميدة الفريدة البنية التي على بها سيد محمد . وهو يقول نه صفوة البرى .
وحيرته مختار . وانه صاحب المعجزات المعجزة . وانه يبرز لتصحوا وانبعث
تقرآته . وانه قد وفق المرسلين على حوى من صفاتهم كلها . وون كنهه قد وفق
كتب المرسلين الذين سبقوه لانه احتوى ما جاء فيها وازي . وفوق هذ وذلك
فهو محمود في الارض وفي السموات السبع ذا رجعتا إلى قصائد المدح التي قلت
في المهدي نجد اشعراء يسردون صفته سردا ويقررونها تقريرا كقول الحسين
ابن الزهراء في اعبيبة التي عرضنا أيتها منها فيما تقدم . قال :

عماد هدى من الجدى معمد العاديات وليه الس في لارض نخع
ملاك اساطير خلافة كفوها المعدلها احصن احصين المنع
مدم احدى الهدى لكل مرشد بهمة المدح لميس لمصنع

وكقوله في قصيدة أخرى :

تتحق حياء ولهم كرامات
او كما قال الينا في مدح عثمان دقة :

واميرهم عثمان هلك منه	عدم انصير صريحها المكروب
ان صال فالقرسان تحجم دونه	فرق افلاك ولسان لعوب
.....
فالخلم فيه سجية مغروسة	اما لدى حرم الاله غضوب

وكقول المصوى في مدح الزبير باشا :

ضخم اللسيعة ما خلعت ابوابه	من قاصد به في مساء وصباح
من دوحة العباس عم المصطفى	اكرم نه من سيد جمجم

فحين اذ تأمنا هذه لأبيات نرى انها تعد نصدت عدا . فانهدى عماد الهدي
ثم اس الجدى ثم معمد عدا . وهو يعد ذلك ملاك اساطير الخلافة وهو كفوها .

وعثمان دقة اهدى اعداءه . فهو درس تهابه الفرسان . وهو فوق كل هذا حاج
غيور . والزبير دس ضخم الدسيسة . ابوابه تزدحم فيها الناس ونسبه ينتهى إلى
عباس عم السى . هكذا كل الشعراء يتدحون . يقدم الواحد منهم سلسلة من
الصفات وكأنه يقدم كشفا . منظوما أو مجموعة عبارات جافة لا أثر للشعور فيها
ولاحظ لها من خيال . وشخصية الممدوح لا تكاد تبين أو تتحدد بين تلك
الصفات المسروقة

الرثاء :

لما انتقل المهدي إلى الرفيق الأعلى رثاه بعض الشعراء وقد حفظت لنا المراجع
اسماء وقصائد ثلاثة منهم هم ابراهيم شريف الدولابي ومحمد بن الطاهر المجذوب
واسماعيل عبد القادر الكردي . ولم نجد فيما بين ايدينا من مراجع رثاء المهدي
من نظم الحسين بن الزهراء أو من نظم محمد عمر البنا مع انهما ايداه بالقصائد
لطوال وشادا بشخصه وبرسالته وبانصاره المقاتلين — ولم نجد كذلك رثاء في تلك
المراجع لغير المهدي وبعض من قواده مثل حمدان أبو عنتجة فقد رثاه محمد بن
الطاهر المجذوب ويبدو لنا من هذا ان الرثاء كان مقصورا على فئة خاصة . ولم
يخرج عن دائرة تلك الفئة ليشمل ذوي القربى أو أهل المودة وعيون المجتمع من
غير الحكام .

نبدأ ابراهيم شريف الدولابي مرتبة بتصوير فداحة الخطب بالتعبير عن مدى
حزنه لوفاة المهدي فقال :

كيف التام فؤادى المنظور	ورقوء دمع محجى المفجور (١)
أه كيف يفتك الضى عن مهجة	احشاؤهد تصلى على تنور
سف على المهدي من مهد الصبا	قد كان معصوما عن المحذور

لقد وفق الشاعر في هذه البداية لأنه أعلن فيها عما أصابه . ولا يمكن ان
يصيب احدا لموت آخر أكثر واعظم من انقطاع النور . وعجز الدمع وضاء المهجة
ثم تراث الالهة . والله فى نسيه انه قت ان الذى أصابه لا يزول . ونستفيد

هذا من ذلك الاستفهام الذى يدل على النعى . ولعمره من تمام التوفيق ان ينتقل الشاعر بعد اعلان ما اصابه واعلان استحالة برئه منه إلى الاشادة بالمهدى وبين بعض ما تحلى به ويذكر فى غضون ذلك المشهد الذى نصب فيه مهدي . ثم يشيد بدعوته وعهادته وينضل تابعيه المهتدين بهديه وذلك حيث يقول :

فدعا إلى الدين الحنيف مجاهدا بالسيف والاذنار والتبشير
فتح الفتوح ودمر الكفار فى كل البلاد بجيشه المنصور
ومن انتمى لسواه اصبح حائرا ضل الطريق بليلة ديجرر

ولا نشك ان مثل هذه الاشادة المتصلة الشاملة مما يريد فى تصوير فداحة الخطب ونصم النقاد . وعندها ينتقل الشاعر إلى مكانة المهدى الدينية مشيد زهده وتقواه وكرمه فيقول :

طلق المحيا خاشعا متواضعا كهف الفقير وجابر المكسور
وتفيض بالجلود الكثير يمينه ابدا بلا من ولا تكدير
وبيت طاوى الكشح جوعا وهو قد اعطى الكنوز يجمعها الموفور
لا يبتغى حبا ولا مالا ولا عز الملوك ولا ارتفاع الدور

هذا ايضا جاءت الاشادة مفصلة شاملة فقد تطرق الشاعر إلى علم المهدى بالشرعة والحقيقة وجعله بحرا فى كليتهما . ثم تعرض إلى صوفية المهدى أو تصوفه . فقال انه سر الوجود و ترجمان الحضرة العليا « وهو مظهر الغيب » . بعد ذلك ذكر بعض ما خصه الله به . والله اكرمه بطيب تحية « ومن هذا التفصيل الذى شمل عبادة المهدى وكرمه وعظمته على الفقير والمكسور . وشمل أيضا زهده وتواضعه انتقل اشاعر إلى رسالة المهدى وتحقيقها فقال :

ما همه الا اجتذاب الخلق من درك الشقاوة عميهم والعور
لما ابان لنا السبيل ولم يدع ايضا ح منهى ولا مأمور
والدين عز واهله بلغوا المنى وتقلبوا فى نعمة وحبور
ناقت إلى الذات العلية روحه وسعت لمقصده صدقها المنخور
فمصر دودح كل قلب حسرة وحشا الحشا بلباب وسعير

فى هذه الأبيات يعان الشاعر أهداف رسالة المهدي ويحصرها فى . حثاد
 الخلق جميعهم مما انحذروا اليه من شقاء وايضاح السبل ليعترف الناس ما أمر به
 الله وما يهوى عنه . واعزاز الدين واهله حتى يتقبلوا فى نعمة وحبور . ويعلن انه
 قد بلغ تلك الأهداف . وبعد بلوغها انتقل إلى حوار به تاركه فى كل قلب حسرة
 وفى كل جوف نر مستعرة . لم يقل أشاعر مات أو . قصى نخبه و مثل
 ذلك مما يتدل عادة لكه قل « نأقت إلى الذات العلية روحه و سمعت لمقصود
 صادقها » . قال ذلك تميزا للمهدي عن غيره وتقديرا لمكانته الدينية ورسالته التى
 جاهد فى سبيلها إلى أن حققها . فشاعر يؤمن به ويعتقد صحة دعواه . اليس هو
 القائل فيه فى نفس القصيدة :

ومن اهتدى بهداه اصبح دخلا	سور الرضى اعظم به من سور
ومن انتمى لسواه امسى حائرا	ضل الطريق بسيرة ديجور
ماشت فيه من الثناء فقل ولا	تخذتك لومة لائم مدحور
ما اضليت مداحه الا وهم	عن وصف بعض حلاه فى تقصير

من هذه الأبيات ومن بعض ما قدمناه قبلها نرى ان هذه المرثية حوت تأييدا للمهدي
 فى دعوته وفى جهاده وتأكيذا لمهديته ويكميها دليلا على ذلك الابيات :

لازال فى كمف العاية يغندى	لداق انتصير و تنوير
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذى	عنه انتهى فى حيرة وقصور
واقامه المختار عنه خليفة	خلعت عليه ملابس من نور
ورقى إلى كرسية متسما	فى مشهد بالاوليا معمور

فى ختام هذه المرثية أخذ الشاعر يعدد مواطن البكاء او يسبب البكاء والانتحاب
 إلى امكة كان يغشاها المهدي . وهى اليق به واشبه . كما اتنى على لارض اتنى

حوت جسمه فمناق طيها مما حوت ما يفوح من مسك والكافور . قل :

تبكى المساجد والمنحارب فضده	ومواضع الاذكار والشكبير
يا طيب ررض ضم جسمك ترها	تردى تعرف المسك ولكافور

وبعد التعداد شرع في العزاء فقال :

يا آل بيت المصطفى صبرا وان
وكم تجمع في مصيبة جدامكم
جن المصاب وعمر عن تصوير
خير الازم الحى والمقبور

نه يعزى آل المهدي ويسميه آل بيت المصطفى . مریدا بذلك نسبتهم
إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا يكشف الشاعر عن ايمانه بالمهدي والمهدية
لان المهدي حسب رأى الشيعة لا يكون الا من آل البيت . وعلمه اراد ان جدهم
رجل اصطفيه الله وفضله على لاهياء والاموات من الازم . وفي هذ ايضا ايمان
به وتأييد لدعوته . يقرر بعد كل ذلك انه شمس توارت . واذا ما توارت في
المرى تلك الشمس اتى يتهنى بضيائها السائرون . ويستغ بشتتها كل كائن حى
وعزء والمعرض فى نذر نوره عظيم ذلکم هو الخليفة عبد الله بن محمد . ثم يأخذ
بعد ذلك فى مدحه وامتداح سيرته . وينتقل من بعد إلى بقية الخلفاء مشيدا بموقفهم
وافعاضه . ويعين انهم قوام الدين بعد امامه « وهم ايضا تمد ظهوره . ونفا
منحس فى كل ما قل عنهم تأييدا للمهدي وتأكيذا لصحة دعواه . ويكفى دليلا
على ذلك انه يسمى احدهم خليفة المذروق « ويسمى الثاني « خليفة الكرار » كما
سمه المهدي . ثم يقول عنهم كهم انهم قوام الدين بعد موت المهدي امامه «
كما يقول في تمام ظهوره . وفي البيت الاحير دعاء بصلاة على الصريح الذى
ضم وفاة المهدي . صلاة طيبة ترداد كل صباح وتكرر كل مساء .

أما محمد بن الطاهر منجذوب فقد سلط نفس الهيج تقريبا بدأ بتصوير فداحة
الخطب فقال :

دهتا دوه يضر من القلب ناهب
عده نعى الدعون مهدين الذى
ويوقد فى لاحشاء ناراً مناهبا^(١)
نه ملة الاسلام جل مصابها

انه يحتل المعنى والحزن الذى اعقبه جمع من الدواهي لها ناب او أياها انغرس
فى قلب وحدثت ألم مصداً نقل إلى الأحشاء وانتشر فيها نارا حامية وبعد هذ
التعنين يعين الشاعر ان مصاب حبل وانه فقد للاسلام والمسلمين . ثم يشرع فى

تعداد محامده ليؤكّد فداحة الخطب وليدلّ على نّ نصيبه حتّ المجتمع الاسلامي
كله ، وذلك بقوله :

امام المهدي المهدى اوصل من دعا	يا الله مفتاح السجاة ودم
الا قد اصبتا اذ علمنا حبسنا	وصاقت بنا لارواح الواسع رحابها
لبيك له الدين الحنيف وملة	ابان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا هديا يتمنا تنقده	فتسلك يا شمساً دهن غياها

في هذه الايات الاربعة يقرر الشاعر نّ تنقيد امام الهدي « وه » فضل من دعا
إلى الله « وانه مفتاح السجاة ودمها » فكيف لا يكون فقدّه عظيم و نصاب فيه
جلالاً ، وكيف لا يحزن لفقدّه المجتمع الاسلامي كله وقد هداه إلى السبيل اسوى
واعاد إلى الدين هيته بعد خراب . وقد كنّ لهم ، هدياً كما كان شمساً «
ان الشاعر بقوله هذا لا يصور عظم الضرر موت المهدي فحسب ، انّ يؤيده ويؤكّد
مهديته .

يأخذ الشاعر بعد ذلك في مراجعة نفسه وتذكيرها بربّها وحكمه فيقول :

إلى الله ان راجعون هو الذي	ايه نفوس العالمين يه
هو الفاعل المختار بق واوما	نفوس اورى جمعاً اليه انقلاب

ويتطرق إلى ما كان يتوقعه من لقاء المهدي ويؤسى لانّ ما كنّ يتوقعه لم يتم .
ويدعو لقبه بالسقيا ، وذلك في قوله :

وكما ترى انا نفوس بوصله	ننى مدار حتى صاح فيها غرابها
علم يبق فيها الآن ما يتبعى له	نقاها فقد اضحى سرايا شراها
سقى الله ارضاً ضمته بقعها	به فاقت العرش العظيم قباها

ويختتم مرتبه بلعزاء يقدمه إلى حلفاء المهدي وإلى اهله . ويخص كل خليفة كما
يخص اهل التقيد بشيء من الثناء في الايات التالية :

عزاء إلى الصديق نائبه الذي	نه الملة الغرء شدّ انتصابها
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه	لدى نعم الدنيا الغرور احتجابها

عزاء في الكرار ذي الناصر المدي نديه يسبب البثور ذبابها
عزاء إلى الآل الكرام أولى المتى على لله هتيتك الررايا احتسابها
وفي احتام يسأل لله ان يلحقه بالمهدي في حمة العلا . ويبعث اليه تحيت
ربانية في البيتين :

واحتقا المهدي في جنة العلا ليذهب عن هذي القلوب إكتئابها
الانلعوا عند صريح بني الهدى خسايا إلى الله الكريم انتسابها
مرة أخرى نلمح تأييد الشاعر للمهدية في الثناء الذي يحص به الخلفاء ويقدم اليهم
مع العزاء . ونلمحه ايضا في الرغبة التي يعلنها في آخر مرثية حيث يطلب إلى الله
ان يلحقه بالمهدي في احنة لتذهب عن قلبه تلك الكآبة التي اصابته لانه لم يفز بلقاء
المهدي كما كان يأمل ، كما اصابته بموت المهدي .

ان المرثية الثالثة من شعر الشيخ اسماعيل عبد القادر الكردي ، وقد جمع
فيها بين الرثاء ووصف فيه المهدي . وستناول الآن جانب الرثاء وترك الوصف
إلى حين . بدأ الرثاء بتعداد محامد المهدي وسرد افضاله فقد :

خلاصة صفو المجد من آل هاشم وافضل من في الخير راح او اغتدى
امام له في كل مجدد وسؤدد ماتر فضل ما أجل وامجدا
محمد المهدي بشرى محمد شفيع الوري في الحشر من طاب محتدا
سراه غسى نلل السعد مطربا وقدم على عصن المسرات منشدا

انه يرجع نسبه إلى بني هاشم آل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ويقرر
انه افضل من « راح واغتدى » . وهذا يعني انه افضل البشر . بل افضل من سعى
لتخير وجاهد في سبيله . ثم يقرر ايضا انه بشرى محمد . ولعله يريد بذلك
تأكيد ما يعتقد من صلة بين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين ما جاء
به المهدي ثم يتمثل في رسالة المهدي وجهاده في سبيلها فيقول :

به الله حيانا واضهر دينه واولاه افضالا ونصرا مؤيدا
وقد أحرز الدين الحنيفي بالظبي ودمر جبر طغي وتمردا
وجاهد من قد حد عن شرع أحمد وقد قتل جيش المعتدين وشردا

وهذا يعلم أن الله أحياهم به . وأظهر به الدين الاسلامي . وهذا 'قرر بنهم كرو
 « امواتا » قبله . واعترف بان الدين خفيت معالمه وحفت ضوءه ردتا من الزمن
 إلى ان جاء المهدي وآتاه الله افضالا وأيده بصر منه . ومن هنا يدخل الشاعر في
 مجال جهاد المهدي فيقول :

وقد أحرر الدين الحبيبي بالظبي ودمر جبارا طغى وتمرد
 وجاهد من قد حاد عن شرع أحمد وقد فل جيش المعتدين وشرد

وفي هذا القول اشادة بجهاد المهدي و كفضحه المسح في سبيل علاء كنمة الله
 وتشريد خصوم الاسلام والمسلمين . أما وفاة المهدي فيقول الشاعر أنها كانت
 استجابة لدعوة من الله عز وجل إلى المهدي إلى در النور العظيم خاتم :

ولما دعاه الحق جل جلاله لدارها لنور اعظم منلدا
 احاب الندا فانقلب بعد فراقه يذوب سى ونصير عر وانعدا

لم يقل الشاعر انه مات او ان أجله انقضى . بل قرر ان الله دعاه إلى دار الخلود .
 وهذه الدعوة تحمل في طياتها معنى القرب من رب العرش لعظيم . ولا يتأتى إلا لمن
 اوتي مكانة خاصة واحرز فضلا عظيم . ودرجة كبرى . ثم ان المهدي أحب حبا في
 دار « النور العظيم المخلد » ورغبة في القرب من ربه الذي دعاه . وهذا في انبياء
 الثانية فذهب وخلف بعده اسي . وصار الصبر على فتنة وعنده عزيز لا يكاد
 يناله او يبلغه احد . ان الشاعر بقوله هذا يكشف لنا عن تأييده المهدي و إيمانه بدعوته
 والا لما قرر ان موت المهدي خلل اصاب الوجود . وان الله جبر الوجود لخليفته
 وذلك في آياته الآتية :

وقد جبر الله الود بأسره واعلى منار الدين حقاً وشيد
 بهدي الذي قد قام فينا مقامه خليفته هادي الوري قانع العد
 فقدم بامر الدين حق قيامه واعمل في اهل الضلال المهند

ان هذا الذي جاء في هذه الايات هو بداية مدح الخليفة والاشادة بمواقفة في السير
 بالدعوة والدفاع عنها وقد استرسل في ذلك قائلا :

قلوب الورى تعنو جميع لمديه
امام اجل الله هي الكون قدره
فلا تسمى لا وعنه انجى المصد
وتوحه تاج القلوب وأيسد
مآثره هي الدين يعسر حصره
فغاية ما عندى القصور وقد بدا

يثبت الشاعر هنا ان قلوب العالمين تسترشد مهديه وتخضع له وهو يزيل ما علق به
فتعود نقيه صافية خالصة لانه الامام الذى منحه الله جلال تقدر وأيده والقي اليه
حبة الناس . اما مآثره فى الدين فلا حصر هنا ، وان ارد احد ذلك فالامر عسير
والشاعر نفسه عاجز عن ذلك فلا يستطيع ان الشاعر بهذا المدح لذى يقرره تقريراً
يثبت تأييده للمهدية وولائه للحاكم الخيد الذى خلف المهدي بعد وفاته . ينتقل
بعد ذلك إلى بناء القبة ذاكرة ان الخليفة هو الذى أمر ببناءها وخطب الانصار وحثهم
على تشييدها ابتغاء الثواب . ثم اشرف على البناء إلى ان اكتمل وبررت القبة
شامخة عظيمة . كل ذلك فى الأبيات التالية :

ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبة
له وهو سر فى سماء الاعلا بدا
حوت كل محمد لا يعد وسؤدا

فى ختام القصيدة خاطب الشاعر روار القبة الملائكين بفضل المهدي المتوسدين به .
وبشرهم ببلوغ المقاصد والظفر بالحسى ثم رخ لقمة فى البيت الاخير . قال :

فيا زائرا تلك البنية لائدا
توسل ببشرى المصطفى متأديا
بقبر حوى الفضل الخسيم المؤبدا
لظفر باحسنى وتبلغ مقصد
وقف خاضعا وارج القبول مؤرخا
بقبة مهدي لاناء ترى هدى

لما مات القائد حمدان أبو عنجة رثاه محمد بن الطاهر المذنوب بقصيدة لم نعر
منها الا على الايات التالية :

حمدان إنك طالما سمت العدا
ما وجهت رايات نصرك وجهة
ذلا وذكرك فى المحافل يرفع (١)
الا وانظف المؤكد ترجع
فلك الهنا بلقاء ربك شاهرا
فسحائب الرضوان تغشى تربة
ضمتك ما نجم يغيب ويطلع

وانت لنجد في هذه الايات على قبتها بعض التسميات التي وجدنا في المراثيات
 الاخرى فالشاعر يعدد محامد المتوفى ، وهو اذ لانه لعدو وسير ذكره في المحافل
 ثم انتصاره في كل معركة يتجه اليها ثم يدعو له بالخذاء في جوار ربه بعد ان شهر
 سيف الجهاد واردى به ، كل قرم : ، ويدعو له بالوضوح ما طلع نجم وغاب .
 كذلك نجد بعض السمات في قصيدة احمد مدني ثنى رثي بها السيد عبد العال ابن
 السيد احمد بن ادريس . فقد بدأها بتصوير الفاحشة في الايات الاربعة الاولى وفيها
 قال ان « رونق البلدان قد ذهب » و « النور انسلب عن الاكوان » ثم « انشغلت
 افكار الناس وحارت » وتساءل بعد ذلك عن السبب ثم رد بان وفاة الاستاذ مصيبة
 نزلت فاشعلت في القلوب الحر .. « واسهرت لعيون وابكتها دموعا » يفوق البحر
 والسحبا « بعد ذلك انتقل إلى بيان الافضال وتعداد المحامد . وبعد ان سرد مجموعة
 منها حث على زيارة قبره للفوز بنيل المرام : و « ازالة الهم والنصب » ثم اختتمها
 بالدعاء لنفسه وتاريخ عام الوفاة .

يمكننا الآن ان نقول ان شعراء المهديّة اتجهوا بمراثيهم إلى طبقة الحكام .
 ولم نجد فيما وصل إلينا من شعر أبياتاً لأى منهم يبكى فيها قريباً او حميماً او جاراً .
 او شخصاً من عامة الناس تربطه به صلة شخصية او عاطفة انسانية لذلك جاءت
 قصائدهم خالية من حرقة المكلوم ولوعة التاكل لكنها اكنظت بمحامد المتوفى
 مسرودة سرداً . وتتابع هذه المحامد وتعددت فرسمت للمرثي صورة اوضح
 من صور المدح . هذا وقد تضمنت تلك المراثي التي قيلت في المهدي تأييداً واضحاً
 للمهدي واثماناً بفكرتها .

الوصف :

لم يخرج شعراء المهديّة عن يثنتهم في شعرهم الوصفى . فقد وصف بعضهم
 معارك المهدي ، وسنعرض لهذا الوصف عندما نتحدث عن شعر الحماسة .
 ووصف احدهم قبة المهدي وهو الشيخ اسماعيل عبد القادر المفتي الكردي في
 بالايات الآتية (وقد رثي المهدي في باقي بيات القصيدة) ق :
 سميت قبة المهدي مجداً وسودداً
 ونيضت بها الجوزاء عقداً منضداً
 وصيغ من الاكليل تاج لهما
 وسال بها نهر المجرة مزيدا

يتحدث الشاعر ههنا عن مظهر البناية التي يرقد تحتها لمهدي فيقول أنها سامية . سميت بالمجد والسؤدد ، وتحلت بالكواكب عقداً منظوماً ، وشعت منها نوار الهدية و انتشرت في الكون . يقول بعد ذلك أنها بنية مجد - بناها الحلم وانبتى . وفي هذا مدح نحليفة عبد الله الذي امر ببنائها وللانصار الذين بنوها ، ونازل الرجل الذي يرقد اسفلها . وهو افضل من ورث النبي صلى الله عليه وسلم ، والا فلم تكن كما قال سامية بالمجد والسؤدد متحلية بالكواكب والنجوم ، ومهمم يكن من شيء فان هذا الوصف في جملته وصف لمظهر القبة ، ومعظمه مستوحى من شخصية الرجل الذي بنيت له ودفن فيها . ومن شخصية الرجل الذي امر ببنائها واشرف عليه . اما البناية نفسها ، وما توحى به او تثيره في النفس فم تكتن مما يحفل به الشاعر او يستهوى خياله وشاعريته من قريب او من بعيد .

ملحوظة الغزل :

لم يكن لهم شعر غزل بل معنى المفهوم من هذا التعبير لكنهم صدروا مدائحهم بمقدمات غزلية . فقد قال الشيخ محمد عمر البنا في صدر احدي قصائده التي مدح بها « عثمان دقته »

ما بال طرفي لدموع سكوب	شوقا وقلبي للملاح طروب
ولقد فنتت وما ظفرت وربى	فتن المشوق وفاته المطلوب
انا في هوى الغيد احسان معذب	وسواى ينعم باله ويطيب
عثمان دقته من رقى اوج العلا

وابتداً احدي مدحاته في الامير الزاكي بقوله :

ابدا يورقنى غير شذاك	ويزيدنى قلقا دوام جفناك
ويردنى من حالة العقلا إلى	حال الحبال تذلى وابناك
ويزيدنى طربا وحسن مسرة	برق تألق من ضياء سنائك

وقال في مطلع مدحة اخرى :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد	وخلوني اميل إلى الوساد
الا يا حادى عيسهم رويدا	سلمت من الملمات العوادي

ويا دار الأحبة خبريني سقتك هوامع سحب الغودى
كأن ضياء أنجمه عليا أيدى الشهم عثمان الجواد

ومثل هذه المقدمات الغزلية جاءت فى معظم المدائح النبوية لئى نظمها شعراء هذا العهد ، فالشيخ عمر الازهرى قال فى احداها :

تألق البرق من نجد فشجاني قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
والضحك منه الترى فى البرق تعرفه العشاق لم تختلف فى ذلك اثنان
فان اشار بطرف العين هم حملوا و البنان فقد نانو عن البنان

وقال فى ثانية :

ناد هواه وزائد خفقانه صب تفرق بالوى اخذانه
فجرت بوادر مقتلته لما جرى حمرا وحن إلى الوصال جناحه
قد خانه حسن التصير بعدما بانوا ووفت باليكاء اجفانه
لم يدر قبل البين ان فؤاده رهن لمن وطيفهن رهانه

وقال فى ثالثة :

فؤاد عن التبريح وانوجد ما كلا على م يقول العاشقون له كلا
وعين نجيع الدمع خدد خداه ففى اى شرع صاح تئيبها حلا
عيوني عيوني والدموع مدامعى فما لعذون ان بكيت دمع مهلا
قفوا خبروني آل ودى عن الهوى وكيف يكون الحب حسى به جهلا
لئن كنت فى دعوى التصابي مقصرا فقد فاق حبي للذى ختم الرسلا

انهم ينظمون هذه الابيات من الغزل فى مقدمة قصائد المدح لانهم عشق متيمون بالحسنات انما هم يتبعون نهجا سار عليه اشعراء فى قديم الزمان اذ كان يصدرون قصائدهم بمقدمات غزلية . فغزل هؤلاء الشعراء شعراء المهدي تباع لسنة قديمة لا تعبير عن اعجاب بالجمال او وصف له ، ومهما يكن الحال فان غزلهم هذا تضمن شكوى الشوق والفراق ، وتباريح الوجد ، كما حكى عما يلاقه الواجد منهم من ارق وقلق يسببهما اخفاء ، وما يجده من عذاب الصد ومرارة الحب ، وقد يعرض بعضهم إلى ما ينجم عن كل ذلك من بكاء متصل ودموع تمزجها

قطرات الدم ، تسيل فتحدث في الحدود آثارا واضحة . إلى غير ذلك من خفقدن القلب وذهاب الصبر . كما أن بعضهم تحدث عن عفته في حبه ، وعن ترفعه وبعده عن الريب . اما المحبوب فتنبى كل هذه الحالات عازف لاه ، لا يكدر يستحيب . ولا نكاد نحس له اثر . كل ما همتك هو هيام شديد الا أنه « فارغ . لا تجربة فيه . فقد كان كل ولئك الشعراء فقهاء . نشأوا في ول حياتهم نشأة دينية ثم تتقفوا ثقافة دينية مزجها شيء من التصوف . وصاروا فيما بعد رجال الدين والتقصء والشرح . ورجال العلم في البلاد . فلم يكن من الممكن ان يزدهر او يظهر شعر غزل من انتاجهم مثل ذلك الذي عرفناه في عصور الادب المختلفة ولم يكن من الممكن ان يصدر عن سواهم لان التعليم كان محصورا فيهم . وكان تعليمنا دينيا ذا مسحة صوفية .

بعد هذا الاغراق في وصف الهيام و « استهالك على المحبوب » (١) يتخلص الشعر إلى موضع القصيدة في براعة ظاهرة كما يتضح من النماذج التي سيق .

شعر الحماسة :

لقد اثار ظهور المهدي المجتمع السوداني وحرك في أفرادهم شعورهم الوطني وعاطفتهم الدينية لان المهدي كان تقيا وورعا يدعو للاصلاح . ولانه كان قوى الشخصية شجاعا . وقد تبعى ذلك في صموده امام حملات الحكومة العسكرية كالفرقة التي ارسلتها اليه في ابا . وحملاتها الدعائية كالمشورات التي اصدرتها ضده وكالرسائل التي حررها العلماء يكدنونه فيها . وبالإضافة إلى كل ذلك لم تكن الامة السودانية راضية عن الاتراك وحكمهم . وجاء المهدي بشخصيته وتقواه وورعه وصموده ثم اعلن الجهاد لذلك انقلب الشعب السوداني إلى « مجتمع محارب وتحول الشعراء إلى قوى تعبىء الشعور العام ، وانطلق الشعراء يصنفون حروب المهدي . ومن ذلك قول الحسين بن الزهراء في همزته :

والله دمر من طغى وأباده حتى تولى قتله الضعفاء (٢)
ولقد تبدد جسمه برماحهم فكأنه من خلقه اشلاء

١ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢٨٩

٢ - الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٣١٥

صالوا به وذويه بين حصونهم
ومنه ايضا قول البنا في تائيته :

قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
وخلفهم صده اللروع لحزمهم
فاثرن نقع الموت في عرصاتهم
وذباب اسياف المنية فوقها
والارض سالت بالدماء وما بها
شم الجبال والضعيف حماة (١)
شهدت به يوم القا الغارات
قتل الاعادي عندهم عادات
واغرن صبحا اذ علت أصوات
رعفت دما وجلأوها الهامات
غير الجماجم والشعور نبات

ومنه ماجاء في قصيدته التي امتدح بها عثمان دقنة :

ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
واميرهم عثمان أهلك ملة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
او جال في الميدان تحسب انه
او جرد السيف المهند مؤمنا
او غولبوا فعدوهم مغلوب (٢)
عدم النصير صريحها المكروب
فرق الهلاك واللسان لعوب
اسد تفرس والرجال تشوب
لاولى القساوة فالرؤوس تجيب

ومنه ايضا قصيدة محمد بن الطاهر المجذوب التي يقول فيها :

هندوب تعرف صبرنا
وهشيم تشهد عزمنا
يا طالما صدنا به
جيشا يرن سلاحه
كيف ارتكبنا للمصاعب
كيف ادرعنا للمصائب
صيد الغضنفر للتعالب
كالرعد اذ ما المزن صائب

ومنه كذلك ماجاء في احدى قصائد الحسين بن الزهراء :

الامر جد والخطوب جداد
مهيج تقعقع في شتات جسومها
قضب يحرك معبد اوتارها
وجنود مهدي الوري امجاد
فكانها بنشيدها اعسواد
يزهى به الانشاء والانشاء

١ - شعراء الودان ٢٧٥

٢ - نغفات الرابع ٩٣٠

نلاحظ ان بعض شعر الحماسة هذا يحوى وصفاً لقتل ، اى انه يصور لنا بعض ما حدث فى منازلة بين جنود المهدي واعدائهم وذلك كلذى جاء فى همزية الحسين بن الزهراء - الايات التى اوردناها فيما مضى . كما ان بعضه يصف قوة الخلد ، ويصور حماسهم ويشيد ببلاتهم فى ميادين القتال كلذى جاء فى تائية البند ودالية الحسين بن الزهراء ، وهذا كله نلجده فى قصيدة محمد الطاهر المجذوب - هندوب تعرف صبرنا ففيتها اشادة باجند لانهم صابرون ذوو عزائم قوية . وفيها ايضا وصف لمعاركهم وبلاتهم فيها . وفى القصيدة كذلك اعتزاز عواقف معينة ، واعتداد واضح بقوة العزيمة والبراعة الحربية .

لم يظلم شعراء هذا العهد قصائد فى الهجاء ، لكن حفظت لنا المراجع قصيدة واحدة نظمها الشيخ محمد شريف يهجو فيها المهدي ويكذب ما جاء به ، وقد اوردناها فى ملاحق هذا البحث . بين الشاعر فى اول قصيدته هذى بدء الصلة بينه وبين المهدي وقل ان المهدي جاءه يوم الصراط المستقيم ثم حدثنا بعد ذلك عن حياة المهدي وسيرته فى لفترة لى قضائها معه متلمذا عليه ، ومنها انتقل إلى دعوة المهدي فقال عنها :

وصحبة شيطان من ابخن آيس	وشيطان انس واقماه على الضر (١)
ولاتنس داعى لاحتياج فذالت	وكم ساقط فى الشر من ألم الفقر
فقدن انا المهدي قلت له استقم	وهذا مقام فى الطريق لمن يدرى
وخادعنى بالقول كلهد ابنكم	ومحسوبكم فى الحب فى علم النذر

هنا يعلن الشاعر رأيه فى الدعوة فيقول انها من وسوسة شيطان من الجن وآخر من الانس ، ويقول كذلك ان الحاجة بالاضافة إلى الشياطين - دفعت المهدي لادعاء المهدي - يأخذ الشاعر بعد ذلك فى وصف ما در بينهما من حوار فى شأن هذه الدعوة وما انتهى اليه ذلك الحوار ، يقول :

فقلت له دغ ما نويت فانه	وتالله شر قد يحمر إلى الحسر
وقال له الشيطان بشر ولا تحف	فذاك منصور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهى	وما إلى حب الرئاسة والجر

ان هذه القصيدة فى جملتها تنفيذ منظوم لما كان يبشر به المهدي . وفيها دم لشخصه ، وهى نموذج للمعارضة التى واجهت المهدي من العنصر بايعاز من الحكومة . وقد اطل النظم اذ اخذ يعدد بعض ما قال به المهدي واصفا اياه بانه اكاذيب ابداه .. (١) وفى ختامها حكم على المهدي « بالجهل المركب » (٢) ..

نعود بعد الذى قدمنا عن موضوعات شعر المهدي موضوعا موضوعا . لنسؤل ذلك الشعر وننظر فى مضمونه ككل فنقول انه دار حول الدين والسياسة وان معانيه هى نفس المعاني القديمة التى عبر عنها الشعراء الاقدمون . فشاعر كالشيخ محمد عمر البها مثلا لما اراد ان يثير حماس الجنود للقتال قال فيما قل : ثم والصبر عند البأس مكرمة ومقدام الرجال تهايه الوقعات

حاشا اياهم على الصبر عند الشدائد لان ذلك مما يحمد ، وحثهم ايضا على الاقدام لان الجريء المقدم يخشاه عدوه ، وترهب ملاقاته فى ساحات القتال . وكل هذا مما جاء فى شعر الاقدمين . كذلك لما اراد وصف قوتهم او متداح ثباتهم قل فى نفس القصيدة :

قوم اذا حوى الوطيس رأيتهم شم الجبال وللضعيف حماسة

وهذا الوصف او هذه الصفات التى يخلعها عليهم مما تدوره شعراء العرب الاقدمون وهو يفعل ذلك بالطريقة التقريرية ولا يغوص فى المعنى ليجعل له ظلالا او يولد منه معاني أخرى . ومثل هذا كثير ، لا فى شعر محمد عمر البها وحده بل فى شعرهم كلهم . فابراهيم شريف الدولابي مدح الخنفه فى القصيدة التى رثي بها المهدي بقوله :

هو ذاك عبد الله نجمل محمد	وسع الورى بالخلم والندبير
وخيفة الفاروق نجم ثاقب	بضياته يجلو ظلام ازور
وخليفة الكرار سيف منتضى	بالحق يقطع هام كل كفور

فالمعاني الواردة ههنا هى ايضا مما شاع فى شعر شعراء العصور المتقدمة . وفيها ايضا مبالغة بعضهم ، فالحليفة عبد الله فى اول الابيات يأخذ شيئا من صفات الله

سبحانه وتعالى . وليست هذه المبالغة بعربية على شعراء المهديّة فقد بلغوا بالمهدي نفسه درجة التقديس ، من ذلك قول البنا في تائيته :

يا سيد ، وسع الاذم بحلمه واستمطرتهم بلهدي بركات

وقد تلونت معاني شعر المهديّة بلون ثقافة شعرائها وكانت اسلامية عربية ، فتراهم حيانا يأخذون من القرآن الكريم كقول الحسين بن الزهراء :

وله الاشارة من : أألت بربكم (١) طوعا له وليسمع العلماء

وهو يعنى بهذا ان فكرة المهديّة قديمة ازلية - من يوم (اذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على أنفسهم أألت بربكم قالوا بلى) (٢) كما يبدو اثر القرآن واضحا جليا في آيات محمد عمر البنا الآتية :

ولعمر في الدنيا له اجل متى يقضى فليس تزيد خشيات (٣)
ان الجهاد فضيلة مرضية شهت بمحكم اجرها الآيات

وفي قوله من نفس القصيدة :

الفخر كل الفخر بيع النفس لله العلى واجرها الجنات

وقوله :

والحور تنتظر المتد فرحا بهم وتزينت لتقدمهم جنات

وقوله :

فأثرن نفع الموت في عرصاتهم واغررن صباحا اذ علت اصوات

وفي قوله :

وزجرت للبكرات دامية الخط قد مسها نحو الحبيب لغوب

وتراهم كذلك يذكرون الرحيل وتقويض الخيام في بعض قصائدهم . كما يذكرون لعب ايدي النوى وطلى الفلا - كمثّل قول الشيخ عمر الازهرى في حدى قصائده التى يمدح فيها النبى :

٢٠١ يشير إلى الآية ١٧٢ من سورة الأعراف

٣ - شعراء السودان ٢٧٥-٢٧٨

عجبا لربع بالنوى لعبت به ايدى النوى فتفرقت سكونه
ندوا الرحيل وقوضوا لحيامهم ولصبح قد صدع الدجى سرحدنه
يا ظاعنا يطوى انقلا رفقا فان اركب ضل من لُسرى وحدانه

وكل تلك المعاني مما ورد في الشعر العربي القديم ، ونلاحظ كذلك ان بعض شعراء المهديّة اخذ من الحديث لشريف لبعض قصائده كالشيخ ابي القاسم احمد هاشم في احدى مدحاته حيث قال :

ان يرد الوصل منها ليزيل حرارات لخص في كل حين
مثلا ابنة خفت بذكره لكن به حور وعين

كما انه كان لنفقه اثر واضح في شعر بعضهم . كقول الشيخ عبد الغنى السلاوى في قصيدته التى مدح بها المهدي :

هلا رأيتم موجبات الصدق فيما يدعى أو ليس فيه خفاء

ومنه ايضا قول الشاعر الشيخ الحسين بن الزهراء :

اجملت فيها لا أرى اجمالا حقا ولكن للامور مضاء
ومواضع التفصيل دوني شأوها لعبت بها من دوني الاهواء

ومن الحديث قول الشيخ عمر الازهرى :

ومن جنده فى الحرب ريح الصبا مع الملائك غير الهاشمى قس الفصلا
وقد صح ان المصطفى قال فى غد ستفتح حقا ثم صدقه المولى
واذا عدنا إلى قصيدة البنا الثنية وانعمنا النظر فى بعض ابياتها نجد انه تأثر ببائية ابي تمام فى فتح عمورية :

السيف اصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

يقول البنا :

السيف اصدق ناصح فى حقهم والفتك فيه حسسته أساة

ويقول ابو تمام :

فتح تفتح ابواب السماء له وتبرز الارض فى اثوابها القشب

ويقول البنا :

فتحت لكم فتحا مبينا واضحا سرت به الارضون والسموات

ويقول ابو تمام :

سماجة غنيت منا العيون بها عن كل حسن بدا و منظر عجب

ويقول البنا :

فنكاية الاعداء احلى من عنا ق خريدة لعبت به نشوات

وقد تعرضوا لبعض الافكار الصوفية لكنهم مسوها مسرافيتا . ولم يقتصروها على قصائد بعينها ولذلك وجدناها في مدح المهدي . وها هو ذا الشيخ الحسين بن الزهراء يذكر « الفيض الالهي » في ابيات من احدى قصائده في مدح المهدي - يقول :

بنفسى فتى بالشمس راد الضحى ازرى	ونورا يقوق النور من كان والبدرا
تبدي لنا من ذيل آفاق غيبه	إلى ان تراءى فى العلا بيننا جهرا
وما كان ذاك الغيب من فرط صوته	لذلك السنا من قلبه يظهر السرا
ولكن فيض الفضل من نفحة الرضا	جدير باعطاء المنى العنيدا والخرأ
وهيهات كتم الغيب اشراق ضوئه	واسفار وحى فى الدجى يشرح الصدرا
ولما تبدى لى وفاض شعاعه	تذكرت من نور الهداية لى ذكرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا
وارقب من فيض الرحيم مراحما	ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا

ويقول الشاعر فى نفس هذه التقصيدة معبرا عن تعلقه بالانتقل إلى « العالم العلوى » :

اظل بذات الضال فى جرع رامة	اصلى بظل الضال لى الظهر والعصرا
ارى مغرب الاغيار اعتم ظلمة	فهيها ت هيهات انتقالى ولا بدرا
اراقب نور الشمس من كوة الحمى	طوال الليالى علنى ان ارى الفجرا
اردد فى تلك الطلول على الربا	تردد ذى حياج ليدركها شهرا
وان هى لم تفتح مغلق بابها	عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا
وامكث ان لم ألق من جانب الحمى	رفيق بروق عند ذاك الحمى دهرا

ووجدناها ايضا فى مثل هذا الابتهل الذى نظمه محمد بن الطاهر المجذوب

متضرعا مظهرا ضعفه ازاء قوة ممدوحه :

نور بدا من قبل بشاة آدم	مه الوجود جميعه متحقق (١)
فأبو الحقيقة احمد ان رمنه	وابو المجاز آدم قد حققوا
سبق الوجود جميعه فى الفضل بن	فى الحشر ايضا قد يسود ويسبق
وهو لمير اذا لقيامة اظلمت	وهو لشفيح اذا الرؤوس تطرق
وهو اشجاع اذا العدا قد اقبلت	وهو لجود اذا الأورى يتضيق
يا سيدى انى مدحتك قاصدا	من فيض حائك انى قد اعتق

وهناك ما يدل على تأثرهم بفلسفة الاقدمين كشرة الشيخ الحسين بن الزهراء إلى ما قلناه ابن سينا عن النفس ، وذلك قى همزيتة الشهيرة بقوله :

عاش ابن سينا جهده اوصفها	بشمه فاذا هى العتقاء
دقت ورق وارتقت فى سكرة	بلمى شفاه دونه لصهباء
كيف التوصل والتقوى نهت السرى	اذ مسها من ضعفها لاعياء
فتنزلت حاجاتها فى سوح من	بحمولهم تنزل الضعفاء
وتركتها وكفى لقسائى مرة	اذ لايلوم مع الزمن لقاء
تلك التى جهد الزمان لوصلها	وله بذلك غلوة ومساء
حتى بالظاف المبهمن مكنت	اغراضه منها يد يعضاء

وسواء اكان مراد لشعر من ابياته هذى ان «يربط ما قلناه ابن سينا بفكرة المهدية» (٢) أو « ان يقول ان النفس كانت حائرة ضالة عرّ فهمها على ابن سينا وغيره من الفلاسفة . وانها ، تزال تجاهد وتقوى المادية تحول بينها وبين غاياتها الروحية السامية حتى لطف الله فوصلها بالمهدى ببلغها ما تريد » (٣) فان الابيات تشهد لنا بانثر الاقدمين وثقافتهم فى معاني شعراء المهدية ، وغير هذه الابيات كثير مما يشهد هذا . ومما يدل على انهم اغترفوا من تلك البحار الزاخرة . الا اننا نقول ان معانيهم مع انها قديمة ، فانها ليست معاني مستعملة قد فقدت معناها ، لاننا نجد فيها ما كان

١ - تاريخ الثقافة العربية - عابدين ١٩٥

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بلوى ٢٨٣

٣ - الشعر السوداني فى الممارك السياسية م على ١٨٢

عليه اولئك الشعراء من علم . ومن حماس لافكارهم وغيره على دينهم ، واحيان يدل بعض تلك المعاني على ماكن يخالف لانفس كبعض قصائد الشيخ الحسين بن الزهراء بايائها انغامضة ، وبعض ابيات البيا في المثيثة التي عبر بب عن ستيته مما في الخرطوم ، وعلى ايه حال فند نرى بل نعتقد ان القديء لمخصص أو المثقف لا يمل قراءتها لانها وان كنت متأثرة القديم الا انها لا تخلو من لمحات تكشف عن الشعراء وعن البيئة السودنية في ذلك العهد وتد على خلق اصيل في اهل السودان الا وهو التعلق بالثراث والاعتزاز به . ومنه نعرف ان البيئة اسودنية بصفة عامة كانت بيئة متدينة ، لتصوف فيها سلطان قوى ، وقد وضع اثر الدين والتصوف في الشعر لان الشعراء كانوا من رجال الدين ، بل كانوا فقهاء ، اساس ثقافتهم القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، وقد اضافوا إلى ذلك ما درسوه من النقه وفروع الدراسات الدينية الاخرى . وقف هؤلاء الشعراء بجانب المهدي يؤيدون دعوته ويدلون على صحة مهاديته في قصائد المدح وقصائد الرثاء وانوصف وبما ان هذه الدعوة دينية وصاحبها زاهد تقي ورع فقد زد هذا من الاثر الديني في معاني اولئك الشعراء كما رأينا في الامثلة المتقدمة . وقد صيغ هذا التأييد المعاني أو القصائد بصفة عامة مدحا كانت أو رثاء أو غير ذلك بالضيعة السياسية لاهم كانوا يذمون خصوم المهدي ويعيرون على الترك أساليب حكمهم ، كقول الحسين بن الزهراء :

والله دمر من طغي واباده حتى تولى قتله الضعفاء

وكقول الشيخ محمد عمر البنا :

ورهبتم العُج الكفور بسيفكم والدين تصلح شأنه لرهبت

.....

فانهض إلى الخرطوم ان بسوحي اهل الغواية والمفاسد بدتوا

بطروا وراءوا ثم صدوا معشر في الله لم تعرف لهم رغبات

وتكبروا وعتوا عتوا فثقا والله اكبر واسيوف عبادة

وكما كان للمهدي شعراء يواجهون خصومه كذلك كن لحكومة شعراء واجهوا المهدي بالهجاء والتكذيب ، ويكفيها من ذلك ما جاء في قصيدة الشيخ

لقد جاءني في عام زع الموضع على جبل السلطان في شاطئ البحر (١)
والعجيب ان هذه القصيدة التي نظمت للتقاعيل من شأن المهدي وتكذيب دعوته
بايعر من حكومة حوت وصفا مفصلا لمظلم الاثراك التي رفض الناس من أجلها
حكمهم ، وهذا هو الوصف :

وما أبت السودان حكم حكومة إلى ان أتى ضعف المطالب من مصر
فكأنثالث وانثلاثين للمير وحده ولشيخ والنظر اضعافه فادر
نضرب شديد ثم كتف مؤم ومن بعده الالتقاء في الشمس والحر
واوتاد ذى الاوتاد من بعض فعلهم واشنع من ذا كله عمل الهر

ان ما قلناه عن معني شعر المهدي يمكن ان يحدد ولو بصفة عامة نوع اخيلة
ذات الشعر ، فالمعاني كما بينا قديمة أو سائرة في نهج القديم فلشجاعة تقرر دائما
وبدا بالاسد . وانبات يمثل في كثير من الحالات بالجبال الشماء ، والفصاحة
والبيان يقاسر بمقاييس اهل العصور الماضية . وثقافة العصر وعلمه يشدان شاعر
المهدي اليهما شدا ويحكمون وثقة فلا يستطيع ان ينطلق ويجوس في رحاب البيئة
السودنية ليتكرر أو يحدد تلك المعني القديمة التي يتعلق بها ويشغف باصحابها .
فهو يمكن مع هذا ان تكون خيلة شعراء المهدي من النوع المجدد . انهم لم تكن
كذلك . كن الخيال في شعر كل منهم خيالا مقلدا ، ولم يكن الخيال ليتسع
أو يعمق ليصور لنا بعض التجارب الشخصية ، فحياة شاعر كشيخ الحسين بن
الزهرى الذي نشأ في إحدى قرى رضى الجزيرة بلد الزراعة والاختزار ويجرى
النيل لأزرق العاني لم تبرز لنا ، بل لم يلح لنا من بعيد شيء عنها . اننا نعلم ان هذا
الشاعر هاجر إلى مصر وعاش فيها فترة من الزمن . لكن شعره لم يسجل أى حدث
من الاحداث . مع ان الرحلة في ذلك الزمن وبذلك الوسائل رحلة شاقة لان الطريق
طويل ، ومشيرة لتعدد البقع أو الامكن التي يجتازها المسافر . ثم اقامته في مصر
مغربا عن أهله . ومصر بما فيها تكون مجتمعا فريدا ، اذا قيس بالبلدان التي عرفها
الشاعر أو رآها او عاش فيها . لقد اكتنف تلك الإقامة جو اجتماعي خاص كما

انها تمت في جو طبيعي مختلف عن جو موطن الشاعر . لان ذلك كله لم يترك
ثرا ولو يسير فيما وصل اليها من شعر الشيخ الحسن . ألم ينثت نظر الشاعر أو لم
يثر اهتمامه اى شيء من كل الذى ذكرنا . ألم يقع له أى حدث طريف ؟ وشاعر
مثل الشيخ محمد عمر البه ولد في مدينة رفاعة الواقعة على ضفة النيل الازرق الشرقية
وهي مدينة زراعية تحيط بها اراض خصبة شاسعة يملكها الاهلون ويشغلون بزراعتها
بعد هطول الامطار في فصل الصيف . وموسم الزرعة المطرية فترة محبة لسكان
تلك المدينة لان الحركة تنتشر في مجتمع المدينة ، الباعة يحضرون البذور الجيدة
والحدادون يحضرون آلات الخفر والحرف والتنظيف والنساء والحلدة في داخل
المنزل يعدون واني المياه والطعام . والرجل يحددون العمل الزراعيين من اولادهم
واقاربهم وأهليهم أو من الاجراء ويشرفون على تزويدهم بالآلات وفقلمهم إلى
مصدق الزراعة واعادتهم . وهكذا تنبض رفاعة حركة وحيوية إلى ان تحيط بها
الخصرة - خصرة سيقان الذرة ثم يأتي الحصاد لينشعل الناس أكثر وأكثر ، ولقد
ظلت هذه المدينة هكذا منذ فجر تاريخها . تعنى بالزراعة المطرية وتحتفل بها كما
تعنى بزراعة الشواطى بعد ان يغمرها نهر النيل في زمن الفيضان وينحسر عنها .
هذه البيئة الزراعية هي مستقط رأس الشاعر محمد عمر البنا لكننا نبحث عنها في
شعره فلا نجده ، ولا نجد تجربة من تجاربه أو تجارب غيره فيما بين ايدي من شعر .
سافر الشاعر ايضا إلى مصر واقام هناك لكن شعره لم يرو لنا عن رحلته إلى مصر
أو عن اقامته أو علاقاته الاجتماعية فيها .

ان كل الذى ذكرنا حافل بالصور الحية . ويمكن ان يكون كله أو بعضه
مثيرا للخيال . محوركا الشعرية . كما يمكن أو يحوى كله أو بعضه كثيرا من
التجارب الشخصية والاحداث العامة او الفردية ، لكن خيال هذين الشعارين لم
يكن من النوع الذى يمتد او يغوص لبيتگر ، لم يكن كما قلنا من قبل من النوع
المجدد بل كان مقلدا . وما قساه عن هذين اشاعرين يصدق على شعراء المهديّة
الآخرين ، فكل منهم عاش في بيئة ذات سمات اجتماعية وطبيعية خاصة ، وكل
منهم خاض تجارب شخصية وشهد حدثا فرديا واحداثا جماعية معينة لكنهم لم
يتركوا لنا صورة الشيء من ذلك في شعرهم ومهما يك من شيء فاننا نجد من الصور

الشعرية عامة قدرا يسيرا يتمثل في قول الحسين بن الزهراء حين اعلن في مطلع همزيته عن الابتهاج بظهور المهدي حث قال :

والشمس في اوج العلا من مغرب	بهرت عليها هية وبهاء
والبدر قابلهما فتم كماله	وتفادت بعقودها الجوزاء
ودرار افلاك العلا درات على	اقطابها فزعت بها العلياء
وتكاملت في كل مجد ابجد	لما استقام زمانها الاشياء
ما ان ترى الا جميلا زاهرا	بهرت في حلال البها زهراء

وهذه الصور كنها مفردة اعتمد الشاعر في تركيبها على الاستعارة وبعضها غامض لا يتضح لمرىء وان تمهل وانعم النظر ، وفي قوله من نفس القصيدة :

وسموا خراطيم الشقا بجوازم	بيض بكت آثارها يبيضاء (١)
نوح الحمام (٢) تنوح غير موسد	بعد الوساد وعينها وسناء
تنشاق بعد عبير عنبر مسكها	رعم الانام وذا التراب وطاء
وبنات آرام ترامت من ذرى	اوج العلا ما عندهن غطاء

نرى في هذه الابيات الاربعة صوراً مفردة قوامها الاستعارة ، وفي بعضها ايضا غموض يضيق به التقارى أو يحار فيه ، ونجد كذلك شيئا من هذه الصور المفردة التي تعتمد على الاستعارة والتشبيه في تائية محمد عمر البنا . وذلك كقوله : (٣)

والخيل ترقص بالكماة كأنها	تختال في ميدانها فتيــــــــــــــــات
فأثرن نقع الموت في عرصاتهم	واغررن صبحا اذ علت اصوات
وذباب اسياف المنية فوقها	رغفت دما وجلأؤها الهامات
والارض سالت بالدماء وما بها	غير الجماجم والشعور نبات

ومن الصور المفردة التي تقوم على الاستعارة قول البنا في بائيته التي مدح بها عثمان دقنة :

والدين اصبح ضاحكا في ثغرهـم والشرك حل بربعه التخريب

١ - شعراء السودان ١١ - ١٢

٢ - لعله يريد « نواح »

بعثت لهم همم الجهاد ملابس
فقطالنا عين الشريعة اسهرت
النصر العزيز يزيده التصويب
ذلا وذرف دمعا المصبوب
.....

يتفجر اعرفان من اسراره
للرائدين ومن ليه يثوب

ومنها ايضا ماجاء فى مريثة الشيخ ابراهيم شريف الدولاي :

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا
وتفيض بالجلود الكثير يمينه
سور نرضى اعظم به من سور
ندا بلا من ولا تكدير
واذا توارت فى ترى شمس الهدى
فهناك بدر هدى عظيم النور

احيانا نجد فى شعر المهديّة صوراً مفردة قوامها التشبيه ، ويتمثل هذا فى قول الشيخ
ابراهيم شريف الدولاي فى مريثته :

طلق المحيا خاشعا متواضعا
كهف الفقير وجابر المكسور

وحليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف متضى
بضياته يحلو ظلام الزور
بالحق يقطع هام كل كفور

ويتمثل ايضا فى احدى قصائد الشيخ عمر الازهرى التى مدح بها النبى صلى الله
عليه وسلم ، حيث قال :

بحر الصفا ذاك المصطفى من مصص
شبية الحمد غدا جثمانه

وكذلك فى قصيدة أخرى من قصائده :

اذا ضل عقلى فى ظلام شعوره
وحبى له لم يخف فى الكون امره
هداني محيا منه مصباح راهب
كحب العلا مصباح افق الجواثب

ونجد امثلة أخرى للصور المتعددة القائمة على التشبيه فى شعر الشيخ محمد عمر البنا
ومن ذلك :

متواصل الاحزان أبحاً لبكيا
ان نورلوا كانوا الليوث معاركا
سهر الجفون كاننى يعقوب
او غولبوا فعدهوهم مغلوب

ما ضر عثمان الهزبر اخا التقى من بعدما اسداه قط عصب
وكقوله ايضا فى احدى مدحاته :

كان ضياء النجمه علينا ايدى الشهم عثمان الجواد
ومن الامثلة ايضا قول الشيخ الحسين بن الزهراء :

عماد الهدى اس احدى معدم العدب وايه الدس فى الارض نجع
اللاك ساطين الخلافة كفوها المعد لنا الحصن حصن المنع

ادرت سراج الفكر فى افق خاطرى فلم تق من فيه لكمال مجمع
وفى حدى قصائد محمد الطاهر المحذوب نحد مثلة بالصور المردة التى رسمها
الشاعر بالتشبيه ، قال :

يا طالما صددنا بها صيد الغضنفر للثعالب
جيشا يرن سلاحه كالرعد اذ ما المزن صائب

بالشرفى كانه وقع الصواعق فى المضارب

وننز فى ارجائها كاليث اذ نشب المخالب

فتجاذبتهم خيلنا ترمى بهم رمى الثواقيب

ان الامثلة على هذا الذى ذكرنا من الصور المردة التى تعتمد على الاستعارة والتشبيه
كثيرة فى شعر المهدي لا تكاد تخلو منها قصيدة لاسيما صور الاستعارة . لكننا على
اية حال نرى ان شعراء المهديه خطوا بالشعر العربى الفصيح خطوات فوق بها ما قبل
فى العهدين السابقين عهد الفونج والعهد التركى . فذا انعمنا النظر فى معاني
محمد عمر ابنا والحسين بن الزهراء ومحمد الطاهر المجنوب . و قسناها بما نظم
فى دينك العهدين فاننا نجد فيها ما (١) . ومصدق ذلك نجده فيما

١ - الشعر السوداني فى المارك السياسية م . م على ١٨٤

قائه اننا عن معارك الانصار وجهدهم في تأنيته . وما قاله الحسين عن « النفس »
 والمهدية في همزيتها . وفيما تكشف عنه بائية محمد الطاهر المجذوب (هندوب)
 تعرف صبرنا) من اعتداد وحماس واعتزاز . كما اننا نحس شيئا من حرارة
 العاطفة في بعض مراتي المهدي . ولا نجد تلك الحرارة و نحس شيئا مثلها في مراتي
 ذينكم العهدين . الا ان هؤلاء الشعراء . مع انه خطوا بالشعر خطوات فدق بها
 ما نظمته الشعراء الذين سبقوهم . قصروا في حق مجتمعهم اذ لم تحظ بيئاتهم الخاصة
 أو العامة بتسجيل شيء من ظواهرها أو حوادثها في شعرهم ، ولم تجد الصلات
 الشخصية أو العلاقات الانسانية مجالا فيما نظموا من شعر ، لذا خلا شعرهم من
 « ملامح الشعب هذه الملامح الحقيقية التي كان يجب ان تتضح وتظهر (١) ولم
 المبرر ان يعرض ذلك الشعر لآلآه وآمال المجتمع السوداني .

ن شعراء المهدي جميعهم عنوا باوزان قصائدهم عناية فائقة فيما يبدو اذ
 جاءت تلك القصائد في مجموعها سليمة الوزن مطابقة للقواعد العروضية المعروفة
 كما جاءت سليمة القافية . ولحرصهم الشديد على صحة اوزن والقافية اضطر بعضهم
 احيانا إلى الحشو لاقامة الوزن كقول الشيخ الحسين ابن الزهراء :

اظل بذات الضال في جرع رامة اصلي بذات الفضل لي الظهرو العصر

فليس هنالك ما يدعو للجار والمجور « لي » لان الفعل « اصلي » يتعدى مباشرة
 فيقال « اصلي بذات الضال الظهر والعصر » والمعنى يستقيم تماما ، الا ان الوزن
 لا يستقيم بغير الجار والمجور ولذا اضطر الشاعر لاقحامه ولعل مرد ذلك إلى سلطان
 اللغة العامية السودانية . اذ كثيرا ما نستعمل في حديثنا الجار والمجور « لي » بعد
 الفعل المسند المتكلم او المخاطب . في شعر محمد بن الطاهر المجذوب شيء قريب
 من هذا فهو يعدى الفعل بحرف الجر والمعنى لا يقتضى حرف الجر لانه يستقيم بغيره
 غير ان الوزن يضطر الشاعر لثلاثين باللام وذلك في قوله :

هندوب تعرف صبرنا كيف ارتكبتنا للمصاعب

باطالما صدنا بها صيد الغضنفر للشعالب

نحى بين الله بل فى شأنه تلقى المصاعب

حيث استعمال لام الجر بعد متعد ثلاث مرات ذقال ارتكب المصعب والفعل هنا يتعدى مباشرة فيقال ارتكب المصعب . وقال ايضا « صيد العصفور للثعلب » والمصدر ههنا يتعدى كفعله فيقال « صيد العصفور للثعلب » او فى حالة استعمال ستعمل المصدر صيد العصفور للثعلب . كذلك الفعل : نحى اذ يقال « نحى دين الله » دون حاجة الى لام الجر لكن يشعر يعرف ان اوزن سيحتل اذا عدى الفعل مباشرة لذلك جاء نالام بعده ليسلم له اوزن كما سلم له فى البيتين اساتقيين . وقد فعل مثل هذا عمر الازهرى فى قوله :

ندوا الرحيل وقوضوا الحيامهم والصبح قد صدى الدحي سرحانه
فعدى قوض « باللام » وقوله : و

واذا وعى لكتابه يلقى غدا معه كتاب منك فيه امانه
حيث عدى الفعل وعى باللام . ولاستقامة اوزن لابد من ضم انداء فى « نادوا » مع أن الفعل معتل بالالف .
انا نجد شيئا من ذلك فى قصيدة عبد العلى اسلاوى حميرية اتى رفعها لمهedy قال :

الله أكبر لا ارتياب لديه واجاحدون له اذن اعداء

فجاء باخبار بعد اسم فعل يصب المتعول مباشرة كفعله ، فقال واجاحدون له بدلا عن « الجاحدوه » وقد اضطر لذلك لاقامة اوزن . كما افحم الشاعر اخبار والمجرور « فى بيت من ابيات القصيدة نفسها حيث قال :

ان الزمان هو المحاول صرعتى ويدي لدفع اذاه شلاء

والعنى لا يحتاج اليهما . بل انه ليستقيم اذا قيل « ويدي لدفع اذاه شلاء » بالاستغناء عنهما تماما . وهذا يعنى انهما حشو أو زيادة اريد بها اقامة اوزن ليس غير . ولعل الشاعر كز ميله الحسين ابن اترهراء لم يستطيع التخلص من سلطان اللغة العامية

السودانية لنى يكرر فيها استعمال «لى» بمعنى نيابة عنى «و» من اجل «بعد الفعل المسند إلى المخاطب» ، ومهما يك من شىء فان هذا الاستعمال فى أية صورة من صورته . و «يه حالة من حالاته يكشف ضعفه فى النظم لكن النحاة استثنوا حالات تأتي فيها اللام بعد المتعدي كقوله تعالى : «الذين لهم يرهون» ويسمونهم لام التقوية . ومن الوزن غير السليم قول عمر الازهرى :

وليس له وقت ولا آخر يرتجى ولا أول حتى تظل الحوى سهلا

ان الشيخ الحسين بن انزهراء - رغما عن علمه ومقدرته - وقع فى خطأ ، نحوى ضاهر لا يغتفر لمثله ولا يفسر الا بخرص الشاعر على قافيته . وقد جاء هذا الخطأ فى قوله :

وهى وجد على الانام بما ترى من غيئه الهامى عميم سماء

حيث تقضى قواعد النحو بان تكون كلمة «سماء» مجرورة بالاضافة بالكسرة لظاهرة ونحن نعلم ان قافية هذه القصيدة مضمومة :

سرح الخفا م الخق فيه خفاء وتوالت الآيات والاباء (١)

ولذلك اضطر الشاعر إلى ان يرفع المجرور كما يضطر القارىء . ليستقيم القافية والا كان اقواء

من الاخطاء النحوية ايضا ما وجدناه فى احدى قصائد الشاعر محمد عمر البنا حيث قال فى البائية :

قد سالمته يد النوائب فاثنت جدلانة بوداده وتطيب

اذ ربط الجملة الحالية (تطيب) وهى مبدؤة بمضارع مثبت . ربطها بالواو وهذا يخالف قواعد النحو . اما «جدلانة» فعلاها تصح فى لغة بعضهم غير أن القياس «جدلى» وفى قوله منها :

لا شك ان الله اكرم ذا المتى واقامه للدين نعم رقيب

برفع مخصوص نعم رقيب «وهو اسم نكرة . وقواعد النحو تقضى بان يحىء منصوبا فى هذه الحالة فنقول «رقيب» ولم تخل قصائد الشيخ عمر الازهرى من

بعض الأخطاء النحوية فتراه يقول في أحدها :

وبعد ذا ملأته حكمة وكذا علما وسرا خفيا كان رباني^(١)

ربعا « رباني » ومن حقها ان تكون منصوبة خبرا للكر . ولا يمكن ان نطن ان الشاعر اعتبر كان في هذا التركيب تامة . يقول الشاعر نفسه في قصيدة أخرى :

والظبية اشتكت الوناق فحلوهـ واتى البعير له يخر جـرانه

ولام معبد آية رحلت بها من كل حي يفتى فتيلانه^(٢)

وانقصيدة التي أخذنا منها هذين البيتين مصمومة القافية . لكن جرانه مععول به منصوب بالفتحة . ولا يمكن ان تكون مرفوعة الا اذا تعسفد ونبت الفعل قبلها للمجهول . اما « فتيلانه » فهي مجرورة بالاضافة . ولا سبيل إلى ضم آخرها الا اذا قوينا . وفي قصيدة الشيخ عبد الغنى السلاوى نجد هذا الخط النحوى فى البيت :

آياته بسجت بمحكم ناسج ولواؤه بالنصر نعم اعواء^(٣)

حيث جاء بمخصوص نعم مرفوعا وهو نكرة :

فى بعض قصائد المهديـة اخطاء لغوية منها ما نأخذ فى قصيدة عبد الغنى السلاوى سادقة الذكر فقد جمع « كافر » على كفراء فى البيت :

ما هديه غير الكتاب وسمة والتار كون لذاك هم كفرة

واستعمل فى القصيدة نفسها كلمة « اعواء » . وليس يعرف من هذه امدد الا عوى يعوى - عواء . والبيت الذى وردت فيه هذه الكلمة هو :

بل مقصدى نظر بعين رضائه عنى وان لى فى الهواء عواء

والبيت مع هذا مكسور مما يحمننا على الاعتقاد بأن خطأ مطبعيا قد وقع فيه . وانه يجب ان يقرأ هكذا :

..... عنى وان لى فى الهواء عواء

ليستقيم الوزن ويزول الخطأ اللغوى :

١ - شعراء السودان ٢٥١

٢ - شعراء السودان ٢٥٤

٣ - نقشات اليراع ٨١ .

من خصه المعة ايضاً ، فاجوء إلى الانداز العامة كما فعل الشيخ الحسين بن الزهراء عندما قال في رائيته :

وعانيت فيه كل صعب وساهل وقد شرح تلك المعادة لى صدره

فكلمة ساهل ، ي ورد فعل من سهل كسنة لا تعرفها اللغة المعصية . هي عامة ليس غير . ورودها في شعر وصيغ خطأ لغوي لا شك فيه . وربما يكون من الخطأ المعوي ايضاً استعمال كلمات لا ينضج المراد منها وتتعذر معرفتها من ذلك كلمة امات في قول محمد عمر البها في النائية الشهيرة :

قومو هم وتاهبوا لتأثمهم ولتقصدهم في المير أمات

ومثله يصح العمل « اردد » في بيت من حدى قصائد الحسين ابن الزهراء وهو :

اردد في تلك الضلوع على الرني تردد دى حاج يبركها شهر

ن سياق المعنى والمغض يقتضى ان يكون الفعل اتردد ، لكن كيف راح الشاعر لنفسه ان يحدف التاء ولا يوجد ههنا ما يبيح هذا الحدف وعيه فيكون هذا الذى وقع فيه الشاعر خطأ لغوياً لان سياق المعنى والمنطق لا يقبل غير « اتردد » ، اما اردد أو اردد فلا تفسدان الورد ولكيهما لا تنسحمان مع معنى العام إلى حد ما .

هذه تلك ظاهرة أخرى اتسم بها شكل شعر فى المهدية . وهي ظاهرة قصر الممدود . وهي و كانت من الضرورات المباحة فى شعر الا ان كثرتها لا تحمد . وكثرة المجوء إلى اية ضرورة من الضرورات تدل على الضعف . وهما هي دى بعض امثلة . فى شعر الشيخ الحسين نجد قصر الممدود فى الحمزية :

برج الخفا ما الحق فيه خفاء

فغداها يخال فى حلال البها

رسم ترقرق بالسنا فله الهنا

وسموا خراطيم الشقا

على القلوب ذوى الذكا

اهل الولاية والصفا الامراء

انعم بامر كان من جد القضا

.....
وسمت له رثب الولاء على السما
يضل بها الخريت عن ساحة الزهرا
..... واسمعت خطوط الليالى ذا الندى لبني الغبرا
..... من الذل يا بن العز يعزى إلى زهرا

أما الشاعر محمد عمر البنا فقد جاء في شعره من قصر الممدود :

شهدت به يوم اللفا الغارات
والخور تنتظر اللفا فرحا بهم
وتعمرت بثناكم الايات

.....
متواصل الاحزان الجأ للبكا
ويردني من حالة العقلا إلى

والشيخ عبد الغنى السلاوى قصر فى المواضع الآتية :

وسمت به فوق السما علياء (١)
لاعين النظرا له اضواء

وقد كان مد القصود قليلا جدا . ولم نجد له الا مثالين فقط واحد فى شعر الحسين
ابن الزهراء وفى الحمزية على وجه التحديد وهو :
ظهر الهدى وانجاب عنه قذاء

والآخر فى قصيدة عبد الغنى السلاوى وهو :

مهدي الورى من فاض عنه هذاء

ولما اتسم به شعر المهديّة الزخرف اللفظى - أى المحسنات البديعية . فنشيخ الحسين
ابن الزهراء استعمل الجناس بنوعيه الناقص والتام . وجاء منه فى همزيته :

ولما عليه من الثناء سناء

رسم ترقرق بالسنا فله الهنا

طارحتها تحف الكلام فنوعت تحف لئلا وهاجها ادلاء
 واذا نسيمات الصبا دعت الصبا
 دقت ورقت وارتقت في سكره
 تخط خط النار تعرف خط من
 هم كالنجوم هدى وفي الجدوى ندى
 ما حالهم ما يالهم لم يسمعوا
 ما ان ترى الا جميلا زاهرا بهرته في حلال البها زهراء
 وقد جاء منه في الدالية ايضا :

يزهي به الانشاء والانشاد
 بخطوبه تخطو بها الاساد
 وعيونها مغضوطة بعيوبها
 يوما ولا نوما يراد سهاد

وفي العينية :

قصور وحوور والحوور ونعمة
 ومالد في عيني وقببي وقد بى
 اناذى هم يذهب داني مذهب
 ومال وآمال وخسير منوع
 لحس واحسان له اتضمرع
 شقني ولم يجمع شتاتي مجمع

وفي الرائية :

افى الحشر بعد النشر انت منازل
 خذوا من من التهريج ذاب مفارق
 نهاية اعقال العقول معاقل

سلم يحل شعر الشيخ الحسين من المحسنات المعنوية فقد رأيناه يطابق في الحمزية ويقول :

يعطى ويمنع من يرى ويشاء
 فعلوا وما فعلوا ولكن لا بهم رام بهم بذلك سخاء
 من يحفظ التزيين من يندى الذى فيه ومن لم يدر ذلك سواء
 ويرى القبيح بداية ونهاية

..... وضور شدة ورخاء

ويطابق ايضا في الرائية فيقول :

ايادى عرف لا يرى بعدها نكرا

من الذل يابن العز يعزى إلى زهرا

وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى

حيانا يميل الشيخ الحسين إلى تكرار بعض اللفظ بعينها . كما تتكرر بعض الحروف في ابيات متفرقة من قصائده . وهو بهذا التكرار شاع في قصائده تشا موسيقى (١) اللمضية التي تقوم على تكرار اللمظة . فمن تكرر له اللفظ قوله في الحمزية :

والداء داء والدواء دواء

والارض ارض والسما سماء

ويرد اشكال الامور اشكلها

عماء امة احمد ناسبتكم ردوا جوابي انكم علماء

رصى وترصون الضلال بعدما ظهر الهدى واتخذ عنه قسما

أنكون دون الدون من بين الثورى-

انا عبد عبد استعبد بدمتى

هم والذى برأ الثورى هم لاسوى كل العرس لهم سوى فداء

خفص عيك فتلحقوب ترس طوراً وضورا شدة ورخاء

وفي الدالية :

نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر قبست لهم من حاجر ازواد

ما بعد طيف خيال ظل خيالها

فاخبر بنمساك خل اخبار الثورى وايزاد خل ولا يعقلك بعد

نقى نقى ما عليه سسواد

وفي العيبة :

اه ابرق في شحر العتيق ولعلع فهاجسك يا هذا العتيق ونعنع

١ تاريخ السنداء حربية في سودان . جلد ١ . ٢٠٩

وكل بطل ذي هموم موجه

عومي الرائية :

وتورا يفوق النور من كان والبدر

اضل بدات اضال في جرع رامة	اصل بطل الضال في الظهر والعصرا
.....	فهيها هيهات انتقالي ولا بدرا
و مكث ن لم نقي من جانب اخمي	رفيق بروق عند ذاك الحمي دهر
سرد بها بحر المعاني فلم نجد	لما بعد ذاك السير من احد خيرا
.....
ألا ليت ذاك السير ما كان حاصلا	من الامر لا ترفع بامر ترى امرا
فعش هكذا ما هكذا غير ماتري	فما رمت امرا قط في يسر الامرا
وسبرت نهج السير مع كل شاحب
ودوني ودون الملتقى كل شاهق

ومن تكراره الحروف قوله في الابيات الآتية من دليته حيث ترد الجيم في البيت الاول اربع مرات والبدال خمس مرات . وفي البيت الثاني ترد الجيم ثلاث مرات وفي الاخير مرتين :

لامر حد والخطوب جسد	وجنود مهدي اوري الجساد
نزاوا بجوعاء الحمي من حاجر	فبدت لهم من حاجر ازواد
مهيج تقفّع في شتات جسومها	فكأنها بشييدها اعدوا

كما تكررت القاف خمس مرات في البيت :

اقضى المقالة فيه حق كله انقى نقي ما عليه سواد

وثلاث مرات في البيت :

الحق جاء وللمناكر قاتل وعلى الفعال مزار

وفي عيسيه تكررت الكاف ثلاث مرات في شطر من بيت :

كذا فليكن من شاء اعلى مكانته

وفي الرائية كرر المضد ثلاث مرات في شطر من بيت ايضا :

ولكن فيض الفضل من نعمة الرضا

أما الشيخ عمر الأزهري فقد حملت قصائده التي وقفنا عليها بأحاسيس .
ولعله أكثرهم استعمالا لهذا الضرب من التحسين اللفظي . ومن ذلك قوله :

تألق البرق من نجد فاشجاني قرب البعاد وهاج اليوم أشجاني
فإن أشار بطرف العين هم حملوا أو البنان فقد بانوا عن البسان

هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
وبعد ذا قيل اموا الخزع ثم ولا علم ولا علم عن جبههم ثاني
فصرت أحير من ضب واذهل من صب علمت الذي في الحب يلحاني

مستفتيا جئت فتيانا ففتنت بهم فما فتى فات بي عنهن افتساني
وحسن ظني بسكان العذيب فمذ وردت ماء العذيب العذب اظماني

وكم اظلت وقوفي بالمضاب وكم سفحت بالسفح عنهم ديمى القاني
.....
غاضت فغاظت جميع القاصي والداني

وهو اندى حارت خورا مراتبه
.....
غدا القصور قصارى كل انسان

ومنه ايضا ما جاء في قصيدة أخرى من قصائده :

عجبا لربع باللوى لعبت به ابدي النوى فتفرقت مسكانه
.....
الا وخذ خده هتانه

.....
افتى فتك نذاك او شطانه

لولاه ما كان الوجود ولم يكن منك ولا منك ولا عوانه

ونجنا نجي الطور موسى باسم
.....

..... قد ساسه فى فرسه ساسانه

..... وقصارى قبصر انه قد قصرت

..... ومحى سراقه لاسراق السمع

..... خضعت لغزته الطغاة فاصبحو
لم يغن كلا منهم طغسيانه
كما جاء فى قصيدة ثالثة قدر غير يسير من الجناس فى لايات :

فؤاد عن التريخ والوحيد ما كلا
علام يقول العاذلون له كلا

..... عيوني عيوني والدموع مدامعى

فقالوا الهدى او هى من الوهم يافتى

..... محمد المحمود فى الارض سيرة

فمن لم يجب بالنار يصلى وان صلى

حمته حممت احمى بمغرة
وحاكت تحاكيها العناكب جانقلا

وندهيك شئ لندر حتى رآه من
بمكة او من كن بالحل قد حلا

..... وقد زاد طغيانا ابو مجهل جهلا

نظير نظير فى اشقاء قريضة
ويا بدر بدرا ما رأوا مثلها مثلا

..... بحفى حين دء جيش حين

..... ليوم الفصل صل سبى وصلا

ولم تغفل من المجانسة تنك القصيدة التى نظمها لشيخ عمر وحاز بها جائزة مجلة
الجوائب فقد بدأها بقوله :

سلوا عن فؤادى مسيلات الذوائب فقد ضاع من بين القلوب الذوائب

وجانس فى ايات أخرى منها حيث قال :

رقيق رحيق خصره ورضابه

أما وعيون العين لاشيء في الدني

هذا وقد طابق الشيخ عمر مرات قليلة في أبيات متفرقة نذكر منها :

غاضت فغاظت جميع القاصي والداني

فان شئت عز الابرار محمداً لدى هل هذا الفس مست دلا

ان الشعراء الآخرين . وهم الشيخ محمد عمر ابي ومحمد الصهر المجذوب
وابراهيم شريف الدولابي واسماعيل عبد القادر المفتي الكردياني وعبد لغني اسلاوي
لم يلجأوا إلى التحسين النظمي الا في القليل البدر . ولعلهم لم يلجأوا اليه بل جاء
وليد الطبع أو الفطرة البسيطة . ولذا جاء قليلا نادرا . وجاء بسيطا في نفس الوقت
تقبله النفس ولا يفر منه الذوق لانه فيما نرى يسجى في التركيب للمعظم لغاه
ويقوى المعنى وها هي ذى بعض امثلة نختارها من شعرهم وبدء ابراهيم شريف
الدولابي في مراثيه وابياتها تسعة وثلاثون . فنجد فيها اربع مجانسات . قال :

اسف على المهدي من مهد الصبا قد كان معصوما عن محصور

فتح الفتوح ودمر الكفار في كل البلاد يحيشه انصـور

ومن اهتدى بهداه اصبح داخلا سور الرض عظم به من سور

فمضى واودع كل قلب حسرة وحشا احشا بلابل وسعير

فالمجانسة في البيت الاول بين « المهدي ومهد » . وفي الثاني بين « فتح والفتوح
وفي الثالث بين « اهتدى وهداه » ثم في الأخير بين « حش والحشا » بسيطة في
في التركيب لانجد منها حروفا ثقيلة النطق . ولا نحس مشقة أو افتعالا في الصيغة
كما ان كل واحدة منها تكاد تكون ضرورية لتقوية المعنى الذي يريد الشاعر لتعبير
عنه . ثم تنتقل إلى اسماعيل عبد القادر المفتي الكردياني إلى قصيدته اثني وصف
فيها قبة المهدي ورثاه بها أيضا . ان ابيات هذه القصيدة تبلغ الثلاثين . ولم يجانس
الشاعر الا في بيتين منها وهما :

بهدي الذي قد قام فيما مقامة
مه اجل الله في الكون قدره
خلفته هادي الوري قمع العدا
وتوجه تاح القلوب ويدا

وهما يض لا نجد ما نأخذ على هذه المحاسنات من حيث الكم او الكيف ، بل
اننا نرى انها تريد المعنى وضوحا وتؤكداه . اما اذا انتقمنا إلى محمد الطاهر المحذوب
فاننا نحده يخاص في بعض ابيات مرثيته وهي من سبعة عشر بيتا فيقول :

دهتنا دواه يضرب القلب نابها ويوقد في الاحشاء نارا منابها
غداة نعي الناعون مهدينا اندي به ملة الاسلام حبل مصابها
امام الهدى المهدي افضل من دعا الى الله مفتوح المجة ونابها

انه يخاص مرتين في البيت الاول - دهتنا . دواه . ونابها . منابها . ومرة واحدة
في الثاني - نعي ، الناعون وكذلك في الثالث حيث يخاص بين الهدى والمهدي .
كما ان قصيدته الخماسية - هندوب تعرف صرنا وهي من عشرين بيتا .
تخوي جناسا في بيتين فقط ، وهما :

يا طالما صدنا بها صيد الغضنفر للثعالب
فتجاذبتهم خيلنا نرعى بهم رمى الثواقب

حيث جناس : صدنا وصيد ، في البيت الاول . و « نرعى ورمى » في الثاني .
وهذه المجانسات جميعها وان كثرت في بعض الابيات ونعني بذلك بيت المرثية
الاول :

دهتنا دواه يضرب القلب نابها ويوقد في الاحشاء نارا منابها
الا انها - فيما نرى - بعيدة عن التكلف والافتعال مكملة بالمعنى . ومجال الرثاء
والفخر يحسن فيه المعاني القوية الكاملة . وكلما كان المعنى قويا كاملا امتلك نفس
القارئ او السامع امتلاكا .

نجد في قصيدة عبد العلي السلاوي التي يبلغ طولها اثنين وثلاثين بيتا . جناسا
في اربعة ابيات هي :

معصومة عما يحرم كأسها فاشربه ثم ادر هناك هناء

ان كنت من انصار مهدينا لنا مهدي الوري من فاص عنه هذا

فالمجد فيه مؤثّل والفضل منه مؤمل والناس فيه سواء

امسيت فيه حليف ود لا ارو م به بديلا ان بدت بسدلاء

فقد حانس بين هناك وهناء « ثم » مهدي ومهدي و مؤثّل ومؤمل « واخير بين » بديل « بدت وبديلا » غير ان مجانسة البيت الاول « هاء » لا تجدى المعنى شيئا . ومجانسة البيت الاخير بديل . بدت . بدلاء - متكافئة ولا تضيف إلى مراد الشاعر ما يوضحه أو يزينه .

بقى شاعر واحد من هذه المجموعة التي نتحدث عن الجحس في شعرها وهو محمد عمر البنا . وقد وجدنا في شعره الذي حفظته لنا المراجع قدرا يسيرا من الجحس في ابيات قليلة وهي :

وتخالج يوم الجلالاد صراغدا اسد واسل رماحهم عابات

ولقد فنتت وما ضفرت وربما فتن امشوق ووتته المضاو

فسيوفهم مسلولة ورماحهم مسنونة وعدوهم مرعوب

واقاد ثغر سواكن امنا وايمانا ويمنا ليس فيه عزوب

نلاحظ في هذه الابيات ان البنا لم يخرج في مجانساته عما اتسمت به مجانسات مجموعته من حيث القلة والبساطة وتقوية المعنى وخير دليل على ما نقول مجانسة البيت الاخير (أمن - ايمان - يمن) فلست نجد في وضع الحروف أو الكلمات ما يعتبر تنافرا أو ما يسبب عسرا أو صعوبة في المطق بل ان اختلاف الحركات وحركة الحرف الاول في كل منها من الفتح إلى الكسر إلى الضم ثم إلى سكون بعد كل من هذه الحركات يشيع في التركيب شيئا من الموسيقى . والفرق بين كل كلمة والاخرى في المدلول يوضح مراد الشاعر ويؤكدده .

اتقى بعض شعراء المهديّة على شيء من تقليد النظم التي كانت سائدة في العصر التركي ومن امثلة ذلك ما التزمه الشيخ الحسين بن الزهراء من اختتام معظم قصائده التي وقفنا عليها بالصلاة على النبي كما كرر الشطر الاول من المطلع في

واحدة منها وهي الحمزية ، وما هو ذا ختامها :

وعلى النبي وآله صلى الذي وصل الصلاة فطالها العظماء
وكذلك سلم ذو العلاما انشدت برح الخفا ما الحق فيه خفاء

كما راد في احدها - وهي الدالية - الصلاة على المهدي حيث قر :

وعلى النبي محمد خير الوري جمل الصلاة كذا السلام يزاد
ولآله واتمته المهدي . فتحت بسيف الرشاد بلاد

والصلاة على المهدي امر جديد استحدثه بعض شعراء المهديّة ، وقد حتم به هذا
اشاعر - الحسين بن الرهراء - قصيدة أخرى من قصائده قائلا .

عليه صلاة دون كيف وعدة واسنى سلام متألأ يلمع

وصلى ابراهيم شريف الدولابي في ختام مراثيته المهدي على ضريح المهدي قائلا :

صلى الاله على ضريح ضمه ركني صلاة في المساء وبكور

كذلك اترم الشيخ عمر الازهرى اختتام قصائده للصلاة على النبي كما كان يدعو
قبل الصلاة لنفسه واهله وغيرهم ويذكر اسمه . ومن اشته ذلك قوله :

الازهرى بن عبد الله ذا عمر	الصاردي فعامله باحسان
فاشفع له في غدا يا ابن العواتك	واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
واشمل بفضلك اهلى والبنين مع	الزوجات ثم ذوى القربى واخواني
صلى عليك الالهى يا ابن مدركة	والآل والصحب ما كر الجديدان
يارب واختم بخير في الممات لنا	والمسلمين كذا واختم بايمان

وقوله في قصيدة أخرى :

الازهرى الصاردي عمر الذي	زانت بمدحك في الوري اوزانه
يرجو التجاة بفضل جاه محمد	مما جناه قلبه ولسانه
صلى عليك الله يا نور الهدي	والآل ما برق اضال معانه
وعلى الصحابة من اذا دعيت نزا	ل يوم معركة فهم شجعانه
والتابعين وتابعيهم كلما	قد سح قطر أو آتي ابائسه
واختم بخير ربنا لعمومنا	واغفر لنا ما يرتجى غفرانه

وقوله في قصيدة ثالثة :

وصلى عليك الله يا خير خلقه ويا رحمة عمت صبيبا كذا كهلا
وآلك والاصحاب والتابعين في طريق الهدى والتابعين لهم فعلا
صلاة بها ترضى عن لازهرى فتى الصوارى في الاخرى وترضى لعلا لاعلا

هذا وقد بدأ قصئده هذى - وهى مدحت نوية - بنخل ما محمد عمر لبنا فلم
يختم ما وصل لبنا من قصائده بالصلاة على النبي ، بل ختم الثانية بدعاء للمهدى
ولنفسه وذكر اسمه قبل الختام فقال :

قد قلتها وانا الفقير محمد ارجو الاقالة ان بدت عثرات
ان لم اكن سلمان بيتكم الذى سرت خطاه بحبكم مرضاة
فانا الذى خسرت تجارتي التي ابغى واسوأ حال الحشرات
حاشا جنابكم المبرأ ان ارى ضيما ولى فى حبكم سكرات
دمتم ودام ثناؤكم متابعا ما هب ريح النصر والنسمات

كما ذكر اسمه فى ختام البائية التى امتدح بها عثمان ولم يدع ولم يصل ، قل :

جاءت تخبر عن غراء محمد فيكم وتشهد ان ذلك عجيب

وقد لاحظنا ان لبنا بدأ بعضا من قصائده بنى وقفنا عليها بابيات من النخل فقال
فى مطلع مدحة رفعها للامير الزاكي :

ابدا يورقنى غير شذاك ويزيدنى قلعا دوام جفائك
ويردنى من حالة العقلا إلى حال الخيال تذلى وابائك
ويزيدنى طرب وحسن مسرة برق تلى من ضياء سنائك

.....

وثانية ، وهى ايضا مدحة . بدأها بقوله :

دعوني اجتنى ثمر الرقاد واخلوني اميل إلى الوساد
ألا يا حادى عيسهم رويدا سلمت من الملمات الغوادر
ويا دار الاحبة خسريني سقتك هوامع السحب الغوادر

كما لاحظنا ان محمد الطاهر لمجذوب اختتم مرثيته المهدى بتعزية الخنفء وآل المهدي

وفي البيتين لآخرين من الخاتمة دعائهم حتى نصريح وها هي ذى ابيات الختام :

عزاء إلى الصديق نبيه اندي	به دلة لغراء شد انصافها
عزاء إلى لغاروق من كن دبه	لبي نعم الدنيا لغرور اجناسها
عزاء إلى الكرار دى الماصر اندي	سبه يهب البتوت ذبابها
عزاء إلى آل الكرم اول انتمي	ليذهب عن هندي القلوب كتشها
لا المغوار عما نصريح الي لندي	تحايا إلى الله الكريم انتسبها

وئشعر اسماعيل عبد لغادر انفتي الكر دفي انهي قصيدته اني وصفها بقبة المهدي مخاطبا من يأتي لزيارة القبر وفي البيت الاخير ارخ بقبة . وه هو ذ قوله :

في زائر آتلك البنية لائذا	بقبر حوى لفضل الجسيم مؤبدا
توسل ببشري المصطفى متدب	لتضطر بالحسنى وتبلغ مقصدا
وقف خاضعا وارح القبول مؤر	خا بقبة مهدي الاناء ترى هندي

بعد هذا يمكننا القول بان شعراء المهدي لم يلتزموا نهجا واحدا في بدء قصائدهم اذ كان بعضهم يبدأ بالغزل احيانا و احيانا أخرى يبدأ بالحكمة كالشعر محمد عمر البند . كما كان بعضهم يدخل في الموضوع مباشرة دون تقديم في بعض القصائد كالحسين بن الزهراء . وكان بعض آخر يلتزم البدء بالغزل كعمر لازهرى في ما وصل اليها من شعره . كما كان فيهم من بدأ بمقدمة خميرية وهو عبد الغنى السلوى اذ قال :

راق الصبوح ورقت الصهواء	مذ كان فيها للعليل شفاء
ريّة نبوية ملكية	مهديّة روحية وسماء
شمسية قمرية ما فض	عنها ختمها في دنها ورقاء

كذلك لم يتبع أولئك الشعراء نهجا معينا في اختتام قصائدهم ، فحمر لازهرى التزم اختتام بالصلاة على النبي . وقد سبق صلاته أو يلحقها أو يتخللها دعاء لشخصه واسرته أو دعاء لعامة الناس . وكان يفعل ذلك في قصائده التي مدح بها النبي . اما اذا مدح فردا عاديا فانه يدعو لذلك الممدوح كما في قصيدته التي مدح بها أحمد فرس الشدياق ، وكان يلتزم ذكر اسمه في ابيات الخاتمة . ومحمد عمر البند لم

يحرص في قصائده على ختم معين بن كان احيانا يدعو لمسوحه أو يدعو لنفسه
ويذكر اسمه وحيانا لا يفعل شيئا من ذلك . وقد كان من هؤلاء الشعراء من
يختتم بالصلاة على النبي وعلى المهدي فيكرر اشطر الاور من المصنع كالحسين بن
الزهراء ، كما كان منهم من يختتم بالصلاة على ضريح المهدي ، أو من يضمن
بيت الختام كلمات توفق رقمها الالهية تاريخ تأليف القصيدة . وكان منهم
كذلك من يتخير خاتمة تناسب موضوع القصيدة لمحمد بن الصاهر المجذوب لما
عزى خلفاء المهدي واهله في الابيات التي اختتم بها مرثية المهدي .

يجوز لنا ان نقول الآن بعد كل هذا الذي لاحظناه من عدم التزام شعراء
المهدية نهجاً واحداً معيناً محدداً في بدء قصائدهم وفي ختامها ، وما تبين لنا كذلك
من التزام ذكر الاسم وعدم التزامه ، وما تبين من غير ذلك يجوز لنا ان نقول ان
الشعر السوداني القصصي بدأ يتخلص في عهد المهدي من بعض تقاليد النظم التي
ورثها من العهود السابقة .

الفصل الثالث شعراء الحكم الثنائي

الحكم الثنائي قسمه لموقف عنصر جديد غير سلامي :

انجالت معركة كررى التى دارت رحاها فى الثنى من سبتمبر سنة ١٨٩٨ عن اندحار جيش الانتصار فى وجه القوات الغارية المتفوقة عددا وعددا . بعد هذا الاندحار لتجأ الخيمة عبد الله . رأس الدولة السودانية إلى بعض المناطق الغربية السائية وتبعه ثلة من جنود الغزاة فقصت عليه . وانتحى الطريق امام المورد كشنر وجنوده إلى دخل البلاد . إلى مدينة امدرمن حاضرة حكومة المهدي . الحكومة الوطنية التى اسسها سودانيون مسلمون وساروا بها سنين عددا . ومنها إلى مدينة الخرطوم عاصمة دولة الترك العثمانيين التى اقمها لهم خديوى مصر فبقيت ضاغية مستدة تحكم الاراضى السودانية باسم خليفة المسلمين لسلطان العثماني قرابة سبعين عاما . بقيت هكذا إلى ان قضى عليها الثوار السودانيون بقيادة محمد احمد المهدي . وما ان تملقوا الغزاة النصر العسكرى فى كل المعارك حتى عمد كشنر وقطاب اسباسة البريطانية إلى تثبيت دعائم الحكم الحديد باعلان نوعه وابراز مظاهره . تأكيد ذلك فى كل فرصة ساحة . فعقب الانتصار . كان من اللازم لكشنر خرضوه وتأدية فروض الذكرى لغردون ف عقدت صلاة على نقاض السراى و اقيمت حنة بسيطة رفع بعدها العلمان المصرى والانجيزى على السراى . وما اعلمت قلها من كرومر (١) . ان رفع العلمين اعلان لسيدة بريطانيا ومصر ولاشتر اكهما فى حكم البلاد ، وقد اكد ذلك للورد كرومر عندهم خاطب الاعيان وزعماء فى امدرمن وقال : « ترون مة اعينكم الآن تيلك العلمين يرفرفن من على هذا المنزل وفى ذلك دلالة واضحة على انكم ستكونون تحت جلالة ملكة انجلترا وخديوى مصر فى المستقبل . (٢) اما الصلاة على غردون وقد اقمها القائد المنتصر والحاكم الحديد فلها دلالتان :

١ - السودان فى قرن ، مكى شيعة ، ٢٨٩

٢ - المرجع نفسه ٢٩٩

اولاهما : ان غردون الجندي الانجليزى المسيحى المتعبد الذى كان فى خدمة خديوى مصر قد اعتبر شهيدا . وهذا الاعتبار يعنى فى رأى من اقاموا الصلاة ورؤسائهم - انه مات مضموما فى سبيل هدف معين أو غرض ارادت قوة ما تحقيقه . وهذا الاعتبار يعنى ايضا استنكارا لقتله وادانة لمن قتله ولمن قتل بسببهم أو فى سبيل نصرتهم . ومن قتله ثوار سودانيون ، اتبع ادم له دعوة معينة يرمى من وراءها إلى اعتلاء كلمة الدين . هؤلاء اثار حملوا اسلح بقيادة امامهم تأييدا للدعوة وتأكيد لعزمهم على اعتلاء كلمة الدين . ان لقتيل من رعايا دولة اوربية كبرى . ولا شك ان هذه الدولة شغلت بدخق كرامتها من امتهان لان القتلة سودانيون مسلمون .

ثانيهما : ان لهذا الحكم ايجاب سمات مسيحية . وهذه السمات مظاهر تختلف عما افقه الاهلون من حكماتهم فى العهدين سقيين -- عهد المهدية وعهد الحكم التركى . مظاهر لا تتفق مع ماربوا عليه وغرس فى نفوسهم وتناقلوه جيلا عن جيل .

بعد الانتصار وانقضاء على ما تبقى من جنود المهدية وانصارها ، وبعد رفع العلمين اتفقت مصر ورويطانيا على تأسيس الحكم الخديوى ودارته وحررت وتيقه بذلك سميت اتفاقية سنة ١٨٩٩ و . مقدمة الاتفاقية تبين بوضوح ان انجلترا لما ان تشارك فى ادارة السودان بحق الفصح .. وان السيادة تركز فى إنجلترا ومصر . على ذلك فالسيادة التركية قد ازيلت قانونيا بعدما اريست فى الواقع بواسطة ثورة المهديّة (١) " وبذلك زادت الشقة بين السودان ومصدر السلطة الروحية بعدا . ولم يعد لتنفوذ الخلافة الاسلامية مهمم كان قدره وكيفما كان تصوره مجل فى هذه البقاع التى عرفت السلطان الزمنى مشوبا بالنفوذ الروحى امدا طويلا من الزمن - فى ملك القونج وقد عرف عن مملكتهم انها كانت ذات مسحة اسلامية واضرة دينية على وجه عام والاما كانت تتمتع بهذا العدد الوخير من الرجال الدينين ولا كما كان لهؤلاء العماء والصالحين هذه الخطوة عند سلاطين القونج حتى ان الواحد منهم ليتوسط فى الامر الخطير ويتوسل به فى الحادث الجلل فيترل لسلطان على رغبته

ويجيبه إلى طلبته مما يدل على أن ندين في نفوس أولئك الملوك سلطان قويا وثرا
 بينا^(١). كذلك عرفوه في حكومة الترك العثمانيين ورثة السلطة لروحانية ، وملكهم
 خليفة المسلمين ، عرفوه في عهد الحكم الاترك . رغم عن أن بعض أولئك
 يحكم كنوا قسوة يظلمون الناس ويستهيئون بهم ، وكانوا فجرة لا يتورعون عن
 ترك الحرام مما انتهى بحكمهم إلى لروال لقيم ثورة المهدي . مع شيوع
 الظلم . ومع ضيق لاهلين وحققهم ، كان الدعاء لخليفة لمسلمين — سلطان تركي .
 يتردد في المسجد ليثبت الصلة بين الرعي — خليفة لمسلمين ورعيته في هذي البقع
 وليذكر بها حتى تبقى حية في نفوس الرعايا . من بعد هتين الدولتين جاءت المهديّة
 باسم الدين وحولت اصلاح ما أخذته على الترك فبعثت الروح الاسلامية . و ثارت
 الغيرة الدينية . كان ذلك في شيء من الشدد والعسف الا انه احكم رباط لسلطان
 الزماني بالروحي فضلت الصلة وثيقة محكمة على أن لمجتمع السوداني في تلك
 الآونة وقبلها كان يجتمعنا متدينين آمن بالغيبات وتعلق بالعلماء والفقهاء وذلك
 لانتشار للماوى والضرق الصوفية مما أدى إلى تغلغل الثقافة لاسلامية في ذلك المجتمع
 مع كل هذا وقف كرومر وقل في احدى خطبه التي درج على لقائها كاهن جاء
 إلى السودان ، قال : " . . . ان وقت السماح لمرسان بالتبشير بين مسلمي السودان
 لم يزن بعيدا ، ولكن المساعي التي تبذل بين القبائل الوثنية في المقاطعات الجنوبية
 تستحق كل ما يمكن من التشجيع والمساعدة^(٢) . بهذه القولة اعلن كرومر ان
 حكومة السودان الجديدة ومن خلفها بريطانيا تؤيد حركة التبشير في جنوب السودان
 وانهما تعطفان عليها عطفاً عظيماً . وان ذلك العطف سيترجم إلى عون مادي
 وأدبي . وقد بدأ الادبي بهذا الكلام الذي لقاه على مسمع علماء السودان وعمده
 ومشائخه واعيانة ، وتمثل المادى في الاموال التي اخذت حكومة السودان ترصدها
 لتبشير والمبشرين وتقدمها هبات سخية مقصعة من امول مسلمي السودان وهم
 الكثرة الغالبة . ان في هذه القولة تلميحاً وصحاً لبدء التبشير بين مسلمي السودان
 عندما يحين الوقت ومعنى هذا ان بريطانيا لم تكن لتكتفى بتأييد الدعوة للمسيحية بين
 القبائل الوثنية في الجنوب تأييداً ادبياً ومادياً . بل انها تنوى بدء التبشير في بقية

١ - النهضة السودانية مجلد ١ عدد ٢٠

٢ - الشعر الحديث في السودان ، عبده بلوى ، ٢٦١ (عن نعم شقير) .

اجزاء السودان الاخرى التى يقطنها مسلمون . ولا يمنعها من تحقيق النية لا الزمن
ام ، ذ حن الوقت وواتت الفرصة فانها ستبيحه وتقدم له عونها عن طريق تمثيلها
فى حكومة السودان .

ان احكم الحديد كفل حرية العبادة والاعتقاد للناس فقد أكد كتنسز
ترك الناس احرارا فيما يعبدون ويعتقدون . وامر بتشجيع اشدة المساجد العامة فى
المن « وتطرق كرومر إلى اعلان تلك الحرية وتأكيدا فى احدى خطبه قائلا :
تروون ان العهد لئى عاهدتكم عليه وقتئذ من جهة احترام ديانتكم وعوائدكم
ندينية قد روعى كل المراعاة . (١) . الا ان الوفاق الذى تم بين مصر وبريطانيا
وتصميمته تلك الوثيقة المشهورة (اتفاقية يناير ١٨٩٩) لم يشر بالتصريح ولا بالتلميح
إلى حرية العبادة والاعتقاد . ولم يرد فيه شيء يشبه تأكيد كتنسز أو عهد كرومر
لئى ذكر الاهلين به فى خطابه . كذلك لم يرد فيه ما يجمع التبشير أو يبيحه . ان
« الاتفاقة اثنتية لم تنص على أى قيد » (٢) لهذا أصبح الادارة الجديدة . وقد سيطر
عليها اياد بريطانية . استقلال فى تصريح شئون البلاد وحرية بل حق فى انشاء
مؤسسات تمكنهم من الحكم . وادخال لانظمة التى تعينهم على تسيير الادارة الحكومية
وبسط نفوذهم فى القطر - ان من اول ما فكروا فى ادخاله التعليم المدني بفتح
مدارس تعد موظفين يؤدون اعمال الحكومة الثانوية ، وبهذا تكسب الدولة الجديدة
كسبا ماديا فالوظائف الوطنى لا يكلفها ما يكلفها الاجنبى من اموال . وكسب أدبيا
لانها تفتحها لمدارس تنقى فى روع الاهلين انها تسعى لنفعهم . وتعمل على ترقية
محتمعهم وتنقيته من كل شائبة . كان من رأى الورد كرومر انه لا بد من التعجيل
ببعض التعليم والتدريب لسودانيين وكان الهدف يرمى إلى غرضين .

١ - ربط التعليم بالخدمة المدنية بغية تزويد الجهاز الادارى بمستخدمين فى الدرجات
الدنيا .

٢ - غرض سياسى المنحى والهدف ويتجه إلى اضعاف الاسس الدينية الثقافية
واستبداله باتجاه علماني « (٣) .

١ - تاريخ السودان ، نوم شقير ، بيروت ، ١٣٣٥

٢ - الحركة الفكرية ، محبوب ، ٢٠

٣ - تقرير لجنة الخدمة ، ٣٣

دخل لتعليم المدني السودان . وقامت مدارس وأخذت تتكاثر . والتعليم من حيث هو ليس جديدا ولا غريبا على المجتمع السوداني فقد عرفه قبل مقدم الحكم المدني بسنين . عرفه في الخللاوى العبيدة لثني نشرت في طول البلاد وعرضها تعميم مبادئ الاسلام وتقرئ القرآن وتعنى بحفظه في المصادر وفوق هذا ودانك تعلم القرءة والكتابة والحساب . ان الخللاوى . وهى مدارس فريدة هى نوعها . نشأت وعاشت بمجهود لاهذين . وشيخ وهو الفقيه المدرس يسيها فى أرضه أو بالقرب من مسكنه بعين تلاميذه وبعض سكن المنطقة ، وقد يشيد بجانبها غرفة أو غرفتين للتلاميذ أو فدين من جهات زائفة . وان كان لشيخ الفقيه مال - أرضا كان أو بها - فانه يقف على نحوه ، وكثيرا ما يعيش الشيخ وتلاميذه على ما ياتيه من آباء التلاميذ ومهنتهم من غداء . ويتقوم هؤلاء التلاميذ بخدمة معلمهم الشيخ . وتنظيف غرف نحوه . اما أكثر ما كانوا يقومون به فهو جمع الخطب لايقدا نارا لثني يدرسون على ضوءها ليلا . ان الشيخ صاحب نحوه وممنشئها ومديرها ومن يتولى التدريس فيها لا يلتقى احدا من احد او هبة . ولا يكف الآباء او الامهات بدفع قدر من المذ نصير تعليم ابائهم . انه يفعل كل ذلك طلبا لثواب من الله . ورغبة فى احراج ابناء مسلمين من طلمات اجهن . وطمعا فى نشر المعرفة الدينية بين الناشئين ليسبوا على ضاعة الله ورسوله فيكونوا بذلك بارين بوالديهم وذوى قرباهم . لم يكن سوى الخللاوى منحصرا فى مجموعة الوالدين الذين يستفيع ابناءؤهم منها بالتعليم فيها فلما كان غيرهم من لاهذين يبذلون للنحوه وشيخها من مالهم الكثير . ومن هؤلاء عيون المجتمع وموسرو التجار ورعماء القبائل والسلاطين كنهم غدقوا على الخللاوى وان لم يكن بين تلاميذها بنوهم ايماننا برسانتها وتقربا إلى الله عز وجل ، ورغبة فى منعة المسلمين . بفضل ما قدم هؤلاء الشيوخ قامت الخللاوى واستمرت فى اداء رسالتها وطلت تفعل ذلك وهى امانة فى علق المجتمع يرعاها ويتفق عليها عن طواعية واختيار .

اولى الناس فى السودان الخلوة فى تلك الآونة عطفهم وعذيتهم ففيها يتعلم ابناءؤهم ونفضل ما يتلقون من تعليمها يكونون مسلمين ثقافة ورعين . منهم من يسلك سبيل استاذة فيستزيد من المعرفة حتى يصير فقيها يشار اليه بالبنان ، ومنهم

من يكتفى بمعرفة ما يجب عليه كمسلم ثم يسلك سبيلا آخر . وتؤدي به معرفته إلى النجاح فيما سلك . كذبت أولوا شيخها - اتقى المعصية احترامهم وثقتهم فقد كان يغسل موتاهم ويصلي على جنازتهم ويعقد زواج بناتهم وبناتهم . كما كان يسأل الله لكل منهم أو هم محتعين في أوقات الشدة يدعو الله لينزل عليهم الغيث ويرفع عنهم الأدواء ويقبض شرور الدنيا والآخرة . وكان موضع الثقة يستشار فيشير بما يرضى الله ورسوله . ومعين الطمأنينة يلجأ إليه الخائف أو المحزون فيجد عنده أى منهما ما يبدد المخاوف ويزيل الحزان . لكل هذا كن للخوة في المجتمع السوداني سلطان . وكن لكلمة الشيخ الحقية وزن كبير بين الافراد والجماعات ، ولا شك ان انتشار الثقافة الاسلامية وتعتمدها في المجتمع السوداني ناتج عن نفوذ الخلاوى ومكائنها في ذلك المجتمع .

لما جاء الحكم الثنائي بنظامه التعليمي الجديد كن المجتمع السوداني على هذه الحالة التي وصفنا من سيطرة الخلوة وتمكن الثقافة الاسلامية الا ان الحكم الثنائي لم يشأ ان يستغل ما وجد عليه البيئة السودانية من مستوى تقدي في مدارسها ، ولعله تعمد ذلك . انما اخذ يغري الناس بذل العون المادي للتلاميذ عند التحاقهم بالمدرسة الجديدة وبادخالهم في وظائف الحكومة يجعل شهرى بعد اكتمال الدراسة وهذا « بدأ التعليم الدينى يذبل . وتحلوا لمساجد والزوايا ولتكايا من ظلمتها .. بيد ان احتضار هذا الجناح التقليدى الهام في حياة سودانيين كان بطيئا (١) وكان انتشار التعليم المدني بتزايد المدارس الجديدة اقل منه بطئا فقد ظلت الحاجة إلى الموظفين متزايدة تبعا لاتساع اعمال الحكومة الجديدة عما بعد عام . لذلك ارتفعت اعداد السودانيين في تلك المدارس انى غلبت عليها الثقافة الانجليزية وخاصة في لقسم الثانوى والاقسام العليا ولم يكن من عيب عن انتشار آداب اللغة الانجليزية وآداب اللغات الاخرى المترجمة للانجليزية بين جمهور المتعلمين من شبان هذه البلاد (٢) . وعلى هذا يمكننا القول بان معركة كررى لم تكن « هزيمة عسكرية لجيوش الانتصار فقط ، بل كانت ايضا اندحار حضري لقيم الثقافة السودانية لابعة من الدين

١ - الشعر الحديث ، الشوش ، ٣٩

٢ - الحركة الفكرية - محبوب ، ٢٠ ..

والملتزمة بالمعتقدات الغيبية» (١).

صدى أحداث الثورة في نفوس الشعراء :

لم يرض السودانيون الحكم الجديد ، ولم يتقبلوا ما جاءهم به لا تقبل المغلوب على امره ، بل ان هنالك بعض احداث تنابعت لتدل على ان بعضهم رفضه وقاومه بالسلاح . وقعت تلك الاحداث بين عام ١٩٠٤ وعام ١٩٢١ . نذكر منها :

١ - ثورة عبد القادر محمد أمام ود حيو به (٢)

٢ - ثورة عجبنا وثورة التفكي على في حبال النوبة (٣)

٣ - تمرد على دينار مع انه استقل بحكم مديرية دارفور (٤).

لكنه لم يكن مطمئنا للانجليز ، بل اخذ يرسل تخليفة في تركيا . ويصف الانجليز في رسائله بالكفر والفسق ومعاداة الاسلام والمسلمين . كما أخذ « يرسل محملا سنويا للحجاز شأن ملوك المسلمين » (٥).

قامت هذه الثورات ، والانجليز ماضون في تعزيز موقفهم في السودان فاحمدوها واستمروا في تلك السياسة التي بدؤوها في نصوص اتفاقية سنة ١٨٩٩ ، تلك السياسة الرامية إلى بسط سيطرتهم دون غيرهم واقصاء المصريين من مواضع السلطة ومناصب الحل والعقد ، فقصر ريجالد ونجت الحاكم العام الذي خلف كتشّر وظائف « المديرين والمفتشين على الانجليز » (٦) وكانت نتيجة هذه السياسة ان غضب فريق من المصريين ، وشن الحزب الوطني المصري حملة شعواء على الاتفاقية وعلى سياسة الانجليز في السودان ، ومهما يكن من شيء فقد كانت مصر بصفة عامة بركانا يغلي ويوشك ان يتفجر لاحتلال لانجليز ارضها ولعلبة نفوذهم في سياستها الداخلية والخارجية ولتسلطهم على شئونها عن طريق حكم ضعفاء من بينها . في عام ١٩١٩ انفجر بركان مصر ، وغف الانجليز في مقاومته . وقابل المصريون عنفهم بالاستماتة فاستشهد منهم عدد وشتق بعضهم وسجن آخرون . كان لهذه الاحداث جميعها صدى في السودان ارتفعت الاصوات داعية للجهاد.

١ - تقرير لجنة الخطة ٣٢

٢ - إلى ٥ لسودان في قرن ، مكي شبكة ص ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣

٦ - الشعر الحديث في السودان ، ع . بدوي ٣٥٥ ، ٣٥٦

هتافات ومشورات تخص على الثورة (١) مع ان الحكومة احتطت فعملت من جانبها على عدم تسرب اخبار الثورة (٢) . لم ينفع الحكومة احتياطها . وكان السودان مهياً لتجاوب فقد حدث ما يقوم دليلاً على شخص اهله كما اوضحنا من قبل ، فكان ان تكونت من بعض بنيه جمعيتين . جمعية لاتحاد وهي منظمة سرية ، وجمعية اللواء الابيض وكل منهما مهددة للانجبار . اخذ اعضاء هاتين الجمعيتين على عاتقهم اعباء المذهبة ، وضيقوا بنفسون بطرق مختلفة منها اداء الشعراء منهم التقصيد في المسابقات الدينية . كما اشترك في هذا شعراء من غير الاعضاء . ونظموا كلهم التقصيد الطوال والقوام على مسامع جمهرة المواطنين في الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم او في عيد المحرة . كانت تلك التقصائد في الاغلب الاعم تبدأ باعلان الابتهاج ثم تأخذ في تغني بالمجد القديم ولثناء لحالة الاسلام والمسلمين في ذلك الوقت ، واستنكر ما هم فيه من ضعف وما اصابهم من تسلط الغرباء ومن استكانة رعايتهم . نظم الشعراء قصائدهم تلك في حماس معتدل احيان . وفي حماس عنيف احيان اخرى الا انهم لم يصرحوا بذكر مصر وثورتها في ما بين ايدينا من شعرهم وقد قيل ان قصائد الاحتفالات العامة التي قيلت قبل ثورة ١٩٢٤ تعتمد بثورة غامضة . وهي عن غموضها سطحية غير واعية (٣) . وإن لما ان تقف ههنا عند امور ثلاثة - (١) اعتماد التقصيد بالثورة (٢) غموض هذه الثورة ثم (٣) سطحيته وقلة وعيها ونقول ماذا ظهرت ثورة في شعر هؤلاء الشعراء ثم جاءت غمضة سطحية غير واعية ؟ ام الامر الاول فطبعي لان المواطن أو لشخص العادي لا يقبل التسلسل والاذلال من بنى وطنه وذوى قرياه فكيف يرصاه من أجنبي يدين بغير دينه ويرفع عليه ؟ ثم هو يسمع ان بعض من تربطهم به صلات قوية يعذبون ويقتلون ويسامون الخسف في عمر دارهم ، افلا يتحرك المواطن الشاعر المتعلم لهذا ؟ ان غموض الثورة أو وصفها بالغموض وصف غامض في ذاته فلست ندرى المراد منه أو معناه اذ يكفيها فيما نرى انها ظهرت في الشعر لكثيرين من ادباء اليوم ودارسي الادب وانها جذبت اليها عددًا من المواطنين وان ما قيل فيها من هذا الشعر اسر اولئك الذين استمعوا اليه فصنقوا لشعراء

١ و ٢ الشعر الحديث في السودان ع . بدوى ٢٨١ ، ٢٨٢

٣ - الشعر الحديث في السودان ، الشوش ٥٥

ونكبدوا ما تكبدوا في سبيل جمع تلك القصائد واذعتها . اما السطحية وقلة الوعي « فمأخذان كبيران لا تستحقهما هذه الثورة التي ظهرت في الشعر لأنها أقضت مضاجع الحكم الأجنبي ونشرت شيئا من الوعي الوضئ بين الأهلين وصارت بذلك معلما في طريق الكفاح ومصدر الهام لثامنا ضالين . لقد فعلت ذلك والحكم الأجنبي في بداية عهده وهو معتد بقوته مزهو بانتصاره فاقبته إنما اطلاق و يقطت الشعور الوطني في كثرة من المواطنين ، ولو تخطت هذا الذي فعلته إلى سواه لأمكنت سلطات الحكم الأجنبي من خنقها فقد كانت كما وضعنا في وج قدرتها وسطوتها وقد زادا قوة استمالة فريق من المواطنين إلى جانبها . ولم يكن لثورة الشعر هذى سند قوى خارج القطر ، فكيف نتوقع منها أن تكون عميقة مدركة ترسم الخطط وتحدد المبادئ ولما ذهب وتولد الأفكار في تلك القصائد . وتدعو إلى تنظيم الفرق المقاتلة وتجنيد المجموعات المحاربة ؟ يبدو لنا أن صفة « السطحية وقلة الوعي » ألصقت بها لأنها لم : تفعل ذلك ، لكنها نرى أنها لو فعلت لقصت على نواة الحركة الوطنية ، فلم تكن سلطات الحكم لثنائي لتسامح في عمل كهذا ولو قام لبادرت بسحقه والقضاء عليه قضاء تاما . وبذلك تتأخر الحركة الوطنية سنين عددا ، وتبعاً لذلك يتأخر ما تجنيه البلاد منها وهو ما قد جنته بالفعل .

لقد كانت الثورة التي « اعتملت في الشعر » رد فعل لما حدث في السودان ، كما كانت صدى لاحداث الثورة في مصر ، وما نحن أولاء نعرض نماذج من ذلك الشعر الذي عبر به ناظموه عن سخطهم على الحكم الأجنبي واستنكارهم أساليبه مستغلين المناسبات الدينية والدين نفسه . ان هذه القصائد التي اتقوها « سلاح امتشقوه حين فقدوا اسلحتهم جميعا ، وهي مجال تبصرة واثارة وعي ناظر .. وقد كان معنى الدين هو معنى الوطن عندهم (١) . » لنبدأ هذه الاماذج بقصيدة للشاعر عبد الرحمن شوقي في احتفال نادى الخريجين بعيد ميلاد النبي ، وفي ذلك النادى في ام درمان وقف الشاعر منشدا في يوم من ايام عام ١٩١٩ :

نديمي من سلاف الخمر هات وشفتني بذكرى الماضيات (٢)

١ - الشعر السوداني في الممارك السياسية ، م . م . على ٣١٢ - ٣١٣

٢ - ملامح من الماحق السوداني ، حسن نجيب ، ٧١ عبد الرحمن شوقي مهندس شعر توفى في يوليو سنة ١٩٦٠ .

أترضى ان أضرم وانت حر وتسمح ان تلين لهم قناتي

وهو هود أحمد محمد صالح يقول مخاطبا جمع الخريجين المحتفل بالعيد فى ناديهـم :

عيد أغر محجل والناس فى شكر الاله
والخير فيه اجزل مكبر ومهـلل

فى حتدل بمطلع العام الهجرى عام ١٣٤١ هـ وقف الشاعر الشاب المسيحى صالح بطرس قائلا(٢):

يا من رأى طوق الحلال وقد بدا
يا من رأى لند عاما اغر مشهرا
اكـرم بظنعه وبهجة نوره
اذ بشرتنا ان سنحمد مخبرا

وفى خاتمة ليالى الاحتفال بميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وقف الشاعر الشاب مدثر البوشى والتقى على المجتمعين هذه القصيدة :

أت بك عن ذات الحجب الرواسم فقلبك مقسوم وقلبك قسم(٣)
مدامع تدرى من البين مثلما همت من حصار المرسلات غمام

من هذه القصائد كذلك قصيدة الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن (٤) ، قال :

لسحرت اقلب مما تسجعين يا هتوف اللوح ، والسحر فنون
لاعدا مغناك منهـل الحيا وتخطتك عيون الراصدين

ومنها ايضا النونية المشهورة التى نظمها الشاعر الشيخ عبد الله محمد عمر البنا تحية للعام الهجرى ، قال :

يا ذا ذلال عن الدنيا او الدين حدث فان حديثا منك يشفينى(٥)

حدث عن الاعصر الاولى لتضحكنى فان اخبار هذا العصر تبكىنى

فى أبريل عام ١٩٢٢ جاء إلى السودان زائرا لورد النبى مندوب بريطانيا السامى

١ - ملاح من المجتمع السودانى ، حسن نحة ، ٦٨ . أحمد محمد صالح عليه شاعر ملح اسمه فى ميادين الأدب والسياسة ، توفى فى مارس ١٩٧٢ .

٢ - ملاح من المجتمع السودانى ، ٧٥

٣ - المصدر السابق ، ١١٣ .

٤ - من علماء المعلمين وشعرائهم ، توفى ١٩٦٤

٥ - شعراء السودان ، ١٧١ - ١٧٢ .

✓ في مصر فانارت زيارته الشعراء وجاءت نتيجة لآثاره قصائد من ثلاثة شعراء
توفيق صائغ جبريل (١) ، حمزة الملك ضميل (٢) وعبد الله عمر شمد اليسا . اما
توفيق فقد نظم ابياته وارسلها إلى مصر لتُشر في إحدى صحفها . وهذا هي ذى :
يا أيها القوم لا تحروا الذيولا يأنف لحر ان يعيش ذليلا (٣)
سمتمونا العذاب . ضيقتم لا رض علينا حتى هوى الرحىلا
ان اردتم اصلاحنا . قد فعلتم فعسرونا ذا مللنا لدخيل
ان حر الذيول للعواني ويكى به عن اترف والدلال والابادة . لعل الشاعر اراد
أن يقول للقوم لا تتيهوا وتعاونا !!
والشاعر الثاني حمزة الملك ضميل نظم سينية تذكرنا سينية البحري في وصف
ايوان كسرى ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جيس
وتذكرنا سينية أحمد شوقي التى نظمها في رحلته إلى لاندلس وقال فيها :
اختلاف النهار والليل ينسى اذكر إلى الصب وايام انس
وكل واحدة من هاتين السينيتين تصور انفعال شاعرها عند وقفته امام بعض آثار
عظمة الانسن ، اما سينية حمزة الملك ضميل فمنها :

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس (٤)
واذ جاشت العواصف فى نفسى عمدت إلى دوائى وطرسى
وقال عبد الله محمد عمر البنا :

هى لأخبار آفتها السرواة وصيقتها التثيت والنبات (٥)
وفى الحدثنان آلاه ، ولكن لما فى كل حادثة عظمات

١ - توفي عام ١٩٦٦

٢ - توفي عام ١٩٦٠

٣ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٥

٤ - ديوان الطبيعة ٥٢ ، ٥٣ .

٥ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٨٠ ، ٨٢ . عبد الله محمد عمر كى من شعراء المعلمين
وعلمائهم ولد في مدينة رفاعة عام ١٨٩١ .

فى ليلة من تلك الميالى وقف الشاعر صالح عبد القادر محميا ذكرى ميلاد الرسول
صلى الله عليه وسلم قائلا :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق الدهر خان وحلت البأساء (١)
عظفا على الاسلام ان شعوبه اجتيجت وقد لعبت بها الاهواء
عاشت به ايدى الطغاة فبدلت ازياه فتنجاهل العلماء

هؤلاء الشعراء كل منهم غير راض بواقع قومه ، ساخط حزين لما آل اليه الحال
فى بلاده . لذلك يفرغ كل منهم الى الماضى البعيد المجيد يصف روعته ويعدد
مآثره مشيدا برجاله ومدنه الشهيرة . يبنى بذلك استنهاض الهمم التى خارت والعزائم
التي وهت ، كما يبغى تعزية نفسه وادخال الامل الى نفوس اليائسين ، وكلهم
فى غصون ذلك يذمون الحاضر ذما لا يخالو من ألم وإيلام ، ويمدحون النبى صلى الله
عليه وسلم مستغيثين به . سلك هؤلاء الشعراء فى التعبير عما خالج ضمائرهم ،
وما أحسوا من سخط وحزن سبيلين مختلفتين — اولاهما سبيل الاعتدال ، والذين
اتبعوها اكتفوا — بعد الاشادة بالماضى — بحث الشيب والشباب ومطالبة الحكومة
بالاصلاح . فالبنا مثلا يصبح فى قومه :

احببى ودعاء الحب مرحة لا يخرننكم بالنصح تلقينى
تروضون بالدون والعلواء تقسم لا تدين يوما لراضى النفس بالدون

وفى الدثية يتخذ البنا سمت الحكماء فيتحدث حديث الناصح المجرب داعيا إلى
الثبت والثبات « واستخراج العضة مما يحدث رغما عن الآلام . ينتقل من بعد إلى
« تشخيص » ادواء المجتمع السودانى التى تفشت فى شبيه وشبابه فقعدت بهم عما
يرجى منهم . انه يقدم كل هذا فى اسلوب سليم واضح تزينه رقة الألب العطوف .
وأكثر ما يشعر بهذه الرقة تساؤله :

فما لفوسهم ذلست فضلت يلذ لها من الحيز الفتات
وما للنهاضين بها استراحوا وهم فى يوم ازمتها الحماة

وانها لركة تحمل نقدا وتوبيخا اذ يعرف من يسمع هذه الابيات مواضع الضعف التى
يعرضها ويحس توبيخا لانه يعرضها فى قالب الدهشة والحيرة بسؤال محكم الصياغة

كما يحس التوبيخ لان الشاعر يعرض النداء وسببه ويتبع ذلك يعرض ما يرجي من
ابناء المجتمع السوداني ، ويتمثل هذا في قوله :

وهم في يوم ريتها رجاء وهم في يوم شهادتها انكساة
وهم في يوم ضلها بساور وهم في بحر حاسدها الرماة

فكانه يقول لهم انتم اهل لكل خير . وانتم جديرون بكل مكربة . هبوا واعملوا
لنفع . متمكم فنيكم القدرة ونكم ماض الرجاء . يلتفت من بعد إلى لورد النبي مبتدئا
الترحيب به قائلا :

وجاء لورد يرفل في ثياب تضم بها المذوع والشكاة

انه ترحيب وقور . لا يحمل في عباراته بهجة ظاهرة ولا آمالا كبيرة مشرقة ،
ولا يبدو فيه ما ينم عن استنكار الزيارة أو الامتناع منها . انما يحاول الشاعر
ان يستغلها لمنفعة بني وطنه فيسقط أثر بعض ما يحتاجون اليه فيقول له :

« ان نفوس لمعان جائعت » . وفي مواضع أخرى من القصيدة يفصل حاجات
بني وطنه بعد هذا لاجمالم . ويتساءل عن قضائها كما تسأل عن تقصير مواطنيه
في ابيات سابقة من القصيدة بالاسلوب نفسه والروح ذاتها . لم يفت الشاعر مع
كل هذا ان يعمز لورد أنسى القائد المنتصر . (أنبى انتزع فلسطين من الاتراك
ودخل القدس تائها مزهو . بعد الانتصار أصبحت فلسطين تابعة لبريطانيا) بهذا
البيت بل بهذا السؤال :

فهل احرزت من عظة نصيبا وخير الواعظين بها رفات

يوصل الشاعر المنطية بالاصلاح . ويلج على البريطانيين في شخص لورد الزائر ،
ومطابته تتسم بالتعقل لأنها تقوم على شيء من المنطق وتنأى عن الاستجداء
والاستخذاء وذلك لانه يعتقد انهم قدرون على الاصلاح . كما يعتقد ان الاصلاح
يحفظ لهم جميلا عند بني وطنه . ويتجلى هذا في قوله :

وعهدى ان ايديكم جميعا عوامل في الحوادث ناصبات
وانك ان عطمت افصت فينا يادى تستمل بها الحببات

يختم البند قصيدته بانذار — لقد تحدث إلى مواطنيه مرشدا ناصحا مؤملا فيهم الخير

وتحدث إلى لورد الزائر حبيب الحكيم حديثاً موزوناً بثقة بنفسه والرعة في
 الصلاح والصلاح . وخطاب البريطانيين في شخص لورد خطاب المؤمن بحقه
 فلم يبق بعد كل هذا إلا أن يذره ويصبرهم بمعة الأهم والجاهل فقال :

وفينا أذساه المون عزه منيع لانتفل له شبات
 وفينا فضة كملت وطاب وفينا حين تبصرنا أنسا

ومن سكو هذا السيل الشاعر أحمد محمد صالح . وهذا هوذا يقتصر على الدعاء
 في بعض قصائده التي أوردناها مع النماذج قائلا :

يا خير من عند الشدا ثد و نواب يسر
 اشمل بطفلك جمعنا يا رب في من تشمس
 وافض على نادى المدا رس صالحات تطل
 واجعل بفضلك اهله في نعمة لا ترحل

لقد حس الشاعر الشدا والنواب تحديق بقومه . وجمعه - تلك الفئة التي
 اعتادت الالتقاء في نادى المدارس ودرجت على الاحتش بالاعيد لدينية وانشد
 الشعر والقاء الخطب تذكرة للمواطنين وشده ضمهم ان نادى المدارس يستحق
 هذا الدعاء . والشاعر يعرف مكانته واثره وقد احس . الشدا ونواب « كما
 اسلمنا ونذلك دعا له . » لقد حقق الله دعاء الاستاذ أحمد فقد هطلت الصالحات
 على هذا الندى فقد نبعت منه جميع الأعمام الصالحة خير هذا البلد . حتى تمت
 حريته (١) . . « وجاءت النعمة التي لا ترحل وهي الاستقلال وشملت الجميع
 ولم تقتصر على اهل النادى .

تبع أحمد محمد صالح وعبد الله محمد عمر الش في هذا السيل شعر آخر
 هو حمزة الملك طمل . استقبل هذا الشاعر مقدمه لورد لنبي نقصيدة وردنا شيئا
 منها ضمن النماذج . وهي في رأينا لا تش برحب بالزيارة ولا تحمل انتهاجا بها .
 كما أنها لا تحوى استكبارا صريحا أو رفضا لقدومه لورد القائد المستصر . قال في
 مطلعها :

١ - ملامح من المجتمع السوداني ، ٦٩

انا اهوى الكمال فى كل نفس واجل الرجال من كل جنس
واذا جاشت العواطف فى نفسى عمدت الى دواتى وطرسى

نما نحس فى هذا المطلع اعجابا وتقديرا يعلنهما الشاعر . ونلاحظ انه اخذ اور
بيته من شينة البحرى ، من بيته :

وارانى بعد اكلف بالاختيار من كل سنخ وأس

نكنا نحس ايضا شيئا من الاشتمزاز أو التحفظ على الأقل يشوب ذلك الاعلان .
انهم اعجاب بالكمال وتقدير له حيثما وجد وفى اى شخص وجد فى لورد أو فى
رحل عادى . ومن اى جنس كان وعليه فالشاعر يقول للورد لا تغتر بمدحى أو
بما سأقوله فانا لست اقصد شخصك أو حسنك وانما اقصد الصفات الانسانية .
وهى وحدها مثيرة عواطفى ومحركة شاعريتى . ان هذا الاسلوب يدلنا على ان
الشاعر غير راص فاللورد الزائر هو فاتح القدس ومزيل سلطان الدولة العثمانية
عن ارض فلسطين باسم الخلفاء فى الحرب العالمية الاولى . وفضلا عن ذلك فهله
البريطانيون يسيطرون على مصر واسودان ويفعلون فيهما ما يشاءون . ان مخاطبته
للورد فى قصيدته هذى تعبد إلى الذاكرة ما قاله امير الشعراء للورد كرومر فى
القصيدة التى ودعه بها وقال فيها :

يا امكم ام عهد اسماعيل ام انت فرعون يحوب النيل

غير ان الشاعر يحب الكمال ويحل الرجولة ولذلك جاشت العواطف فى نفسه
ونظم هذه الايات لاترحيباً باللورد ولا اكراماً لاهله فى شخصه وانما تقديرا
لصفات انسانية واشاعا لتوازع شخصية . انه بهذا يمثل نبيل الخصم المهزوم
يتجرع مرارة الخزيمة ويحس ذل الانكسار لكنه لا يملك الا ان يعترف لمنازله
بالنصر فى اعتداد يملبه كرم الاخلاق .

اخذ الشاعر بعد ذلك فى مخاطبة اللورد قائلا :

فاتح القدس قد تغمدك الله	روح من المهيمس قدسى
بك عزم من القضاء وذكر	مشرق فى زمان اشراق شمس
جئت تستعرض الصفوف احفاء	لا للحرب بمدفع او بترس

عزيم

بأجل القوادى فى الحرب شرف فوق عين من البلاد ورأس

ما زال الشاعر فى تحفظه واشمئزازة . فالثابت قد فتح نقودس توفيق من الله أو
تعمده بروح من المهيمن قيسى . وآتاه كذلك ، عزما من القضاة . فمكنه ن
يريل ساعدن لمسدن ويمهد للاتباب لبريطاني فى فلسطين فيكون ذلك سبب فى ان
يكون له ذكر مشرق فى الزمان اشراق شمس . ولو لم يتح له ذلك من الله العلى
التقدير لما مكنه ان يتصرف ويصل إلى ما وصل إليه ولما نهياهم بانتصاره . فالأمر
كبه حينئذ قدر . ولعل الله أراد هذا القدر لحكمة يعلمها هو . وحمد لله الذى
لا يحمد على مكروه سواه . ولكن ها هوذا القدر المتصرف يخفى رائرا تحتى به
حكمة الانواع الاوفياء المخلصين ويخفى هو مقدمهم له . ومهم يكن من شيء
فعلية ان يتذكر ان هذه البلاد :

كان تاريخها القديم جليلا	مثل مصر ومثل روم وفرس
ثم دار الزمان دورة نحس	عكست نجم سعدا شر عكس
فدرجنا على الصعيد حفاة	بين غير من الجياع وشكس

ان هذا المصطفى الحليل الذى اشد به الشعر وضع نلاده فى مصاف الامم العريقة
نحو إلى حاضر هربل . فهل من سبب معروف لهذا التحول ؟ ولماذا يذكر
الشاعر كل ذلك ؟ يخرج بم كال تقوم ويتبعه بم صار إليه حاضم الآن . لم يذكره
فى هذه المناسبة ؟ مناسبة زيارة لورد نيسى . لعل الشاعر يحس ان البريطانيين
— وانورد من كبارهم — بدعوا إلى الميلاد وما ضيها ما عروها واسود حكمهم
فيها . ان لشاعر ينسب اليهم لتقصير فى القيم خاتحات الميلاد فم ران الجهل
متشبه وكذلك الحفاء واجوع ثم يظنهم بالاصلاح ويرشدهم فى الابات الأخيرة
إلى سبيل الحكم الصانع لان نلاده لا تستحق ما صدرت اليه

أما السبيل الثانية فهى سبيل الثورة ثورة نكلمة فقد سلكها توفيق
صالح جبريل عبد الرحمن شوقي — مدثر الوشى وصلاح عبد نقادر . قد توفيق
فى زيارة لورد نيسى — وقد اوردا حل بيته مع النسادج قد محاصد لبريطانيين :
يا ايها القوم لا تعروا الديولا يأنك اخر ن يعيش دليلا
سمعون العبد . صيتم لا : ض عيب حتى هويما الرحيملا

ان اردتم اصلاحنا قد فعلتم فعنرونا اذا مللنا الدخـيـلا

هذه الايات الثلاثة وهى بداية القصيدة تكشف عن ثورة جمحة فى صدر الشاعر اشعلها ما أحسه من اذلال . وما رأته عيناه من تعالى الحكام وخيلائهم ثم العذاب الذى اوردوه الناس حتى تمسى الداس ان يرحلوا عن بلادهم مفضلين الهجرة والاغتراب على البقاء فى دار يلقون بالعيش فيها دلا وعذابا مع ان حكاهما يزعمون انهم انما جاءوا للاصلاح . ان الشاعر لا يحتمل تسلط الاجنبى . ولا يقبل ما يجده مواطوه من عسف . ولا يصدق دعوى الاصلاح ولا يقبلها وان جاءت مبرأة من كل سوء ولذلك يصرخ فى وجه البريطانيين قائلا - « اعذرونا اذا مللنا لدخـيـلا » مطالبا بالخلاء بعد ان يبى رأيه فى الحكومة . من ثم ياخذ الشاعر فى مخاطبة النوردين الزائر . يقول له مضيفنا مساوىء اخرى إلى ما ذكر فى الايات الثلاثة الاولى :

أهبنا الرعيم اودى بنا الفقـر	فعطفا قد صبرنا طويلا (١)
فقيح ان نرتضى الذل دهرا	وفرى مالنا لكم مبـذولا
كل يوم تبدو بثوب جديد	من دهاء فحسبكم تبديلا
علمتنا الايام ما قد جهلنا	ه فلسنا نطبق عبثا ثقيلا
تلك عشرون حجة بعد خمس	قد تقصت وما شفيتم غليلا
فادعيت نشر الحضارة والعرفان	والشعب ما يزال جهولا
ما اكتسبنا الا الشقاء كسانا	سملا باليا وجسما نحـيـلا

وهنا ايضا يظهر ضيق الشاعر بالاحوال فى بلاده . انه يرى الحكم الاجنبى « عبثا ثقيلا » ويحصى عليهم عدد السنين « تلك عشرون حجة بعد خمس » وفى هذا كله مطابقة للخلاء املاها ما احسه الشاعر وما وجدته فى انظمة الحكم اثنائى واساليه وفى سياسة البريطانيين بصفة عامة لا سيما ما يمس العلاقة بين مصر والسودان من تلك السياسة . ولعل اصدق ما يدل على ضيق الشاعر وثورته المعتملة فى صدره الايات التالية وما فيها من تساؤل ، يقول :

ويح قلبى ماذا يروم السنى	يوم وافى يجر سيفا صقيلا
جمع الجمع ، ارهـب القوم حتى	اصبح السيد النبيل ذليلا

اقراه يريد يفصم جلا بين مصر وبيننا موصولا
ولماذا تراه يملئ عليهم وتراه مدونا ما قبيلا
حل من ملك الدخيل فجر المذنب واستمطر العذاب الوبيلا

استطاع الشاعر توفيق ان يوصل قصيدته هذى إلى مصر حيث وجدت طريقها إلى صفحات واحدة من كبريات الصحف المصرية وقد كان لذلك دوى فى السودان وفى مصر . ولنتقل الآن إلى عبد الرحمن شوقى نتأمل بعض آياته الثيرة التى جاءت فى قصيدة اوردناها فى ملاحق هذا الكتاب . وهى القصيدة التى انشدها فى الاحتفال بميلاد النبى فى يوم من أيام سنة ١٩١٩ . قل :

اترضى ان اضام وانت حر	وتسمح ان تلين لهم قناتي
فحدث عن بنى النيلين قوما	بادني النيل أو اعلى الفرات
بانا نتمنى حسبا ومجدا	إلى ما بالجزيرة من رفات
يعز عليهم نحيا ولسنا	مثالا للشجاعة والثبات
وان لا يبصروا فى النيل قرنا	ولا بطلا يعد من الكمات
يجود بنفسه للموت حبا	بنيل الباقيات الصالحات
فليس الجود بذل ذريعات	لمسكين على قيد الحياة
بل الجود الممات على بلاد	ليحيا اهلها بعد الممات

هذه الايات التى اخترناها من تلك القصيدة تحمل استنكرا واضحا للضميم . وما هو الا تسلط الاجنبى . والشاعر يرفضه ويرفض ان يلين أو يستكين ، ويذكر قوما « بادني النيل » أو « اعلى الفرات » بان قومه السودانيين يتحدرون من اصول لا ترضى لهم ما هم فيه بل تريد لهم وتتوقع منهم ان يكونوا . مثالا للشجاعة والثبات وان يكون منهم المقاتل المستميت والكمى المقنع ليقده حياته ظمعا فى « الباقيات الصالحات » ورغبة فى رفعة شأن الوطن حتى يعيش المواطنون فيه عيشا كريما -- هذا هو الجود . ولا جود غيره . وليس من الجود ان نبذ شيئا من المال لمسكين أو لمشروع انما الجود التصحية فى سبيل الوطن . ان مضمون الايات دعوة صريحة للجهاد فى سبيل الوطن . وتشجيع للمواطنين لحمل السلاح لطرد الحكام الاجانب لان الموت افضل لمن يلقاه فى ميدان الجهاد . فموته يحيا اهل البلاد حياة عزيزة .

ن مدثر الموشى لم يدع لنجهاد دعوة صريحة كعهد الرحمن شوقى الا أنه
كان يقومه النقد مريرا جارحا . وقد نلغ فى بعض ذلك المقدر درجة ندم المحدث .
قال :

ارى زهرة الدنيا وشرح شبابها	تبدل بؤسا ، بنس تلك المغارم
ارى ما ارى مذ ساد فى الناس واهن	وخارت عن الاقدام منا العزائم
سلام على الدين الخفيف وفتية	على عهدهم ترعى النهى والمحارم
تبدل ماضينا ولم تبق سنة	وصار لنا نعمة تعد المواسم
اذا شئت يا ذوات الثنايا تشاهدنى	بنيسك على مر الليالى فهاهم
اغاروا وقد انجذبت لما تحولوا	عن العهد واستولى القياد سواهم
فبيناهم للامر والعرض سالم	اذا بهم يغضون والانف راغم
يقال رجال لا وربك انهم	جديرون حقا ان يقال القواطم
نفوس ابت فعل الجميل لاهلها	وايد الى الاعداء نعم انهزام
فما روع العلياء الاعمام	تساوم فينا وهى فينا سواهم

الشاعر غصب شدة نصي وتحوّل قومه عن العهد . به غضب لان هذا أدى
الى أن « استولى الجديدة سواهم وصاروا » وهم أصحاب نصي المشرق والمجد
التيك اتباعا . ن عصبية الشاعر ترقى الى انودة فيرسل الى اولئك الرجال الذين
فرضوا وسكنوا ويسميتهم القواطم . بهم لا يستحقون لانتصف بالرجولة فى
رأيه لانهم امتنعوا عن فعل الجميل وصاروا عون لشيخين على هانيهم وهم لهذا
أدنى وهدام يعوذوا اهلا شرف الجهاد والنعم خير وضئهم فعلى غيرهم من
الشيب والشباب ان يعتبروا وان ينظروا الى الماضى :

احل نظرا فى من مضى من عيب	فهم عدد ناب المائت صراعم
نحلى هم عن امرد نذر حساء	وسم دولاب خيبة لاعاج

وعندئذ يهون همه رجل وخذ وخلصون بلادهم من المستظن ويسلمون مواطينهم
مما تردوا فيه .

سلك صانع عهد القدر نفس السبيل ولا عجب فصيح يعص فى احتمال
الوطنى اسرى كعص هولاء لعتبة لذين تحذوا من المنابر فى المناسبات السمية

سبيلا إلى نشر الوعي وبث كراهية الاستعمار في نفوس الشعب (١) قد صالح في إحدى تلك المناسبات وقد كانت ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم :

يا صاحب القرآن نظرة مشفق	الدهر خان وحلت البأساء
عظفا على الاسلام ان شعوبه	اجتicht وقد لعبت بها الاهواء
عاشت به ايدي الطغاة فبدلت	ازياءه فتجاهل العلماء
.....
لو لم يكن ديننا قويا لانمحت	آثاره منذ حبه الامناء
.....
يا امة هضم ازمان حقوقها	كم فبهتك بوعظاك الحكماء
لعبت بك الايام لعب معار	فنأت بصيرك الحسباء
ما نلت من احداث دهرك راحة	ومن الحوادث راحة وعناء
حظ المداك واشعوب تقدمه	لكن حظك شدة وعناء
فبأى حكم قد هويت ولم تزل	فيك الشعور وتنطق الشعراء
ومن الفجائب ان تموت بلادنا	جهلا وفيها السادة العلماء
يا قوم قد لعبت بكم اهواؤكم	ولحنكم قادتكم الاهواء
نمت وما نام الزمسان وان من	طلب العلا ما لذه الاغفاء
خارت عزائمكم فمات شعوركم	والله يفعل ما يرى ويشاء
هل اوهن الاسلام الا اهله	ما ايدوه لانهم جبناء

يبدو ان الشاعر في مطلع ابياته سيان كثيرا لما اصاب الاسلام - فقد خان الدهر « و « حلت البأساء » ويعزو هذا إلى اسباب هي (١) تسلط الطغاة (٢) لعب الاهواء بشعوب الاسلام (٣) تخاهل علماء المسلمين لكنه يمتلىء بشيء من الامل لان الاسلام دين قوى نتعاليمه وبصاحب القرآن الذي يحميه . ينقلب اسي الشاعر و كآبته إلى غضب ثم يصب حاء غضبه هذا في قومه فيصممهم بالضعف والجبن والغفلة ويلوم « الدهر » و « الايام » و « الزمان » على ما نالت بلاده من (شدة وعناء) بينما الممالك الاخرى لقيت حظا وافرا من التقدم . والدهر والايام وازمان براء

هالشاعر يريد الحكم الذى كان قائما تذاك . الا تراه يقول :

هأى حكم قد هرب وم تزل منك الشعور وتطوى لشعره
ومن العجب ان تموت بلادنا جهلا وفيه سدة لعلماء

ماهو الحكم الذى يريد ه ومن الذى حكم عليه بما اصيبا ؟ تردت ونحمت
عن الامم . وفيها سدة علماء . لكن الجهل ما راب متفشيا . ن فيها شعراء
يستنهضون لهم بشعرهم ويميصون فى تمجيد لماضى وذه الخصر ورغم عن ذلك
ماتت املاذ جهلا وخارت العزائم ومات الشعور ان ثورة عارمة تعنص فى صدر
الشاعر وتخرج لنا فى هه الايات متبهة يصيب اوارها الضغاة كما يصيب
قوم الشاعر .

ظهور اتجاهين وطنيين فى الانتاج الشعرى :

بدأ الخرجون هه الثورة الأدبية نتي تحشد عنها فى الشقرة لسدقة وتوبو
قيادتها فى نذيتهم . وكانو يبعون من ورائها بت او عى وتخلق الشعور الوطنى
تمثل هدا شعر لذى تستهر له المنسيات الديمة» (١) . فقد تبين شؤلاء الشعراء ان
الحكم الاحصى لا يريد لامتهم ما يربون لها . وثبت لهم انه يسعى نيسه بقوده
وتقويته وضمان استمراره . فهده د بقمع كل همة وطنية ويبطش بكل من يرفع
رية العصيان أو نتمرد بطشا سديدا . انه طنق يعمل ذلك فى السودان . وفى مصر
يسير سيرته هلى وكبر . وقد كان للاحداث نتي مرت مصر وفى هه
الفترة « وقع حص فى السودان (٢) لال كثيرين من السودنيين كانوا يرون فى
مصر رائدة يرتض مصرهم محصير ه» (٣) ولان جمهره السودنيين طلت من قديم
الزمان تكن بمصريين حاء صادق . كل ذلك مع ما قامت به تالك اجمعيتان
الاتحاد وناوء الأبيض نقل الثورة من رحاب الادب . ومن سحات محافل
الدينية إلى معقل الحننية فتكلمت المدفع والسادق معلنة ثورة الحود السودانيين فى
عام ١٩٢٤ ان قيام هه الثورة المسلحة تدليل على فلاح الشعر و ولاداء لى سودانيين

١ - ملاح من المجتمع السودانى : ٧١

٢ - الشعر الحديث فى السودان ع . بلوى ٢٧١

٣ - المصدر نفسه ٣٧١

فيما قصدوا اليه ونعلمهم فلهذا لان ثورتهم الشعرية اتى حركتها السحط على الحكام الاجانب والشرم بالاحوان صاحبت بعض وقائع في السودان ومصر ، تلك الوقائع التي بنت نامواطين السودانيين نوبيا البريطانيين واثبتت هم ان وتلك الحكام لا يتورعون عن فعل اى شىء فى سبيل توطيد اركان حكمهم .

ان اسورة الأدبية اثمرت ثورة مسلحة فى سنة ١٩٢٤ . بعد ذلك ظهرت مرة أخرى فى شكل جمعيات أدبية كونتها اسية الخريجين فى كبريات مدن القطر . وظلت تلك الجمعيات ميدانا للادباء والمفكرين والمصالحين . يتحدثون ويناقشون ويتناظرون فى شئون الادب وأحوال المجتمع السوداني سنين عددا إلى ان آتت - بطريق مباشر أو غير مباشر - ثمرات جناها المجتمع السوداني وفاد منها خيرا كثير من هذه الثمرات ، مؤتمر الخريجين « تلك الهيئة التي كان قيامها بداية العمل السيسى فى احزاب منظمة فمن داخله ظهرت الافكار السياسية وخرجت إلى المجتمع السوداني وكن ان ظهرت الاحزاب السياسية المختلفة . ظهرت فى قسمين كبيرين - قسم يدعو لربط السودان بمصر وعرف هذا القسم بالاحزاب الاتحادية وآخر يعارض هذه الدعوة ويرى ان يستقل السودان . وعرف هذا القسم بالاحزاب الاستقلالية . تبع هذا التقسيم ظهر فى الشعر الوطنى السودانى اتحادان - اتجه اتحدى يقف فى مؤررة الاحزاب الاتحادية يدفع عنها ويدعوها . وآخر استقلالى يدصر لاحزاب الاستقلالية بتأييد افكارها ودحض خصومها

الاتجاه الاتحادى :

من الشعراء الذين نظموا فى هذا الاتجاه مؤيدين عن ايمان داعين نه عن رغبة الشاعر اشيوخ عبد الله عبد الرحمن الامين . وسعرض فيما بلى نمادح مما نظم من شعر . ونتبع ذلك تفصيل الكلام فى شكل ذلك الشعر ومضمونه - قال فى قصيدة القاها فى حفل وداعى :

مصر من اسوداد والسودان من	مصر سواد العين والانسانا ^(١)
شعباهما شعب وخزانا همما	يوم اللقاء اراهما خزاننا
حتم على الشعراء ان لا يكذبوا	أرأيت حمرا يكذب لوطنا

ولقد وجدت من العروبة موطناً رحباً ومن أجوائها طيراً

ثم قال في قصيدة أخرى يعلن حبه لمصر :

الى في الكنانة من قديم	الدهر حب غير كاذب (١)
ابدا يورقنى هواها	والحوى غاد فغالب
د صب مصر قبل ن	تنشأ وتستجر المذاهب
وثقتى منها ومنها	ما أحبر من غرائب
وهزها وتسرني	والسر في هذا التجاوب
د شعر في بصرى	لكنها وحى المذاهب

وقال في وحدة وادى النيل :

ووحدة وادى النيل نحن دعائنا	ولكن على الا نكون لها ظلاً (٢)
ونأخذ بالامر الذى هو واقع	وذلك حق ما اردت به بطلا
فان قيل تعليم وقيل ثقافة	فان من التعليم ما يشبه الجهلاً

وقال أيضاً في رحيل الجيش المصرى عائداً إلى مصر :

نعم لمصر يعود الجيش هل علموا	ان الكنانة والسودان صنوان
وهل تنقل الا فى منازلها	منازل النيل هل فى الارض نيلان
تبعان للنيل فى ارض الجنوب وفى	ارض الشمال لقد فاض المصبان
من قال قطر وقطر فهو فى نظرى	كمن يقول بان الواحد اثنان

ومما قال فى اتفاقية الجلاء :

للنيل فى مصر والسودان من قدم	عهده تضمنه البردى قرطاسا
ما نخلة فى ربا السودان منبتها	وفرعها باسق فى مصر مياسا
ان كان فى حوضك الاحزاب قائمة	فانما انت جنس لست اجناسا

وله أيضاً فى تأميم القناة :

وارى العروبة كلها رحماً	وبنو العروبة هم بنو امى
-------------------------	-------------------------

١ - ديوان العروبة ، عبد الله عبد الرحمن الأمين ٣٧ - ٣٨

٢ - ديوان العروبة عبد الله عبد الرحمن الأمين ، ٤٤

أنا من يقول النيل جامعة
واقول ان العرب مملكة
وإلى اتحاد شامل قومي
تليت قضاياها على الضم
والقائمون بها اولو عزم
ازجى حديث الشاعر القومي

ومن نظمه لمدينة بورسعيد بعد الاعتداء الثلاثي :

انما مصر والعروبة والسودان
ما لمستعمر لها من سبيل
لا شمس ولا حبوب واكن
باعد الظالمون منا وقتوا
يوم كنا ولا تسئل كيف كنا
من يقيم الصلاة في عقر داره
ان يبين التاميز والنيسل حبا
يس بحر الشمال منه ولكن
يا سماء القنال صبي علينا
الحوى والشباب والامل المنشود
ابقى على الزمان عهدا
ماستعمر له ان يكيد
هو شعب موحد توحيدا
ان مشى الجنوب كان ويدا
من يقل مصر ارقوه صعودا
يلاق الهوان والتشريدا
ابد الدهر فاقدا مفقودا
منه بحر الغزال يعوى اسودا
من فيوض التحرير لحنا جديدا
كل أبى علينا الركودا

وما حبي به الجمهورية العربية المتحدة قوله :

بنى العروبة حبي الله دولتكم
ردت على العرب الاحرار غربتهم
كل امرئ عربى غير ذى عوج
فقل لمن بات خوف الغرب يخذله
حياكمو الله من لبي ومن نادى
كفى بمفتقد للعز تبعادا
تهمه العرب ان ترقى وتزداد
قضيت حيا ولم تستنفذ الزادا

ثم ها هو ذا يبين مذهبه فى الوحدة العربية :

انا فى الوحدة شيعى وهل
ان فى الوحدة توحيد وهل
كجمال من امام منتظر
ينكر التوحيد الا من كفر

ويضرب الامثال لاصلة بين مصر والسودان بقوله :

للنيل فى مصر والسودان من قدم
لا المغريات ولا الاحزاب تصرفه
عهد قديم على بردية كتبنا
ولا السياسة اما حركت ذنبا

يا نخله في ربا السودان منبتها وورعها باسق في مصر منسكبها

وفي قصيدة سماها « هدية العيد الاكبر » قال :

العرب كل وكل لا تجزئة هذى الدعاية ممن يفتري الكذبا
من المحيط الى شط الخديج ومن رص الشمال الى ارض الجنوب جب

يا وحدة اورشنتا جمة وسعت لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبا
ان نخيبك والآمال واسسعة ولباس بالباس والدنيا لمن علبا
وقد تؤمم فيك العرب قاططة والعرب تأميمها يعلو بها رتب

وعند عقد تدفق ميه النيل حتى الشاعر المتواضع بقصيدة طويلة تختار منها :

مصر من السودان والسودان اذ يتفاوضان
يتنازعان اعننه الحسنى ولا يتنازعان

وبنعممة الله الكبير وفضله تتحدثان

ومما وصف به النيل الذي يربط السودان بمصر قوله :

لم اميل مرهوا ترف خمائله وتشدونشاوى ورقة وبلابله (١)
ولم بسمات البشر في كل صفحة طمن لاسى من بعد ما ران شامله
ولم يهرع الجمهور في كل بقعة واخره في دهشة واوائله

اما ختم هذه الاسدح فهو الابيات التالية التى فخر فيها بدوره فى الحركة الوطنية :

سل القوم فى استعمارهم هل تأودت فتاني وهل فى واجب اتردد
وهل كان فى شعري مهاده وهل دنفت الى استعمارهم اتودد
وئى لاستوحى القوامى حرة وارمى بها فى وجه من يتردد
فان تمعوا ليلي وطيب حديتها على ففى كفى اليراع المسدد
عدمت لبيان اخوان كنت مشدا من الشعر الا ما يقيم ويقعد

يعتبر لشاعر شيخ عبد الله عبد الرحمن من علماء اللغة العربية فى السودان فقد

١ الشعر الحديث فى السودان . شوش . ١٩٨٠

درسها دراسة تخصص فوق اساس من التعليم الديني تنقده في امرته فهو يسمى الى بيت دين معروف . بعد التخرج واكمل الدراسة اشتغل بتدريس اللغة العربية وادبها في مدارس الحكومة . ومعنى هذا انه اضاف إلى المؤهبة لتخصص بم التطبيق فهو يقرأ ويقرئ . ويشرح لتلاميذه ويتحدث اليهم في النحو والصرف والشعر والنثر . ولا بد ان يسبق كل هذا تأمل وتفكير ومراجعة . وكان عليه ان يعلم تلاميذه فلا بد له ان يعلم اولاً ويتأكد من صحة ما علم حتى ينقله اليهم صحيحاً لذلك لا غرابة في ان يحىء شعره سليم النية - خالٍ من الاخطاء النحوية . نفاظه فصيحة . وتراكيبه لا تخرج بصفة عامة عن قواعد بلغة ولا تسو عن المذوق . لكنه يورد في احيان نادرة بعض الكلمات العادية في مثل قوله :

اياك اعنى واحسدرى يا جارة الوادى المقابل

فكلمة «مقلب» بالمعنى المراد ههنا من اللغة العامية ومعناها المكائد في لحد والهرل . وكقوله :

قل لمن راح حزينا بينكم لست منها انت عفريت الصور

فالكمتان الاخيرتان في هذا البيت تعبير عامي معروف .

ان ورود مثل هذه الالفاظ في قبة من ابياته لا يقدح في شعر الشاعر ولا يدل على قصور في مقدرة أو عجز عن التعبير فقد ظهرت مقدرة في قصائد أخرى وجاء تعبيره واضحاً وافياً . انه قد نجد له العذر في هذين البيتين يقول انه اراد التبسط في الاول كما اراد الدعابة في الثاني .

احياناً أخرى يلجأ الشاعر إلى التكرار تكرار اللفظ كقوله في الايات :

لم النيل مزهوا ترف خمائنه	وتشددو نشاوى ورقه ويلانله
ولم بسمات النثر في كل صفحة	صمس الاسى من بعد ران شامه
ولم يهرع الجمهور في كل بقعة	واواخره في دهشة واوائه
ولم ترقص الامواج يسبق بعضها	إلى الشط بعضا تنثقيها سواحله

حيث كرر اداة الاستفهام اربع مرات الا انه تكرر يزيد من جمال لايات لان الشاعر فيما يبدو لنا اراد التعبير عن تعجبه لجمال المناظر وروعة المشاهد المختلفة

اننى تحف مجرى النيل أو تبين للعين فوق سطح مياهه المتدفقة . انه ممتون بها ،
معجب بـ تديده لعينه من رواء يشير حيرته ويرتفع صوت هذه الاسئلة التى تدل على
من نجيش به نفسه . انه تسأول لماخوذ بما يرى الخائر فيما يبدو لعينه من مفاتن
لطبيعة ، عند الشاعر إلى التكرار فى نفس القصيدة فكرر « كأن » داة التشبيه
ثلاث مرات فى ابیات متتالية حيث قال :

كأن انعكاس الكهرباء عشية على مائه سيف جنبه صيدقه
كأن تخاعيد السم بوحهه سارير وضاح لحين تقابله
كأن فراديس الجنان تنفست بارجائه أو ان شيئاً يمـائله

وهى بيت من قصيدة أخرى يكرر أكثر من كلمة واحدة فى ذلك البيت الواحد
واهتز الشعب يساقط ثمرا هزك النخل ففى الشعب الثمر
ثم يكرر الجملة الاسمية « انت حر » فى بيت آخر من نفس القصيدة :
ايها الشعب الكريم المنتمى انت حر مستقل انت حر

وواضح ان المعنى يكتمل دون تكرار . ولاتبدو حاجة لتأكيد بتكرار لان كلمة
« مستقل » تغنى عنه وتزيد عليه الاطلاق والايحائية . يبحث الشاعر كذلك إلى
تكرار بعض ابیات قصائده . فلبيت يرد فى قصيدة مـ ثم يرد فى أخرى بلفظه
ومعناه ، وقد تغير احدى كلماته ومثال ذلك البيت :

يا نخلة فى ربا السودان مبهتها وفرعها بسق فى مصر مياسا
يا الشاعر يورده فى قصيدة أخرى مع تغيير لثافية . فيقول :
يا نخلة فى ربا السودان منبتها وفرعها ناسق فى مصر منسحبا
والبيت :

شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس للتاريخ ما كتبنا
يرد بلفظه ومعناه فى قصيدة أخرى :
شعوب آسيا وأفريقيا تهش له ويقرأ الناس للتاريخ ما كتب
كذلك البيتان :

ان نؤم فيك العرب فاطمة والعرب تأميمها يعلو به رتبها
ولولا جمال ولولا صدق ثورته نحو العروبة في حبلها ضطرب

يردان في قصيدة أخرى بنفس الفاضل مع تعبير يسير جدا في دولتهم :

وقد نؤم فيك العرب فاطمة والعرب تأميمها يعلو به رتبها
لولا جمال ولولا صدق ثورته نحو العروبة امسى حبلها ضطربا

هناك بيت آخر يورده الشاعر في قصيدتين من قصائده دون اى تغيير أو تقديم أو تأخير في لفظ من الفاظه فهو :

معلقات على الوادى قصائدنا مرابطات ترد لشك والربيا

حيث نجده السابع والعشرين في قصيدته عيد الدستور « والخامس والستين في
في قصيدته هدية العيد الاكبر . . وفي ثلاث قصائد أخرى جاء اشاعر يشطر
بيت مرة في كل منها مع تعبير في بعض الالفاظ . وفي احداها ورد الشعر هكذا :

وقضت على فرق تسد في مهدها

وفي الثانية :

فرق تسد ابطلت باطلها

وفي الثالثة :

وقضى على فرق تسد في عهدهم

اننا لا نستطيع ان نجد عددا لشاعر في تكرار الابيات أو انصافها في أكثر
من قصيدة . ولا نحسب ايا من تلك القصائد تسوء أو تقل قيمتها الفنية أو الوطنية
إذا اسقط منها أى من تلك الابيات أو انصاف الابيات . ولا نحسب كذلك ان
الشاعر اوردها مكررة هكذا دون قصد . وعليه فانعذر نوحيد الذى يتبدر إلى
أذهاننا هو اعجابه بتلك الابيات وتلك الانصاف .

أما من حيث النظم فقد سلس لشاعر قياد لاوران . ولم نقف في أى بيت
من ابيات قصائده التى نظرنا فيها على خلل فى وزن . كذلك جاءت قوافيه سليمة
خالية من القلق أو الاضطراب . وخلا شعره من الزحرف النفضى المتعمد لذاته
وأكثر ما استعمل من أنواع البيان التشبيه والاستعارة . وما إلى التشبيه البليغ أكثر

من غيره لما فيه من قوة الدلالة فلسفه فيه هو عين لمشبه به ، وجاءت تشبيهاته كلها
بسيطة لا تكلف فيها ولا مبالغة ، وها هي ذى نماذج من البليغ :

هل مصر والسودان الا	فى رباه عشيرتان
وربيستان بحجره	وعلى هواه مقيمتان
.....
ان فى الوحدة توحيدا وهى	يسكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انا	جنة لذوى وظيف المستقر
خلت السيوف سيوف الهند اوجهكم	لما اتخدم من الاوطان اعمادا
.....
وارى العرونة كلها رحما	ودى العرونة هم سوامى
.....
انا من يقول النيل جامعة	تليت قضاياها على الصم
.....
مصر من اسودان والسودان من	مصر سواد العين والانسان
.....
اولا تراها كتلة طلعت	شها على الشيطان بلرجه
.....
هل جنة الخلد لا فى ديار كمو	لقد نزعتم طب غلا واحتمادا
.....
نا فى الوحدة شيعى وهى

ومن غيره :

..... وهى	كجمال من امام منتظر
.....
وقوامى النظم والسر اذا	رمتهم جساءت كسيل مهمر
.....
كأن انعكاس الكهرباء عتبة	على مائة سيف جلته صبقلة

كأن تجاعيد النسيم بوجهه
كأن فراديس الجن تنفست

اسارير وضاح الجبين تقابله
بارجائه أو ان شيئا يماثله

لواقع عربي غير ذى عوج
القى بها كعصا موسى تلتف ما

قصر الرئيس حمال قصة عجبا
قد يأفكون فكان الداعى الاربا

ومن استعاراته :

مصر من السودان والسودان
يتنازعان اعنه

ذا يتدو ضـــــان
لحسى ولا يتنازعـــــان

ويداهما مهما رمت

بهما التوى تنصافحان

يا وحدة اورثتنا جنة وسعت
وقد نؤمم فيك العرب قاطبة

لا لغو فيها ولا تأثيم مرتقبها
والعرب تأميمها يعلو بها رتبا

ياخلت في ربا السودان منبتها
ان كان في حوضك الاحزاب قائمة

وفرعها باسقى في مصر مياسا
فانما انت جنس لست اجناسا

يا سماء القتال صبى علينا

من فيوض التحرير لمحد جديد

وعنيك من نسج الشمال
وعليك من نسج الجنوب

بياض وجهك والثرائب
المرسلات من الذوائب

يا يوم عمورية احتفلت
قد جئت لدنيا بمعصم

منك المنى في موكب ضخم
يبنى ويهدم بالقنا الصم

ويقبل الشعب دفاعا بتوجيه

اذ لم يكن فيه من يخنى لها راسا

كنازة الله انقت من كنانتها	سهما له اوجس الاعداء يحاسا
على القتال قريبا من ديارهمو	نارا تراءت من السودان اقباسا
.....
نحت السفينة من اعاصير اخوى	ونجت برين السفين المهر
.....
العرب من خلف المحيط إلى	شط الخليج إلى قوى العجم
القت على الجودى مراسيها	فمشى بها الجودى بالميم

اننا عندما نتأمل هذه الاستعارات وهى بالطبع قليل من كثير سقناه على سبيل مثال
 تين لـ أنها فى جملتها من الطراز التقديم المألوف من شعراء العصور الماضية والمعروفة
 فى اوساط الأدب والأدباء فالشيخ الشاعر لم يصف جديدا إلى ما القنا وعرفنا الا
 فى اثنين من استعاراته ، اما الاخريات فالمعنى المستعار فى كل منها وثبتت الدال
 عليه هما مما اعتبره الاقدمون مثالا يحتذى ويقاس عليه أو يشبه به لقربه من الكمال
 ففى قوله « يسر عان اعنة الحسنى » يشبه الحسنى بالفرس . وفى قوله « يا وحدة
 اورثنا جنة » يشبه البلاد بعد الوحدة بالجنة ، وفى البيتين « وعليك من نسج انشمال
 ... الخ » يشبه مصر فى ارتباطها بالسودان بالحسنة ذات الوجه الابيض والثرائب
 البيضاء وقد زن هذا البياض سواد الثوابت اما يوم تأميم لقناة فيشبهه يوم
 عمورية ويجعل من جمال عبد الناصر معتصما آخر . هكذا سلك الشاعر سبيل زملائه
 القدامى وانتزع بعض تشبيهاته من بيئة سالفه (تشبيه يوم التأميم بيوم عمورية) -
 اننا لا ننتقص من قدر اولئك الشعراء وفنهم ولا نعيب بيشتهم . فقد انتجوا لنا أدبا
 حيا رفيعا فى تلك النيات الفنية المتحضرة لكننا نأخذ على شعرونا انه يكثر من
 الاتكاء على الاسلاف .

أما الاستعارتان اللتان استثنيناهما لانه لم يتأثر فيهما بالاقدمين فاولاهما :

يا نخلة فى ربا السودان منبتها وفرعها باسق فى مصر مياسا

انه يشبه فيها امتداد وادى النيل من وسط أفريقيا إلى حوض البحر الأبيض
 المتوسط بامتداد النخلة من منبت جذورها إلى فروعها العليا . وهذا التشبيه يصور
 قوة الصلة بين مصر والسودان ويبين متانة الارتباط ، فالسودان يمثل الجذور والجذع

ومصر تظل انزوع الحضراء بسعفها وبحبها . ولا عني لاي من هذه الاجزاء عن الآخر . هذه الاستعارة في الاصل مأخوذة من قول سيسى نريطاني اوردته في حد كتيبه . وتذقله الناس و تنشر في لاساط السياسية في مصر والسودان انان المعركة السياسية اتى دارت بين دولتي الحكم اتدئ بسبب وحدة وادى اخيل بنى الشاعر استعارته على هذه القوة ، فتد اعجبته لدلائها لقوة على مدى الارتباط بين القطرين ، ولا صلة لها بالقديم . وثانيتها في قوله :

وقد نؤمهم فيك العرب قطنة والعرب تأميمها يعلو بها رتب

هنا يستعمل الشاعر التأميم بمعنى التوحيد ومعناه المعروف في لغة العصر استيلاء الدولة على املاك الافراد والجماعات تحقيق وتعميم للمنفعة . اما جمع الامة العربية بشعوبها وقطارها في كيان واحد او توحيد في دولة فلم يقل عنه فيما نعلم « تأميم » . ولم يستعمل واحد من الشعراء أو الساسة فيما نعلم هذه المادة « امم » أو احد مشتقاتها في وحد « أو احد مشتقاتها . ان الشاعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن ابتكر هذا الاستعمال بتوسعه في معنى التأميم وهما ايضا م يتكىء على اسلافه اولئك الشعراء الاقدمين المجيدين . مع انه اعتمد عليهم في مواضع كثيرة . وهما نحن اولاء نورد منها قوله :

فقل لمن بات خوف الغرب يخذلهم ومن يسوى بأنف الدقة الذنبا

وهو من قول الخطيئة :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الدقة الذنبا

وقوله ٣ :

فعلمت ان المستحيل ثلاثة ابقؤهم والعول والعنقاء

من القول المنسوب لابن الفارض :

وعلمت ان المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل النوفى

وقوله :

ومن يغرب يحسب عدوا صديقه جرى مثالا للغرب ، دالاس « قصد

من قول زهير بن ابي سلمى :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

وقوله :

كلما انبت الزمان قناة ركب بوسعيد فيها الحديد

من قول المتنبي :

كلما انبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

وقوله :

يا صاحبي تقصيا نظريكما اذ تنظران

من قول ابي تمام :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

وقوله :

اقيموا بنى اُمى صدور مطيكم بصدق فعال لا يصدق كلام

من قول الشنفرى فى لامية العرب :

اقيموا بنى اُمى صدور مطيكم فانى إلى قوم سواكم لامليل

وايياته الثلاثة لآتية انتى ورد كل منها فى قصيدة مختلفة :

١ - اين النواطير التى نمت على قمز الثعالب

٢ - اين البواطير انتى نامت على قفز الثعالب فى الزمان الغابر

٣ - نامت نواطير الامور وقد بشتت ثعالبها من الكرم

من قول المتنبي :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها وقد بشتت ثعالبها من الكرم

وقوله :

ما عاد مستسرا فينا البغاث ولا عدنا نفكر فيمن جد و لعبا

من قولة قديمة هى :

ان البغاث بارضنا يستسر

وغير هذا كثير ، الا اننا نريد التمثيل لا الحصر .

اذا انعمنا النظر فى معاني الشاعر نجد انها على وجه العموم بسيطة لا تعقيد فيها واضحة لا غموض فيها ولا ابهام . كما انها خالية من العطفة . انها لا تستعصى على انقارىء . ولا تضطره إلى التوقف او اعادة القراءة . ان هذه البساطة تقرب معاني الشاعر من الاذهان . لكن خلوها من العاطفة يبعد بها عن شدة الاسر والعمق ولأخذ مثلاً لذلك هذا المعنى الكبير الذى يتناوله الشاعر فى بيته لآتية :

انما مصر والعروبة والسودان	ابقى على الزمرد عهدا
ما لمستعمر لها من سبيل	ما لمستعمر له ان يكيـدا
لا شمال ولا جنوب ولكن	هو شعب موحد توحيدا

قرر الشاعر ههنا ان مصر والعروبة والسودان تربطها عهود بقية بقاء الزمان لكنه لم يبين لما كيف يكون ذلك ، ولماذا يكون . ولم يشعرنا كذلك ، يراه فى هد التقرار أو ماثيره فيه من مشاعر . قرر فى البيت الثانى ان لثلاثة قوة تمنع عنها كيد المستعمر وترد عواذى الاستعمار ووقف عند قراره ولم يبين مصدر تلك القوة ومداها ، ولم يكشف لنا عن الشعور الذى تثيره فيه تلك القوة أو فى غيره من المواطنين . ولم يوضح لنا مايتوقعه من تلك القوة أو مايريد بها من وقع على المستعمر وفى البيت الثالث جاء قرار ثالث لا يسبقه انفعان شخصى ولا يخطط به شعور ملتهب . ان هذا المعنى الكبير من صميم عقيدة الشاعر السياسية . فقد أعلن ذلك فى أكثر من قصيدة الا أنه — فيما نرى لم يتعمق فى معانيه فجاء بها سطحية

وجدت ثقافة الشاعر الدينية طريقها إلى شعره فظهرت فى عدد من قصائده الا أنها لم تخرج بمعاني الشاعر إلى رحاب العاطفة الفسيحة ومسرح الخيال الواسعة مرة واحدة انما اضفت عليها شيئاً من روح الكتاب الكريم وابانت مدى ما يعرفه الشاعر منه ، وها هى ذى ابيات ضمنها الشاعر آيات أو كلمات من القرآن :

وتعالى ظلمات بعضها	فوق بعض انها احدى الكبر
دقت الساعة وانشق القمر	قصر الصنعة لا على القمـر
.....
التقى بها كعصا موسى تلقف ما	قد يأفكون فكان الداعى الارب

تراور الشمس عن كهف وقتته	دت الشمال ترد الروح ان دهب
وقل اعسلو فيها مالهج برة	يا بها الانسان انت كادح
انا في الوحدة شيعي وهل	كجمال من امام منتظر
ان في الوحدة توحيدا وهل	ينكر التوحيد الا من كفر
فادخلوها بسلام انها	جنة المأوى وطيب المستقر
وكان الاله قال لنا في الحرب	كونوا حجارة أو حديد
اخرجوا من بلادنا صوت شعب	كان شيطانه عليهم مسريدا
قد اشربوا مس حب العجل وافتتوا	اليوم قد نكروا الاضلاف وانذنا
ثبت يده ابو لهب فلست ارى	كالغرب يحمل فيما بيننا الخطبا
وقرأت في القرآن قيضنا لهم	قرء قست فزين للقرء
انا وجسدنا ربيع يوسف	قسلما تتحرك كان
كم راعني سبع عجاف	تأكل السبع السمان
دع الوشاة ودع ما يهرفون به	قميص يوسف مملوء دما كذا
وقلت لهم يا ايها النمل ودخلوا	مساكنكم لا تحطمنكمويد
فقلت للمريد بناكرة	تلك اذن كرة خاسرة

ان الخيال في شعر الشيخ عبد الله عبد الرحمن يتسم بالبساطة ويتعد عن العمق ناهيك بالحموح . وكثيرا ما احسنا ونحن ننظر في بعض اقتصاد ان الشعر لا يرخي لخياله العنان حتى يتطلق فيولد المعاني ويتكر المشاهد ويؤلف منها مشهرا

واحدا مكتملا رائعا . ففى قصيدته القاهرة المتحررة لا يصل خيانه إلى أكثر من تشبيه تلك المدينة الكبيرة العريقة بحسنة « بضعة » ثم يأخذ فى تعداد ما تندر به المدينة شيئا بعد شيء دون ان يغوص إلى اصول ما عدد أو جذور ما استهواه فيها . من ههضة - قال :

شجنتنا بالحانها القاهرة	وحيت باوجهها الناضرة
وجوه على النيل وضاءة	ودنيا جمال بها ساخرة
والقت عصاها والقيتها	كلانا بها ساحر ساحرة
وطارحتها عن شهى الحديث	وجالستها بضعة سامرة
وكم من نواد تيممتها	فالقيتها حلوة النادرة
لئن كنت فى حبها شاعرا	لمصر احاسيسها شاعرة
وجوه الحياة بها غضة	وفلك الحياة بها ماخرة
وفى كل واجهة كم يد	صناع وفى صنعها ماهرة
وفصحى الغفات على نولها	تحاك ونافخا وافرة
وانت من الارض ام ارضك	السماء وانجمها الزهرة

كان فى مكنة الشاعر ان يخلق بخياله فى تاريخ القاهرة الملىء وفى ماضى مصر الخافل ففى كليهما مادة دسمة وأحداث جسام مختلفت . كل ذلك يمكن ان يستغل الخبير المنطلق فيخلق منه المثير اندقيق المعجب . الا ان الشاعر أثر التعداد - لذلك جدت الصور - على كثرتها فى قصائده - مفردة لا تعدو تشبيه شيء واحد بشيء واحد حتى ان كان المحال متسعا لصورة مركبة تبدو لوحة رائعة مع انها من الفاظ ، ففى الابيات الآتية :

كأن انعكاس الكهرباء عشية	على مائه سيف جلته صياقله
كأن تجاعيد النسيم بوجهه	اسارير وضاح الجبين تقابله
كأن قراديس الجنان تنفست	بارجائه لو أن شيئا يماثله

يصف الشاعر النيل وقد انعكست انوار المصابيح الكربئية فى صفحة مائه وهب النسيم مجعدا المصفحة ليتشبع بشيء من رطوبة الماء ثم يمر غليلا بليلا كانه خارج من الجنان وهذه مناظر متعددة يمكن ربطها ببعضها لتكون صورة واحدة يرى

فيها القدرىء أو السمع نوحه جمية بالنيل في نيل فاطمة نحمد الطبيعة الحى . الا ان الشاعر فرقها وفسدها ، الكثير من الحيوية والخصب . يقارن مثل ذلك عن قصيدته التى وصف فيها الطبيعة في السودان حيث قال :

كم للطبيعة في السودان من فتن	وكم لاطيارها من سحر الحان (١)
ما أكثر الملهمات الشعرية فيه وما	اجدها للاديب الهادم الباني
الرميل عند ضفاف النيل تحسبه	لنفس الشفاء جلالاتها بيض اسنان
ما للكهارب سلطان على قمر	ولا على الشمس سلطان لبنيان
.....
كم بالجزيرة أوسهل التضاريف من	مزارع حلوة المرأى وغيظان
وقرية ذهب في جودها مثالا	ومتزل فيه تتلى آى قرآن
والقوم سمر وجوه يسرعون إلى	ما ينبت العز من اكرام ضيفان
.....
هناك في كردفان اى متسع	للطرف في بارة اوارض خيران
حيث البداوة في احلى مظاهرها	والابل طالعة من بين كئبان
ما حمل الريف مصطو ومرتبع	وغداة الريف في عير وغزلان
أخذ لم تجر موسى في حوانه	والخيد من حسنه عن زينة غن

هنا في هذه الايات يتغنى الشاعر بجمال بعض مسطىق السودان ويبدو مفتونا بمظاهر الطبيعة في تلك البقاع فيخورا باخلاق مواطينه مما يدل على تمسكه بالقومية السودانية . لكن هذه الايات أو القصيدة كلها على الاصح لا تروقنا من الناحية الفنية والشعر اتبع فيها طريقته التى تحشد عنها من قبل وهى طريقة التقرير والتعداد . فجاءت مجردة من الانفعال اعاطفى خالية من الصور الجميلة الحية .

من شعراء الاتجاه الاتحادى حسن طه (٢) صاحب ديوان . هتاف الجماهير * وقد ضم ديوانه هذا غناءه لوحدة وادى النيل . وه نحن اولاء نعرض لنمذج من

١ - ديوان العروبة

٢ - تخرج في كلية ، دور سديمه وعمل موصى في مسك الادري ثم تركه واشغل بالسريرى

ولد في ام درمان عام ١٩١٤ .

شعره ثم تناولها بالنقد فيما بعد .

قال في قصيدة عنوانها « الاسلام » :

سغنى اذن باغنية النيل	لدى لمهرحان فى كل عيد(١)
مزهري حكمة الخيفة فى النما	دى ونوحدة احليمة عودى
فسمعوني مع الزمان اغنى	يا يابى ابشير بالعز عودى
واسمعوني مع الحداة اغنى	يا سماء لمحار بالنصر جودى

وفي أخرى عنوانها « وخزات الضمير » قال :

كل من فى القطر مسجـ	ون وربي وكتابه(٢)
اى فرق بين من	فى السجن امضى فى رحابه
والذى لا يأنف الذ	ل حرى بعقابه
ليت هذا النيل حر	وطليق فى انسيابه
انا منفى لاني	است ذببا من ذثابه
غسللوه ، كبلوه	جردوه عن ثيابه
ثم هذا مبضع السا	سة يمشى فى اهابه
قطعوا اوصلاله كي	يغنموا عند اغتصابه
زأر الوادى زئير ال	أسد فى آكام غابه
انسوا ان الدم المسفو	ح من بعض خضابه
ويحهم ضلوا سبيل	الحق مالاذوا ييابه

وفي احد اعياد هجرة الرسول نظم قصيدة جاء فيها :

ما رل عرق العرب فين نابض	حيا يعز على انهي ن يبرا(٣)
من مبلغ اسلافنا وهم الالى	قهروا الزمن باند لن نقهرا
عبث الزمن اذا اراد باهتنا	سؤا وابدى نجزيه وكشرا

وقال فى قصيدة نظمها لما دعيت الامة لاجتماع سان فرانسيسكو الشهير :

١ - هتاف الجماهير - حسن طه ٢٥

٢ - المصدر نفسه ٣٠

٣ - هتاف الجماهير ٥٦ - ٥٧

حرية ما احيلها غدت وطرا
حرية هي نجوى كل مؤتمر
من دونه انخطى جبل او طارى (١)
نبيلة الاصل سودانية الدار

✽ وقال عن سياسة الحكومة في السودان :

أرأيت كيف الحكم في السودان ينكره القضاء (٢)
ورأيت كيف العدل في ارجائه عمدا يساء
كيف الاسى والذل يفرضه علينا الاوصياء

✽ وقال عن معارضى وحدة وادى النيل :

حسبهم يا نيل نعمى
كلما ارويتهم زاء
ملثوا منها العيابا (٣)
دوك هما واكتسابا
الى خانوا الكتابا
كيف يوفونك بالعهد

وخطب مؤتمر الحريجين في احد اجتماعاته قائلا :

قضية النيل قد فصلتها فغدت
فلن ترى النيل اشلاء ممزقة
حقا يمزق للمأجور دعواه (٤)
الا اذا غير السكسون مجراه
إلى كفاح بنو السودان تهواه
من خلفك الشعب ان شئت الفداء
وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
ما انت الا لسان الحال انت له
السيف الوحيد الذى لم يبق الاه

وفي احتفال بعيد الجهاد قال :

وحدة التاج والدفاع سلاح
قل لمن يرفض السيادة اعرا
يقرق الانجليز منه سدادا
ان معنى سيادة التاج انا
ضا لكى يلبس البياض السوادا
سوف نحيا اخوة اندادا

وقال في الاحتفال بيوم التعليم :

الانجليز هم قوم لبانتهم
ان يسحقوا الشرق أو تحنى نواصيه

١ - هتاف الجماهير ٦٢

٢ - المصدر نفسه ٦٣ - ٦٤

٣ - هتاف الجماهير ٦٥ - ٦٦

٤ - المصدر نفسه ٧٠

قالوا رفاهية السودان غايتنا
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان
حسب البلاد عناء ما تعاناه
لنا شأن وكان لنا ما نرجيه

نظم الشاعر قصيدة طويلة ودع بها قائد الجيش المصرى ، وقد جاء فيها :
من رسولى إلى الطغاة فكم ذا
افسدوا جادة الطريق ولو لا
ها هم الغاصبون قد تركوا النيل
غرسوا بذرة الشقاق بواديه
قل لهم خاب سعيكم فذرونا
نحن بعد الجلاء اهل وقربى

وقال فى أخرى :

اجر يا نيل ان شائك اليوم
ان واديك جنّة تتهادى
غير ان الدخيل يسلبها الخير
اجر يا نيل الكنانة ذكر
حقير وانما هو ابتر
فى رباها كما تهادى الكوثر
ليغنى بخيرها مانسستر
ها بحرية المعز وجوهر

اما قصيدته .. باقة الوادى ، فقد جاء فيها :

فلتحى وحدة وادى النيل نخرجهم
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب
الشعب افضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل
عنا فيحيا مع الاحياء واديننا
متنا اذن قبل ان تبنى مبادينا
يا ليتهم حكموا هذى الموازيننا
بل انها السيف ذو الحدين مسنونا

ومن قصيدة طويلة القيمت فى جمع المتظاهرين نختار الايات الآتية :

ان يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده (١)
فاستغل الجهل عونا واستباح الفقر عـبـده
واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفـده
واذل النيل بالقوة كى يحتـنـل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده

وفي أخرى عنوانها « كفاح الشعب » قال :

فيا شعب وادى النيل حقتك ضائع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه
إذا لم تقف دون الحقوق تصارع
عليهم جحيما تصطليه المصاحم
تحرك مليا ايها الشعب نحوها
فليس الامني دونهما اليون شسع

خاطب الشاعر جمعا حافلا في ليلة سياسية قائلا :

يا شعب جلادوك ها هم
لم يكفنيهم انا نكافح
في السلاح مدججونا
للغناء مصفديا
جاءوا الينا كي يرونا
في الدماء مضرجينا
فليسفكوا دمنا الزكي
كم يشاء الحاكمونا

وقال في تأبين المجاهد علي عبد اللطيف :

فما الموت ان تذهب الروح عنا
ولكنه ان تعيش طليقا
وان يقبر المرء في لحده
ونيلك يرسف في قيده
لقد سطر الخلد نارا تنظي
فاروى له الخلد من زنده

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ومن قصيدة وجهها إلى المعفور له السيد اسماعيل الأزهرى لما اعتقل مع عدد من زملائه المجاهدين نختار :

وضح الصبح جهرة للعيان
المواثيق لم تعد تتمشى
ورأت مصر محنة السودان
مع باغ يشتط في العدوان
والابطيل لم تعد تتنافى
مع ما يدعيه من بهتان

يتضح لنا من هذه النماذج التي عرضناها ان الشاعر حسن طه آمن بوحدة وادى النيل ايمانا قويا فدعا لها دعوة ثرة . نقول هذا لانه في شعره نقد حكام السودان نقدا مريرا مفصلا فقد ذكر ما يعانيه المواطنون على اختلاف طبقاتهم . فملوظف والعامل والزارع . كل منهم عاني من وطأة الحكم ، وكابد ما كابد من معاملة الحاكمين . مثال ذلك قوله :

كل من في القطر مغبون يعاني اليوم سهره

طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خـده
 فاذا ما صاح فى وجه الطغاة المستبده
 جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجـده
 قال حـدوه فكان السجن والتشريد حـده
 ها هو الكاتب فى مكتبه يندب جـده
 قد رأى الغاصب يستترقه جهدا وجهـده
 ولديه من نعيم العيش ما يعييك سرده
 فاذا ما قال انصفنى غدا التنكيل رده
 غضبوا منه وقالوا انه جاوز حـده
 ها هو الزارع لا يحبنى برغم الكد كـده
 حظه الاشواك مـ الشهد فلا يطعم شهده
 حسبه البؤس الذى أضناه عدوانا وهـده
 يحصد العمر أجيرا انما يجهل حصـده
 فاذا قلنا لهم اعطوه كى ينقذ ولـده
 غالطوا فى اجره قالوا لنا لا شىء عنـده
 ها هو العامل منهوك تحال الشن جـسلده
 يتفاني كلما اغروه كى يبذل جهـده
 فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زنده
 اعرضوا عنه وخلوه يعانى الموت وحـده

كذلك ندد بسياستهم فقال انها تحرم على المواطنين الكلام فى شئون بلادهم كما
 تمنعهم التنقل فيها وتخول بينهم وبين خيراتهما المباحة لهم بوصفهم الحكام ولغيرهم
 من الاجانب ويتمثل هذا فى قوله :

تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء
 ايان حل ركا بهم فعلى المسرات العفاء
 تؤذيهـم ضحكاتنا ويسرهم منا البكاء
 قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

قد كمموا الافواه كيلا تملأ الدنيا استياء
وتفتنوا فى القيدكى لا تذرع الارض القضاء
وابوا علينا انة الشاكى وصيحات الرجاء
قد اياستنا رحمة الأرض فما شأن السماء

ويندو لنا من نقده ذاك لميرير المنفصل ومن تنديده بسياستهم انه لا يرجو منهم خيرا
ولا صلاحا ولا يرى فى مسلكهم واسلوهم فى الحكم بارقة امل لذا قل فى غضبة
البائس أو يأس الغضبان :

قد اياستنا رحمة الارض فما شأن السماء

لهذا كره دعا إلى الثورة فى عدد من قصائده وانح فى الدعوة . ومن ذلك قوله
لشعب وادى النيل لا لشعب السودان وحده :

فيا شعب وادى النيل حقك ضائع اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاءه عليهم جميعا تصطلبه المضاجع
إلى ان قال :

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة وما هو نظم فى الحماسة رائع
ولكنه سجن ونفى وشدة وضرب وحرب تصطفى ومواقع

وقال فى أخرى :

ها هو النيل المقدى نزل يستجد أسده
ها هى القوة تغلى فى دم السودان حده
ها هى النيران تجتاح الالى يبعون وأده
ها هى الثورة كالبركان تدوى بل أشده

وقال حاثا على التضحية :

يا شعب دونك ان تموت وان تعيش مع الذبنا
ساموا لوادى النيل أنفسهم فكانوا خالديننا

انه مخاطب شعب وادى النيل لايمان به بالوحدة وهى فى رأيه حقيقة تاريخية وهى

وحدة تكوين واثبت ذلك في قوله :

يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها
مصر هي الرأس ندسودان .. لهم
مذ عهد خوفو ومنذ توت عنخ آمونا
كلاهما وحدة جسما وتكويننا

ودعا شعب السودان ووادي النيل إلى الثورة لتحقيق الوحدة في أكثر من قصيدة
ومن ذلك ما جاء في هذه النونية وهو :

يا شعب سر نحو الحياة وخض
ان كان للحق دون الموت من أثر
بحر الدماء فليس لعمر مضمونا
نحيا والا فان الموت يدعونا

وهو في ثورته ودعوته لثورة يتجه احيانا إلى لزعماء يستحثهم على التمسك بها
ويعلن ضم تأييد لشعب واستعداده للقتال . ويتجه كذلك إلى معارضي الوحدة وهم
— خصومه في السياسة — بالنوم والتفريع والاتهام احيانا — اما ما قاله للزعماء فتمثل
له بهذه الايات التي خاطب بها السيد اسماعيل الازهرى :

وحدة النيل في يديك سلاح
فضحت كل مرجف يتعامى
كان أمضى من مرهفات السنان
وددت كل من له وجهان
سر بها مؤمنا فحنفك شعب
ليس يخشى كئيب الثرسان

وما الخصوم الذين عارضوا الوحدة فقد قال فيهم :

حسبهم يا نيل نعمى
كلما ارويتهم زاء
ملثوا منها العبابا
دوك هما واكتئابا
كيف يوفونك العهد
الالى خانوا الكتاب(١)

.....
جل وادي النيل اذيو
وى مع الاسد الذئابا

ومن قوله فيهم ايضا ذا ما ، مهددا :

جواسيس للأعداء عون وساعد
سماسرة هذا يساوم شاريا
ولكن علينا أعين وطلائع
وهذاك في سوق السياسة بائع
وهذا يمى بالارائك نفسه
وهذاك في ظل الارائك قابع

.....
وان كشفت يوم الحساب المراجع
متى ازدهمت بالكادحين الشوارع

.....
فياويلهم ان يحكم الشعب نفسه
سيلقون عند الكادحين جزاءهم

انذع الشاعر حسن طه يؤيد وحدة وادى الليل بنفس الأسلوب - هجوم على حكومة السودان يحصى به مثلها ويعدد أخطاءه ويكشف فيه نواحي قصورها . ودعوة لشورة وجهها لمواطنيه مسترا بحياة أفضل ثم هجوم على الخصوم يضمه نقدا لاسلوهم في السياسة وشكا في دوافعهم سار على هذا النهج في معظم قصائده وبذل جهدا في التعبير عن رأيه وحساسه للاداء والمساة والمواضع عامة مستعينا بمجموعة من التشبيهات والاستعارات . وقد جاءت التشبيهات أكثر ومعظمها من البليغ ، وها هي ذى امثلة منها :

.....
من دونه سيفا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها مبصرا

.....
دين الحنيفة سيفنا لا نبتغي
وهدى الكتاب دليلنا لا نبتغي

.....
ساد يستجمع القوى ليذبا
وكانت له الكنانة قلبا
نقض الغداة والله نجبا
ريخ حتى غدا اليها وربا

.....
وقف الشعب خنقه وقفة الآ
ان سوداننا هو العين للنيل
هو جبل الوريد بيننا متى فتره
هو سر الحياة مجده التا

.....
في رناها كما تهادى الكوثر

.....
ان واديك جنة تتهادى

.....
يا ليتهم حكما هذى الموازين
بل انما السيف ذو الحدين مستونا
لنا الاماني واخضعنا السلاطين
ان لم تكوني لهم صابا وغسلنا
كلاهما وحسدة جسا وتكويننا
بحر الدماء فليس العمر المضمونا

.....
الشعب أفضل ميزان لدعوتنا
ارادة الشعب فوق الحاكمين اجل
فهى السلاح اذا صلنا بقوته
ماذا يضير الاعادى منك ويجهم
مصر هي الرأس للسودان ..
يايها الشعب سر نحو الحياة وخض

صراعا يرى المستعمرون مضاءه
وليست حياة المرء الا وديعة

ونحاض إلى المجد بحر الدماء
ونادى بوحدة نيل البلاد

وحدة النيل في يديك سلاح

رَأَى الْوَدَى زُنْبِيرًا

ها هي الثورة كليلبركن تدوى بل شده

فليسفكوا دما الزكي كما يشاء الحاكونا
فكأنهم بين الوري اسد الشرى

انت يابن الحسين كالمنز نهما
انت كالسيف غير انك سيف

ومن استعاراته نورد هذه الامثلة :

ثم هذ مبضع السياسة يمشى فى اهدبه
رَأَى الْوَادَى

ريجهم ضلوا سبيل حق مالاذوا بيده

عبث الزمان اذا اراد باهلنا
قامت حداة الشعب تحت لوائه

عليهم جميعا تصطليه مضاجع
« ولا بد يوما ان ترد الودائع »

فشق الطريق على نعه
مداة شيخ فى ونده

كان مضى من مرهذت السدر

اسد فى آكام عاله

وكأهم عم عيه مدر (١)

لا على الشعب كم شقيت غليلا
لم يكن مغمدا ولا مغلولا

سوعا وابسدى ناجذيه وكشرا
صفا الى ان تجلى المستعمرا

فتفجر الوادى عيوناً ثائرة الحسير يفعم نبعم المتفجسرا
وانساب وادى النيل كترا خالدا يجرى لجينا أو . . . احمررا

قد كعموا الافواه كيلا تملأ الدنيا استياء

جل وادى النيل اذ يؤوى مع الاسد الذئابا

حرية النيل ما إن قد هتمت بها تراقصت شحما معها واديه

غرسوا بدرة الشقاق بواديه ليجنوا من الدسائس ابسا
غصب النيل من مذبحه العليب فثارت له الكنانة غصى

قل لهم لانتقام مدامت الاحزاب طرا بوحدة النيل ترأر

واذاق الشعب صابا وهو يستجديه رفده
هاهو النيل المقدى ظل يستجد اسده
هاهى القوة تغلى فى دم السودان حده

يشعب جلادوك ها هم فى السلاح مدججونا

لقد سطر الخلد نارا تالظى فاورى له الخلد من زنده
ورلزل ركن الطغاة بعزم تجول المنية فى حده

تعال لنظفىء الخلف الذى قد بت يستعر
تعال لنجمع الشمـل اخاف العقـد ينتشر

من رسول إلى الطعة فكم ذ صدق صدرى بهم وقد كان رحبا

لاحظنا أثناء نصرت في قصيدة الشاعر حسن طه الواردة في ديوانه «هتاف الجماهير» انه وقع في بعض الاخطاء النحوية لا أنها قبيحة في عهدهد ويسيرة ولعلها من قبيل خطأ الطبع أو زلة القلم . وقد يكون بعضها من قبيل الضرورات الشعرية . ومهما يكن الامر فاننا نذكر منها :

قوله : دعها تقطب وجهها اما ان آليب الا ارتضى بالهون

انه يحذف الفاء من جواب اما .

وقوله :

كيف يوفونك بالعهد الاي خانوا الكتابا

حيث جاء ماعلين لفعل يوفى ، واو الجماعة ولائى على لغة كقول البراغيت»
وقوله :

حي مصر وهنها يرجال قد دعوا الشرق للجهاد فلبى

«دعير ضمد الفعل» «دعوا» إلى «دعوا» ليستقيم الوزن . وقوله :

شاهد المصطفى وصاحبه قدما كما رأى بعينه (قيصر)

حيث وضع قيصر بين قوسين لتجىء ساكنة فتستقيم مع قافية القصيدة
وقوله :

كم رأى مسلما يبايع فى الله بامواله فلا يستكثر

ويبايع فعل يتعدى مباشرة وهو ما يتعدى بحرف جر فى وقوله :

«ين الجهاد وهذه أعمدكم جونبول يجله لكم فتمصلوا»

وفيه يحذف علامة الرفع من الفعل «فتمصلوا» ولم يسبقه نصب او جارم وقوله :

وكان حديرا ان تعديه مذاتي نحاره طوراً وطوراً نصانع

فقد حذف علامة النصب من تعديه «وهى» فتشحة وسكن اياء وقوله :

كذبحهم فعل مضى فهو نقص واما كفاح اشعب فعل مصرع

باسقاط الفاء من جواب «أما» .

وقوله : ولو انصموا قلوا بخونبول أنا بغير الذى يرضى اسلاد تمناع

حيث توسع فى استعمال حرف الجر الباء . فمراده من الشطر الثاني أنا تمناع فى غير الذى يرضى البلاد . ولم يسمع بقوضه مانع أو يمنع ؛ ولعله استعمال تمناع وفى دمه لا نرضى « ليكون مراده من هذا الشطر : لا نرضى بغير الذى يرضى البلاد . أم مانع فغالبا ما يأتى بعدها فى أساليب هذا العصر حرف آخر « فى » . كذلك باح الشاعر لنفسه استعمال حرف الجر من « فى البيت »

وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا من الشعب إطلاقا فما هو دفع

بعد « مؤيدا » وغالبا ما تثنى الباء بعد ايد . ومشتقاتها ولكن نقول ان لغة العصر تزخر بمثل هذا الاستعمال - مؤيد من « و » مسنود - وهى لغة الجماهير التى يهتف بها فى ديوانه .

وفى قوله : غضبوا منه وقالوا انه جاوز حده

استعاض عن « على » بمن ، والمشهور استعمال « على » .

أما قوله : هل فيه ميثاق إلى استقلالكم أم فيه وعد بالجلء مجلجل فقد حشر فيه الشاعر حرف الجر حشرا . ولا مبرر لوجوده الا اقامة الورد اذ يستقيم المعنى بقوله : ميثاق الاستقلال . . . واداة الاستفهام ، هل لا يذكر بعدها المعدل الا فى القليل . لكن الشاعر جاء به فى بيته هذا . كذلك اناب الشاعر حرف الجر « إلى » « مناب » اللام « فى قوله :

ودونك ان تستكين والا فاحشد قواك إلى طرده

ثم ان الشاعر فصل بين الصفة والموصوف فى البيت :

وعفوت فى سنه انفعالات كما يغفو اخوهم لديه دفين

حيث حشر : لديه ، بين ، هم « وصفته » دفين ، وهى لا تزيد المعنى كثيرا اذ يكفى ان يقول « اخوهم دفين » .

لاحظنا كذلك ان الشاعر لم يتوخ الدقة فى استعمال بعض الكلمات مثل

« ضراب » فى قوله :

وما وطنى سوى توّى اذا لم اذد عن حوضها يثلم ضرابي

وفى قوله :

جهاد لا يقل له ضراب واقداما تهون له الصعاب

اذ الذى نعلمه ان « الضراب » هو « الصرب أو المضاربة أو القتال بالسيف ، لا السيف نفسه ، والذى « يثلم » أو « يقل » هو لسيف لا الضرب أو المضاربة اليهم الا ان اراد الشاعر معنى مجازيا لم يخطر على بالنا .

لم تسلم بعض ايات الشاعر من خطأ صرفى فقد جاء فى بعضها كلمات دت وزن غير معروف فى تلك المادة ومن ذلك « مشهر » فى قوله :

دين الخليفة سيفنا لا نبتغى من دونه سيفا صقيلا مشهرا

وفى قوله :

وبلوانه فى الجهاد فقال الحق للسيف طالما هو مشهر

وور « مشهر » مفعول ياتي من الرباعى « فعل . ولا تعلم كلمة من هذه المادة شهر ، بهذا الوزن والمعنى ، فلا يقال فيما نعم « شهر فلان سيفه » انما يقل شهر سيفه أو « شهر سيفه »^(١) بتشديد عين الفعل وعيه يكون اسم المفعول الذى يستعمل وصفا على زنة مفعول أو منفعول فقول : سيف مشهور أو مشهر . كذلك ورد فى بعض ايات الشاعر تعابير أو كلمات عامية . نذكر منها :

يايوم مولده خلافتك لم نجد يوما تنير مساءه اقماره^(٢)

«مخلافك» بمعنى سواك أو غيرك كثيرة الورد فى اللمعة العامية . ومنها ايضا « لو من بينكم » فى قوله :

لا يرتضيه الحر لو من بينكم حر عليه فى الجهاد يعول

فالعبرة « من بينكم » تتردد فى حديث عامة الناس كثيرا بنقضها . وأكثر منه بمعناها حيث يقال « لو فيكم راجل » . ومثل ذلك قوله فى اسب :

١ - القاموس المحيط مادة شهر

٢ - تناف الجماهير ٣٩

لو عندنا ذهب بلدنا ، لا كما جادوا عليها منه وفضولا

والمثل العامي المشهور يبكي مدعوف لبست مضمون في قوله :

قم يا الخ الوادي وإرشدة تبيكي ولكن تجهل مقتولا

ومن معانيه العامة ما جاء في عجز البيت :

يا أيها الشعب سر نحو الحياة وخص نحر الدماء فليس العمر مضمونا

فكلنا يعلم هذه حقيقة . حقيقة كون العمر ليس مضمونا . وهي قد يتداوله الناس خصوصا عندهم في أحاديثهم . وهي في هذا البيت ذات لا تناسب ما سبقها من معنى كبير . ونشعر يدعوا لتورة . ويخص الشعب على القتال وفيه الحياة . وبعبارة أخرى يقول نسس قاتلو في سبيل وطنكم تعيشو فيه عيشا كريما هنيئا . والحياة في نظر جهاد وقتال من جن البلاد . ولو كنتم لاوفي لا انه راد " فليس العمر مضمون " فأستاد يبدو للقراريء به يريد منهم ان يجهدوا لان " العمر ليس مضمون " . ويبدو ايضا انه يدعهم أو يحضهم على مكاسب عجيبة . ولو قل لهم ان الموت آت وخير للإنسان ان يموت محمدا لكن أحسن الا انه لجأ إلى هذا المعنى العامي المعروف وحتم به دعوته نصدا .

هناك بعض الانداز العامة . وهي وان كانت قبيحة جدا الا انه نرى الإشارة إليها . وكلمة عديل بمعنى مستقيم أو غير معوج شائعة في العامة اسودنية وقد جاءت في البيت :

اسد حياض من يرد ترويضها يرسم هاسن الكفح عديلا (١)

نوران لشاعر وقوفيه في حملتها سليمة . غير انه التجأ إلى ضرورة في قبة من ايته (وقد اشرنا إلى شيء من ذلك مع الاخطاء النحوية) . مثل ذلك قوله :

خيرونا بما رسمت لتستجلي طريقا سلكتموه فرادي (٢)

حيث حذف علامة النصب الفتحة — من آخر لمعل (تستجلي) ليستقيم اورن وفي قوله :

١ - هتاف الجماهير

٢ - هتاف الجماهير

ووضع في تحية المتخرجين بحدود في عام ١٩٢٩ قصيدة ضوئية تختار منها : (١)

سوداننا خلف الشرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن الملقى انا	رسل المني قد جربت وثباتها
فأهنا بأبناء طفست بقلوبهم	وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت في الرأس منهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها
يا فتية قامت لهم بحقوقهم	اوطانهم وسرت لهم دعواتها
صونوا لها عزم الفتوة والقوى	لتزول من صحف الوجود شكاتها
اهلا بصف من جنود عبثت	وتعانقت من قوتها راياتها
قد نصرت في مقرن اميلين اضان	المياه تلاطمت موحاشها
فنعلمت منها الكفاح واقبلت	تعدو وفادت بالجهاد دعائها
لا تتثنى حتى نجاب لامة	عربية عصرية طلبياتها

وفي قصيدته « لماذا التردد » دعا امته لحمل السلاح ، قال :

يا امة آمنت بالذل فاستلمت	نعل العدو وطافت حوله طوفا (٢)
يا امة سدرت في اللهو وارثفت	خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا
يا امة نبذ القرآن اكثرها	جهلا وبغيا وعادوا هديه سخفا
أطلبون نجاحا في الحياة ولم	تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا
لا نجح ان لم تسل مهجات انفسكم	فتغسل الظالم والارهاق والعسفا
كفى فقد صار قلبي لا يحبك	وصار لي وطنى السودان كلمنى

وقال في تحية « احمد حسين » عندما اعترم زيارة السودان :

شعلة انت من وراء الغيوب	رفع الله ضوؤها للشعوب (٣)
فهى في مصر والشقيقات من جا	رائها قبلة لكل القلوب
.....
انت رغم الجميع قائدها الاعلى	فخض واثقا غمار الخطوب
ان ترى غير ثورة واكتساح	في شمال البلاد او في الجنوب

١ الشاطيء الصخرى ٤٥

٢ الشاطيء الصخرى ٥٧

٣ - الشاطيء الصخرى ٢٢٦

وان هددت بالاعدام شتقا

وان علقت بالخل المتين

ستفهم ما آخاؤن حين ابدو
وتفهم ما اردد يوم اسطو
وانشدكم مقال اخي تميم
« أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

واشعل غارة الحرب الزبون
واضرب في الشمال وفي اليمين
اخى الامثال والشعر الرصين
متى اضع العمامة تعرفوني »

وقال من قصيدة عنوانها « ما أخافه » :

اني اخاف صحابتي
لا يستمر جهادى
مستقبل الوادى به

اني اذا ما مسّت أن(١)
ذلك الجهد المرهق
وخلاص ابناء الوطن

ورسم المستقبل بالآيات الآتية :

وتهب نبنى للبلاد حضارة
ونعيس برقل في هذا شمل
ضعت موحدا بضلع مة
فيكون موصلا خزان لاهة

غابت عن الاعجام والقدماء
فى ظل ملك واسع الأرجاء
بحرية عزت على الاعداء
ويتم بين مواطنى هتائي

وهذاك تظهر عبر
دفنت على عهد طار
قوة هم الطاعون من
دخلوا البلاد مع الحطب

يات لكل فتى قمز
غيت المحركة الفتن
والاهم يوما طعن
لله والمدة فى قرن

وقال عن الحكم الاجنبى فى السودان من قصيدة عنوانها « قسم عظيم » :

لا صلح حتى تستقل بلادنا
وتجوس خيل الله وسط بلادهم
فتدينهم وتداول منهم دولة
ما كان فيهم مصلحون فلعنة

ونزيع عنها ضغطة الكابوس
وتدوسهم بعمرهم وخميس
خداعة اربت على ابليس
تسرى على الرؤساء والمرؤوس

اما « مطلبه السياسى » فقد أعلنه فى قوله :

امل يرف ومطلب منشود	تحقيقه بثبات معقود
ان يستقل النيل دون تحفظ	وتفك اغلاله وقبوسود
ويعود للسودان عهد مشرق	وتعود مصر لاهله ويعودوا
فيرف فى الوادى لواء واحد	يسع العناصر ظله الممدود
ونسير فى التاريخ شعبا واحدا	يمشى على هام الورى ويسود
كيف التفرق والروابط جمة	الضاد والارحام والتوحيد

وخاصب الملك فاروق فى احدى قصائده قائلا :

يا ملك السودان سودن مصر	ليس بدعما قلت من شردات (١)
ذاك قطر متمم ارض مصر	وهو من مصر من جميع الجهات
كذبت كل دعوة غير هذى	ووشيكاً تموت عوى الطفاة
ونراه على الضفاين شعبا	واحدا سائرا يهذى الثقة

نلمس فى هذه الامداد اننى قد منا العديد من المعنى القوية . بل انه ليتمكن
اتقون بأن معاني هذا الشعر فى حملتها اتسمت بقوة ظاهرة ولعل منشأ هذه القوة
ما كان يعلى بين جسمى الشاعر من شخص على ابريطانيين مع ما تردد فى خاطره
من افكار ورغبات محورها الوطن والمواطنون من امثلة قوة المعنى عند الشاعر
حسين منصور قوله :

سوداننا خلف الشرى انظر غدا	عن اى شعب تنجلي غمراتها
يا ايها الوطن المفلدى اننا	رسل المنى قد جربت وثباتها
فاهناً بابناء طغست بقلوبهم	وطنية لا تنطفى ثوراتها
وتسورت فى الراس منهم نخوة	عربية لم تنقطع سوراتها

إلى آخر هذه الأبيات التى اوردناها ضمن النماذج ، وفى كل بيت منها نجد
ما يشعر بالقوة فحلف الشرى توحى دلاهاوال والمخاوف التى تنتظر من يريد
السودن شراً . وتدلى على معناته . ثم انخلاء العمرت يستنزم دفع وانفراجا وهذان

يحتاجان إلى ضيقة . ما أثبت الثاني فيه رسالتي المحررة الوشيت وارسول
مكلف بادء مهمة معينة فهو مدفوع بقوة معينة هي قوة الالتزام والايمن بمهمته .
والتي تكتنفها دوافع معنوية تقيمها في النفس وتحضرها لتلويغها . وفوق ذلك فلهذه
الشي وثبات ولا بد من شد اعضاء معينة في الجسم ثم اطلاقها لنتم لوتة او حدة
قد كر أكثر من واحدة احتاج الامر إلى جهد بدني أكثر ولا يكون الجهد البدني
لا بشيء من لومة قليلا كان أو كثيرا . مثل هذا يقال في البيت المالية . فقوله
طغت تقويهم وطنية يصور الثوران والغمر والاستيلاء وقوله لا تمطىء
ثوراتها يصور الاشتعال والنهب المتأجج والدخان المتصاعد . ومهما يكن من شيء
فإن هذه البيت تزجر بالتعبير عن الدفع والشد والمقدرة الفتاكة . ويدرن تخالو
قصيدة من شعره خصوص الوطني واسياسي من مثل هذا التعبير لذلك انتشرت
لمعاني القوية في شعره احياء نجد شيئا من معاني الشعر لتقديم وبعض الناصه
لا سيما الندوى منها في بعض قصائد الشاعر الواردة في ديوان الشاطئ الصخري
وهاهي ذى بعض امثلة على ما نقول :

ولا قوة عندي لا مع ما أرى	وارفع دون الحق سيفا مجرد (١)
سوى نور عند العدو قلائل	وكنهم ان قبلوا الموت عردا
وما كبرة الانصار يوما بدفع	اذا حرموا قلبا من اصخر حلمد

ومن الامثلة ايضا قوله :

وكيف تطيق العرب هذا وعيهم	حماض هرير يدرع الغب زائرا (٢)
كني وتحرك واكشف اليوم غمة	ببيض يوم اروع يبرز سافرا
فما المحم احزاب وهذر صحافة	بل للمحم ن ترقى بلحمهم نائرا

وقوله :

م احدى إلى الخلاص سبيلا	من اناس هم بن تيس وكنب (٣)
فعلى اثابت مع الكلب نسل	وحرام ما نيش في ظهر غيب

١ - الشاطئ الصخري

٢ - الشاطئ الصخري ٢٣

٣ - الشاطئ الصخري ٣٥

وقوله :

والصطفين نالهم فكانهم وكأنه عندي نيب تيوس^(١)

ان لم اضارب كل عالج فاجر ونف كرد وسا على كردوس
ويرى الاعادى عصبة عربية م بين هماس وبن هموس

وكذلك قوله :

وترمين بى الاخطار اعزل لم اخم عن القوم فى بردى عنرة العيسى
وما ذاك أمر دائم بل مؤقت وما الاعزل العادى بمؤمن الفرس
فسوف يروني غازيا بينصادق تجول على اكتاف شيعتى الشكس
وقوله عن احد اصدقائه وقد توفي :

وابراهيم مطبوع فاخلق به ان يزحم البزل القروما

خذوا ديوانه وتصفحوه تروا ودق ورزاما هزما

وقد اخرج الشاعر جميع معانيه القوية هذى فى عبارة واضحة قوية وأسلوب رصين
يخدب القارئ فيبقي مع الشاعر فى قصائده يتابع احساسه وخلجات نفسه وفى
احايين قليلة يلجأ إلى تعابير ضعيفة كقوله :

تظنون نوحا فى الحيدة ولم تستسهلوا الصعب أو تستعملوا العنفا^(٢)
لان « تستعملوا العنفا » مترجم عن الانجليزية ، وليس عربيا اصيلا . ان مما اعان
الشاعر على اخراج معانيه تلك الصورة تشبيهاته الكثيرة الدقيقة . ومعظمها من
نوع السليع وهى دى مجموعة منها نأتى بها كمثلة :

ونعيش نرقل فى هناء شامل فى ظل ملك واسع الارزاء
فيكون موطننا الجنان لاهله ويتم بين مواطنى هنائي

قوم هم الضاعون من والاهم يوما طعس

١ - الشاطىء الصخرى ٤١

٢ - الشاطىء الصخرى ٧٩

.....

رسل المني قد جريت وثباتها

.....

حمر افساد وعطت كسها صرف

وصار لي وصني السودان كمنقني

.....

رفع الله ضؤها لشعوب

.....

لا حططها فقد فقدت احماض

وسس السس اعلاخ غلام

.....

ان حققت مني وعمه خباء

.....

كأن جدارها حال القلب

نجوما في المحافل والخطوب

.....

واجاهد الاشواق ي جهاد

.....

سيوف الحق للعادي تسل

.....

يا أيها الوطن المقيدي اما

.....

يا امة سدرت في انهو وارثفت

كفي فقد صار قلبي لا يحبكم

.....

شعلة انت من وراء العيوب

.....

سأقذف في حياض الموت نفسي

ولذا اعيش في طل المويني

.....

هو حتى وهو العجم مضاعفا

.....

فاعماق السجون له مقرر

لتعرف فتية بلامس كانوا

.....

لا ثور ثورة ضيغم مستبسل

.....

كان الشعر من فمهم غصان

كذلك تيسر للشاعر عدد من الاستعارات الجيدة وكثرت فيها لتصريحية وها هي
ذى نماذج منها :

مستهدف في زاخر الحصى

ملح اجاج طائر النفسى

الا نصف صاحب الدوى

.....

وهي آثره ندا شوص

قضيتها في شاطئ صخرى

يرمى بالاف من الآذى

لا ينتهى صف من الاتي

.....

وآب الدين يأرز مستحيرا

.....
ونعلى ماء يعربيا تقاصر	وهو موا إلى الافرح نرفع نيرهم
.....
ويأبى ان يقيق مع المقيق	ويرسف فى قيود الذل خوفا
يخف معيشة شعب لضيق	ولكن ابكه وابك لشعب
.....
واحتفظ سلا رأيي ودينى	فترك للكلاب دم وخم
.....
لربيع انى نقي شـمتا بى	يا سماء الحريف لا تتركبى
باسملى بنوره لا يحى	لايس سدسيه يتهدى
.....
واورش لعد خسى تصعب	وهل ان مثلكم حسى مهنا
.....
وتخشى عند وخزتها انصداعا	تخاف يرعى دول كسر
وتكشف عن سياستها القناعا	تفاجئها وتصفعها دراكا
فتلتقف الدسائس والحداعا	والتمهيا على انقرطاس تسعى
.....
اني لها فى يقظتى وسهادى	فوحقها ر لم تكن لى متلما
واجاهد الاشواق اى جهاد	لأثور ثورة ضيغم مستبسل
غربا واسلك بعد نهج رشاد	حتى يقر الذل شرق والهموى
.....
اسود خلفها شعب ابل	اذا ضغط الاعدادى ثار منهم
تكاد لما عروشم تـلل	فتزأ زاره يدوى صداها
.....
.....
ترو ودقا ورزف هزيمـا	خذوا ديوانه وتصمحوه

ويرسدها على الاعداء رجوم . يصيب بين شيطاناً رحيم

وسواك يخضب وده . ويعيش يضحك بالصحاب

سلمت للشاعر حسين منصور اوزانه وقوافيه ، ولم نقف له على خطأ نحوى او صرفى أو عروضى الا القليل النادر الذى لا يستحق التسجيل . فمن احتلال اوزن قوله :

غير السيات والاستكانة للعدا فمتى تهب وتستكين عداتها(١)

أما صورة فمفرده . الا انه يأتي بها فى بعض الاحيد متتابعة فتكون مثل الشريط السينمائي . ومن ذلك هذه الأبيات وهى من قصيدته « يوم مضى » .

عليه من الشتاء جناح تلج	يرفرف فوق اطياف الضياء
ضالمتنا الشمس فيه وراء سحب	تقلع قرب ابواب السماء
كأن رؤوسها مترفعات	رؤوس العرب ترفع فى اباء
كأن رعوها متتابعات	دوى مدافع فى الارض ناء
كأن بروقها متقابات	ظبى امم تنازع للبقاء

ومنه ايضا قوله فى القصيدة « القلب الطريد » :

يستطير الذكاء منه شعاعا	ساكبا ضوءه على اقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى	شرطى العفاف فى انسواره
ويفيض الحنان نهرا دفوقا	يجرف العاذلين فى تيساره

وفى القصيدة نفسها جاء قوله :

طال تسياره وآب ولم يحظ	بغير الكلال فى تيساره
فأبى بعدها القلوب مقبلا	واستعاض البيوت من اشعاره
يشتكى دهره ويولع فيها	من سعير الغرام ألسن ناره
كاحلا بالدماء من مهجة القلب	عيون القصيد فى اسطاره

ومن صورته المفردة المتتابعة قوله فى قصيدته « لماذا تردد » :

يا أداة آمنت بئذ فاستمت
يا أمة سدرت في النهور وارتشمت
نعل العدو وضحت حوله صرى
حمر الفساد وعاطت كسها صرفا

ووضع لصور هكذا مفردة متتابعة يدل على خيال مقتدر مناز به الشاعر وهو ان
لم يكن خلافاً نعني هذا الخيال المقتدر لانه في الالعاب لاعب عترف من بعض
القدماء فقد اعان الشعراء على التعبير عن خطرات نفسه و فكره ويسر لنا تفهمه
ومشاركته الشعور في كثير من الحالات والمواقف .

ان حسين منصور شعرت تأثر ظهرت ثورته هي كثير من قصائده وهي معظم
الآيات التي عرضناها في النماذج . وهو في ثورته يميل إلى العنف اذ يدعو دعوة
وضحة قوية لتنت في عدد من قصائده . ومن القصائد التي تظهر فيها الدعوة
بعنفها ووضوحها دموية مججلة قوله :

فاين صواهل جرد(١)

واين شبابنا المرد

لنسمع سيهمهم يشدو

واين قواضب الهند

واين قتاييل الاليدى

اين بنادق تصمى

هناك مدافع الحرب

تضاعف نشوة القلب

وتركنى بلا عقل

يصرب لشعر لنعلن هذه الأسلحة اننى يسأل عنها في رغبة ملحة وشوق حارق
ويبتشى لما تفعله نشوة تذهب بعقده . هذا عنف لشاعر هذا هي مواجهة خصومه
ومعارضيه اذ كان يصليهم حمم من هجائه ويوصل به حيانا إلى درجة الاقتناع .
ولنا ان نتساءل عن اسر في هذا العنف أكان الشاعر يعتقد انه وسيلة لتحقيق
رسائله التي اعلنها في بعض شعره حيث قال عن نفسه :

مجن دون موطنه اديب رسالته التجدد والوثوب (١)
فيغزوه بفن عبقرى ويمنعه اذا نشبت حروب

نعم يعتقد الشاعر الانجاح الا عن طريق العنف وقد واجه موطنه باعتقاده هذا
فى أسلوب يجمع بين التقرير والتشجيع قائلا :

أتطلبون نجاحا فى الحياة ولم تسهلوا الصعب او تستعملوا العنف (٢)
لا نجاح ان لم تسل مهجات انفسكم فتغسل انظلم ولا رهاق والعسفا

يريد الشاعر ان يحقق التحدد لاهى نفسه واما فى المجتمع الذى يعيش فيه اذ لم يكن
راضيا عنه بل كان ساخطا متبرما والبلاد فى قبضة حاكم أجبن سيطر عليها وفرق
كلمة بينها . صور الشاعر هذه الحالة فى أكثر من قصيدة ، واما قوله فى هذا المعنى
ايات منها قوله :

ولد العيش فى ظل الحوينى وساس الناس اعلاج غلاض

ومنه قوله :

ولكن بكه وابك لشعب يعاف معيشة الشعب الطليق
ويرسف فى قيود الدل خوفا ويأبى ان يفيق مع المنيق

لا يرضى الشاعر لبنى وطنه ما هم فيه فهو يراهم يعيشون مستعبدين فى بلادهم .
الاحببى يستدفعهم . فهو يصرف امورهم ولا يستشيرهم . ويتصرف فى خيرات
بلادهم لينفع قومه وبلده . اما اصحاب الحق فلا ينقون من تلك الخيرات الا النذر
اليسير . وينقون الكبت والعسف والبطش اذا رفعوا عقبرتهم بالشكوى أو طالبوا
بالجلاء . انذرك سكتوا خائفين . وامتنعوا عن الاحجاج أو الشكوى فضلا عن
المقاومة . وهذا قال الشاعر عن شعب السودان فى ذلك الزمان : « ويأبى ان يفيق مع
المنيق »

وصف الشاعر التأثير حياهه واسلوبه فى النضال وصفا منفصلا ذين ملاقاه من
صعب وما تعرض له من هجمات قوية متصلة لم تلن قناته لها . بن وقف يدافع

١ - الشاطىء الصخرى ٤

٢ - الشاطىء الصخرى ٥٧

ويهاجم غير هيب ولا وجل ، وثبت راضيا معتدا مؤثرا مواجهة اصعب .
مقرعا ترة ومقرعا أخرى ، فذاك في رأيه شبه به ودعى لبلوغه مآربه في
تحتدوا وتوب أدرك كل ذلك في قوله وهي البيت التي تحمل اسم الديوان :

قضيتها في وقعة الأبي ثبت الوقوف نافذ المصى (١)

سنين شر لم تنح لحي

قصيتها في شاطئ صحرى مستهدف في راخر لحي

يرمى بالاف من لاذى ملح اجاج طائر النفي

لايتها صف من الاتى الا بصف صخب الدوى

يثن في انهزامه الوحى

رضيته في سنى الفتى عن خوض من عيشى المنى

مستشف في جسوه النقى هواءه بالنقى الحمى

يكفى الهواء طيب الموى وشاطئ تمشيه كالوحي

للتائر المستبسل التزى

رضيته لعر والحرى بصاحب الرسالة النهى

مقرنا بالواضح الجلى مقرعا لقلبوع الحلى

محارب في شرعة النبى اعداءها وكل اجنبى

وفي آخر بيتين من هذه المقموعة وصف شعره فخر بقوته مبينا سبب ما يبدو فيه
من خشونة تظهر احيانا في الانفاض والمعاني البدوية ، كما تطل من وقت لآخر في
دعوته للعنف وقسوته على خصومه أو في شكواه الأليمة من بى وطنه قل :

فان تروا في شعري اقوى خشونة او نقشة السجى

فانه في شاطئ الصخرى فرع الصفى ثم بالصفى

قضى الشاعر سنوات من حياته عاشها كواقف في شاطئ صخرى يصيبه ما يصيب
ذلك الواقف ، ويتعرض لما يتعرض له . ولا بد له والحال كما ذكرنا من سلاح
قوى يرد به الهجمات . ويكره على اعدائه . اذ لك جاء شعره بتلك الصفات التي
ذكرها ومهم يكن من شيء فان الشاعر وقف حياته هذى على الشعب :

مقدرة خلاقة تستخلص من هذه الأركان الثلاثة - الحاضر - المستقبل - الماضي صور وتبعث فيها الحياة، ثم تربطها ببعض شكلا ومضمونا لتكون شريفا نطقا معبرا. ان ذلك اشعر لم يكن كذلك، انه في الغالب الاعم خطب سياسية منظومة في أسلوب تزينة البساطة والوضوح وقد وفق الشعراء في ذلك اذ جاور فيه دوق عمدة لباس ومستواهم. وهو على كل حال مساهمة محدودة في الجهد الوطني والكفاح السياسي. فقد كان له دور كبير في تسييه المواطنين واتارة حماسهم. انه ايضا اضافة قيمة إلى الأدب السوداني الحديث العصري. فيها تسعت اغراضه وصار مجال دراسته ومجال لدراسات السودانية عمدة ارحب. ويهده الاضافة خطأ الشعر السوداني التصحيح خطوات نحو سلامة المبنى وجودة المعنى.

✧ الاتجاه الاستقلالي :

في حديثنا عن الاتجاه الاتحادي تناولنا انتاج ثلاثة شعراء : هم : عبد الله عبد الرحمن وحسن طه ثم حسين منصور. وشعراء هذا الاتجاه أكثر من ذلك. نذكر منهم المرحوم السيد محمود انيس والسيد أحمد سنجر. وقد نشرت الصحف ابان احتدام المعركة السياسية العديد من قصائدهما طويلا وقصيرا، الا اننا لم نوفق في الحصول على بعض نسخ من تلك الصحف. ولم يصدر لاي منهما ديون مطبوع لذا رأينا ان نكتفي بما تيسر لنا وهو شعر اولئك الثلاثة. اما الاتجاه الاستقلالي فلم نقف له على شعر فصيح كثير. وكل ما امكنا الحصول عليه هو بعض قصائد في ديوان اشاعر يوسف مصطفى (١) التني الذي يضم كتابيه : «الصدى الاول و السراثر». وليس في وسعنا الجزء بأن هذه القصائد هي كل ما نظم في تأييد الاتجاه الاستقلالي والدعوة له. فقد كان للحزب الاستقلالية صحافتها وكتابها وفيهم ادباء وشعراء مرموقون معروفون الا اننا لم نجد نسخا من الصحف الاستقلالية في مضافها. ولم نجد. كذلك في دواوين الشعراء الاستقلاليين المعروفين المرموقين التي اخرجتها المطابع. شيئا من شعرهم يدعون فيه للاتجاه الاستقلالي ويؤيدونه به الا ديوان التني ففيه شعر يرفض به الشاعر الارتباط بمصر ويفضل لبلده الاستقلال، كما فيه شعر الوضعية الملتزمة. وها نحن اولاء نعرض نماذج تختارها من بعض

قصائده الواردة في ديوانه (١) ، قل في قصيدته : ثورة شاعر ، يعنى على مواطنيه
قعودهم عن العمل الوطنى :

فشلت امة ينام بنوها
هم بالجاه والثراء كبير
قع الشعب بالكفاف ركود
لاطماع إلى العلاء اكيد
امة خسيم الجسود عليها
وقال في أخرى بأسى لما اصاب وطنه .

وطنى شقيت شبيه وشبابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية
وطنى تنازعه التحزب والحوى
هذا يكيد له وذاك طغى به

لم يعجب الشاعر حال بلاد الشرق عمه وهى وطنه الاكثر فقال فى قصيدة عنوانها
« الشرق جنة الله » :

وفجر الله فيها كل دافقة
فشرق البيت فى بطحاء مكتبها
وابغ الدهر عيساها واحمداها
منارة الحق من فرقانها سور
بها من الأثم والعدوان تطهير
كما تدلأ فى اقداسها المظور
رسالة الله فنجات دياجير
ومن فلاسفة الاسلام تمكير

أما الاتجاه الاستقلالى فقد ظهر واضحا فى ابیات من قصيدة نظمها ههنة نصديق
بمنصب الوزارة ، وها هى ذى الايات :

وما كان عرفانه نصنيع
فان هب قوم يعينونها
فلس يراؤهمو ان تتول
لننسيه امته لعانيه (٤)
لارجاع حرية غالية
إلى من اعان على الطاغية

التنى ، دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٥
التنى ٢٧ . فى الديوان « يوم بنوها » ، ولعله من خطأ الطبع .

فما عتق العبدان صار عبدا لكف مدللة حائية

ن أول ما يلاحظه الناظر في شعر لبي الوردي في هذا الديوان هو قوة القصائد السياسية ، ففيه واحدة ، وهي التي جئنا منها نالاييت السابقة - يرفض بها لأرتباطها بمصر - وفي الديوان قصائد عظمى ووطنية ، وفيه قصائد أخرى ، أما الوطنية - وقد اخترنا نماذج منها في ما تقدم - ففيها سورة المنقذة إذ لم يكن الشاعر راضيا عن واقع حياته في بلاده ، وفيها السخط المذموم لأن بي وطنه تفرقوا احزابا وشيعا وغفلوا عن بلادهم وما تحتاجه في حاضرها ومستقبلها ، لم يوجه الشاعر في من هذه القصائد الوطنية أي قدر من ثورته أو سخطه إلى البريطانيين بوصفهم حكاما اجنبيين ، ولم يتعرض كذلك لسياساتهم في البلاد من قريب أو بعيد لأنه ذكر « العدو » الذي يعيث بوحه ولم يبين من هو العدو ولم يوضح كيف يعيث ذلك العدو ، جاء هذا في قوله :

وطي يعيث به العدو ولا ترى من دفع عن حوضه ورحابه (١)

كما أعين في نفس تفصيلا خوفه على بلاده من لدلاء ولم يدس لنا من هم هؤلاء الدلاء أهم الحكام أم هم الاحباب الآخرون الذين ربطتهم بالسودان منفعة خاصة وجاء اعلانه هذا في قوله :

أو ظهر السودان من دخلائه لتظهر لسودان من اوشابه
لم طمى على السود من دخلائه خفي على السودن من حزابه

لم يحول الشاعر في قصائده تلك ان يثير مشاعر مواطنيه بتصوير مسوئى الاجنبي وتأليبهم عليه ، كما انه لم يدعهم للتورط ولم يرين لهم الخربة والاستقلال ، اننا لاحظنا ان شعراء من الذين انضموا في الوطنية والسياسة محدوا ماضى العروبة والإسلام ونسودان فيه نصيب ، مريدون بهذا التمجيد الحباب الحماس الوطني ، كما لاحظنا ان نفرا من اولئك الشعراء استغلوا بعض الاحداث الوطنية المعية لتوفير المواطنين واشعل جذوة حماس في نفوسهم غير ان اشاعر التي لم يكونوا من هذا انما خال إلى تفرغ مواطنيه واظهار لئاس منهم ومن جهودهم ضنا من هذا اجدى وافعل في اثاره الحمية من سواه .

ليس في معاني الشاعر التي جاءت في قصائده توصية وتبسية ، يبرر أو يدعو إلى الوقوف والتأمل ، والتحليل فيها وتر . يبدو أن رأس الشاعر كبح جماع خياله ولم يعنه على الانطلاق . ما القصائد الأخرى ففيها من المعاني ما يحل القارئ حملا على التوقف عندها يتحقق منها ، ويتصورها ، ومن مثله ذنب قصيدته «عبوس» التي قال فيها : (١)

أعبسي لي . فني العبوس انسام
واذفعي . فني الصدود اقتراب
بجمال مروع البسمات
من معاني جمالك الاشتات
ايه وادعي عليّ دون جنان
فدعاء عليّ منك يواقي

يتخلف الشاعر ههنا الشعراء العشاق الموكلين بجمال ولادباء لمقننين بخس ولأخوذيين بروعة ما أبدع الله وه . اودع في بعض خنقه . كل منهم يطلب الوصول وكلهم يتحرقون شوقا لبسمة من ثغر الخبيب الجميل ، لكن التي يريد العبوس ويرغب فيه رغبة مسبه . يريده لأن فيه ابتسام يكشف عن ممتلئ من أنواع أخرى في ذاك الجميل . وهو يطلب الصدود ويعمل ضبه بأن صدها يقربه من معاني جمالها اذ هي المعاني البعيدة لسمية التي يتعلق بها عشاق الجمال المعنوي ويسعون للاقتراب منها . وكما صدفته هذه الحسنة ازداد تعلقه بتلك المعاني وشغل بها وملكته عليه اقطار نفسه فتدو له والحالة هكذا ، قريبة دانية . يقول لشاعر في نفس تقصيدة :

مرحبا بالعبوس فهو ضياء
مرحبا بالدعا تشابه فيه
قد جلا لي محسن التسمات
انه العود رنة الكلمات
نا اعطى نكي اذل كنسير
واصمى من لاسي فرحائي

مرة أخرى ينتهج الشاعر لعبوس لأنه يجلو التسمات فيكشف امام عينيه نور الملائحة وبهاء الحسن وروعة العظمة في غضب الجمال أو جمال الغضب . ثم يرحب بدعائها عليه لأن كلماتها التي تدعو بها عليه ترون رنيناً يقع في سمعيه موقع انات اوتار العود — ان عبارات صوتها انغام فهو يطرب لها وينتد بسماعها ، وان اعلى له عن السخط وانذرته بالسر — لم يطلب الشاعر كل هذا ويبح في الطاب ؟ لقد اجاب في البيت الثالث :

انا اعطى لكى اثال كثيرا واصفى من الاسى فرحاني

يقف القارىء متأملا ايضا عند قصيدة الشاعر « فكرة فى الحب »^(١) ففيها يقول :

يخدو المحب إلى العلياء فتسه	فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى
اذا اصبت رضا حبي ون نزلت	في الخطوب تجدني ناعم البال
واى خطب تحس النفس صدمته	والنفس تمرح فى ظل الرضا الوالى
غدا سيدفعني حبي نشوته	غدا سينصرني حبي واعمالى

هنا يجعل الشاعر الحب حافظا لعظام الأمور وجلال الاعمال . وقد يوافقه فى هذا كثيرون . لكنه جنح إلى المبالغة فنمى النجاح عن كل من خلا قلبه من حب . وذلك فى سؤاله فكيف ينجح فى الدنيا فتى خالى ؟ « ن الحب لن يكون الحافظ الوحيد . ولنا دليل نأخذ من البيت الأخير الذى يضيف فيها عاملا آخر من عوامل النصر و الانتصار أو النجاح . وهذا العامل هو « الاعمال » .

هنالك قصيدة أخرى تستوقف القارىء فهي تهويمية صوفية . كما انها وحيدة . فيها يبحث الشاعر عن « المثل الاعلى » . ويعترف بأنه سخط . وأن سخطه اذا كفر لان المثل الاعلى الذى ظل يبحث عنه ويتمناه بوصفه فتى حرا هو الله . فكيف يضيق بالحياة ويسخط وفى الحياة مجال البحث عن المثل الاعلى وسبله ؟ فى ختم القصيدة يسأل الله ان يعفو عنه ويغفر له كفره هذا الذى اعترف به ، وهاهى ذى بعض ابيات منها :

وعدت اهِم بالارواح	فى عِلنى وفى سرى ^(٢)
أليس المثل الاعلى	منى نفس الفتى الحر
كفاني طيفه الذهبى	فى احلامنا يسرى
كفاني الظمأ الروحى	احسوه على الاثر

هذه نماذج من المعاني التى ضمنها التنى قصده غير الوضعية وغير السياسية . وهو فى هذه القصائد وفى أخرى سواها يسلك سبيل أشعراء الرومنسيين ، وخياله خيالهم . فهو يغرق فى عمله العاطفى مستغلا كل مواد الرومنسية المعروفة فيه

١ - ديوان التنى ١٧

٢ - ديوان التنى ١٩

من الطيف الذهبى وشتى أنواع لاطيف . واتتمر لفضى والضياء والظلال والغمم
والضبيب والنسيم والورود والانغام وغيرها من عناصر الطبيعة البية الرقيقة الحلة» (١)
الا ان هذه المواد لم تتح لشعر الننى صور . مركبة فجاءت مفردة ويظهر ذلك فى
تشبيهاته وأكثرها من التشبيه البليغ وها هى ذى امثلة منها .

حكمة انت ما ترشفت منها	رشفة لم تزد جموح ميولى
ان موتا لاجل ذاتك خلد	اوراء الخلود من مأمول
مرحبا بالدعا تشابه فيه	انة العود رنة الكلمات
.....
ذاك الملاك الذى بالامس قد	شخصت له العيون باكبر واحلال
.....
اعرف الانسان ذئبا	واعرف الشهوة جوعا
.....
غزلوا من الليل البهيم خيوطه	ومن الضحى نسجوا لنا المعان
فسها كما تسهو النواظر للرؤى	والخاطر المفجوع فى فئانه
.....
نشرت على بحر الحياة اشعة	فتبددت بث فى الحياة دجنتى
.....
منارة الحق فى فرقائها سور	ومن فلاسفة الاسلام تفكير
.....
اصبحت كالظلل التمديم جلاله	فى انه ذكرى جلال أول
.....
كيف اسلوك فاني طائر	ما عرفت الخلد الا فى ذراك
.....
شهدت لهم وقفات الاسو	د تنود عن الوطن العاديه
.....

مثلما قد انكروا من لونه سمره كالخال في خد حبيب

وتظهر صورته المفردة في استعداده ، وها هي بعض امثلة لها :

كيف اشفى بالله منك غليلي
حكمة انت ما ترشفت منها
او تمليت من سذك جديدا
لم يجب في المبهم المجهول

وتبدد اليأس المتقيد خاطري
كم ظهرت قبا سوى قلبي من
وتشربت روجي الضياء فما زرى
هذى الحياة سوى هوى ومسرة

رقص الشر يا حبيبي لما
وازدهى اليأس ما يشاء ونادى
ابصر الشر حالتي المنكودة
من قرار الجحيم نادى جنوده

امة خيم الجمود عليها
وعداها النهوض وانجسده

تدفق النور من شماء قبتها
وفجر الله فيها كل دافقة
فاشرق البيت في بطحاء مكتها
وابغ اندهر عيساها واحمدها

وطنى شقيت بشبيه وشبابه
قد اسلموك إلى الخراب ضحية
زمن سقالك السم من اكوابه
واليوم هل طربوا لصوت غرابه

فشربنا من افابيق الاوى
سكر روحه، وما احلى طلاك

ليهنك ان عشت حمى تراه
وقد قفض الحلة البالية

والبس عززته واستعاد مكانته الفذة السسامة

لا يكاد من يقرأ شعر النني يلمح اثرًا ظاهراً تقدمي الشعراء ويبدو انه تخلص من المدرسة القديمة واخذ يتأثر طرائق المدرسة الحديثة وهذا فانت واجد اثرها واضحا في ديوانه لاسيما اثر العقاد^(١) يبين هذا لاثري في بعض قصائده ذات الروح الفلسفية ومنها تلك التي سماها التوحيد :

عددت في دين الغرام مذاهبي من بعد ما عددت من اربابي
وكذلك قصيدته « عبوس » و « صلاة الفيلسوف » .

لم تسلم لغة الشاعر النني من امحاء . فكثيرا ما يخالف قواعد الصرف ويأتي بكلمات - افعالا واوصافا ومصادر - في اورد غير معروفة في اللغة السليمة الفصيحة ، وذلك مثل « افشال » في قوله :

ان الحبيب عزاء النفس لو فشلت فلن تلين لاختناق وافش
ومثل « المتهوم » وهي من العامة السودانية - في قوله :

قدر اذل من التراب وصاغه واحط من قدر لفتى منهوم
ومثل « اماسيه » وهي ايضا من العامة السودانية - في قوله .
على جبل من الوادي اغاديه اماسيه

و « يضوى » - وهي معروفة في العامة السودانية - في قوله :
يضوى على قسماتها نور الملاحه والفسادة
وكذلك « الفصادة » . ثم « المлада » في قوله :

فاتبت محكمة الضوامر والمشارف والمлада

ومن هذا ايضا ثميلة . وهي وزن غير معروف في هذه المدة - في قوله :
وتشت منك للعود على الايقاع اعطاف ثميلة

ثم « حذور » - وهي وزن لم تقف عليه في هذه المدة - في قوله :
رأيت بعيني الفخاخ معدة لحسك فحذر والكريم حذور

١ - ديوان النني المقدمة ٩ . م . أ . محجوب

ومنه استعمال الفعل الماضي « اعاب » في قوله :

وانت مساك حجتك اذا ما اعابوه بفقر في الرجـال

وم نسمع هـذا الوزن من قبل في مدّة « عاب » . اما المحو فاحضاًؤه فيه قليلة نذكر منها البيت :

لكي تلقين ما التقي وكى تجدين ما اجده

وفيه اثبات فون الرفع في المعلن تلقين و تجدين « رغم عن سبق كليهما بد كى » وحققنا ان تحذف علامة على النصب بن المضمره بعده والمعل « اجد » ياتي مرفوعاً في هذا البيت بضمة على آخر الدال وهى اى لدال في لايات قبله تأتي مفتوحة لان وضع الكلمة يقتضى النصب وهى نحن اولاء نوردت لايات :

هو الحب فلا ترضى لقيده ان يقيده

وان طاف بجنته دخيل فابترى يده

عبرنا امسه عطرا نديا فاطلعي غده

لكي تلقين ما التقي وكى تجدين ما اجده

ان اختلاف الحركة هما حركة لدال - يعنى عيب في القافية ، ومن عيوب القافية في شعره قوله في هذا البيت :

وبى حرمة محروم وبى حيرة مشدوه

وهو من قصيدته التى يقول فيها :

أهذا وجهك الوضاح فى حلو تجليه

وهذا طرفك اللماح فى سحر مآقيه

فى هذه القصيدة نفسها بخا الشاعر إلى ضرورة فسكن ما يجب فتحه لموقعه فى الاعراب وهو الياء فى « مراسيه » فى قوله :

لقد خف بنا البين وقد التقي مراسيه

وفى البيت لآتي اصطار الشاعر تسكين آخر المتعول المطلق تراءى من اجل الوزن :

ثم ينأى عن العيون بعيدا يترأى لنا تراءى الآل
ومن الضرورة قوله :

اقفرت بعدك والله الليالى يا ابا سامى يا زين الرجال
حيث اظهر الكسرة — علامة الجر — فى « سامى »
واضطر الشاعر فى هذا البيت :

قوم تحلوا الدهر ان يبدى لهم عيبا فعاد بذلة المهزوم
الى ضم اندل فى تحذوا . وحققها افتح مع تسكين او او لان لنعمل معش بالانف
— فعل اشاعر ذلك ليستقيم وزن البيت . لم نحل قصائد كثيرات فى ديوان لىنى
من اختلال الوزن فى بعض ابياتها ، مثل :

الى عفوك السابغ كاد يضلنى فكرى
ولكم نصبتك انون جميعها ودعتك دثمل الرفيع الامثل
قيل قد سبحت انه النصارى قمت سبحت باسمها فى قصيدتى
فقد ابصرت كم قلوب كبار يفيض بعبك يسانها
هذه خمس دوراتك يا عيد هاهنا كلما درت ستلقاني كما تعهد قبلا
واذا راجع . قصيدته (رق الوظيفة) نجد خمسة ابيات مكسورة من بين بياتها
الثلاثين « (١) وهى :

وعليه فى كل ما يأتيه	او ما يقول همسا رقيب (٢)
انقل الفقر كاهلا منه با	رواح حياتها من شقائه
ان يخاطر بها يخاطر لا	حوبائه وحدها ولا ندمائه
فهو ما بين برها وامانيه	طول الحياة حيران تائه
.....

ينقضى لعمر وهو مدى العمر بحرب تعج بين المصروع
ها نحن اولاء قد عرضنا ونقدنا ما اخرجت لنا المطبعة من شعر لانا
الاستقلالى النصيح . انه قليل . قصيدة واحدة بل جزء من قصيدة . ولكنه يمثل

١ — الاتجاهات الشعرية فى السودان — النوى ٩٨

٢ — ديوان التنى ١٠٨

ذاك لاتجاه خير تمثيل . ففى هذا الجزء وعدته عشرون بيتا يقر الشاعر بصنيع مصر الذى يتجلى فى معاونتها لسودان على التخصيص من البريطانيين لكنه يرفض ان تتقاضى مصر أجراً على عونها . لانه من قبيل عون الاخ لاختيه . ولا يليق عرفاً و نسانية ان يأخذ الاخ اجراً على معاونته فخذ يرفض الشاعر الحرية ان جاءت شركة . ويمضى فى ما تبقى من أبيات يدحض حجة الارتباط بمصر متسائلاً تارة ومجيباً أخرى ثم مقررّاً ضارباً الامثلة فى عسرة سهلة واضحة صريحة لامدارة ولا مجاملة واخيراً وبعد تلك الحاجة والرهنة والامثلة يختم النثى قصيدته متألماً شاكياً فهو لا يرفض الارتباط بمصر فحسب ولكن الدعوة له والمطالبة به تؤلمانه الممضيا وهذا يتجلى فى قوله :

أنا خالداً ! تلك بعض الشجون وجئت انك اشجانيه (١)
فليس يداوى جراح القلوب سوى كفتك البرة الآسية

ان ابيات النثى تمثل كما قلنا الاتجاه الاستقلالى فى شعر . وليس من الانصاف تقويم اشعر الاستقلالى كله بقصيدة واحدة الا لما لم نجد غيرها فى دواوين الشعراء لمؤلفين للذين عرفوا باتجاههم لاستقلالى ووقوفهم مع احزانه . ومهما يكن من من شىء بقصيدة أو الايات قوية فى مدلولها الاستقلالى فهى ترفض رفضاً معللاً تؤيده الامثلة . وصاحبها ذو مكان مرموق فى المحيط السياسى الاستقلالى وعليه فلا مفر من احكام بها على شعر الاتجاه الاستقلالى كله . انما حاجة سياسية يرد بها الشاعر على دعة الارتباط بمصر بغية اضعاف موقفهم بين الجماهير واضهارهم بمظهر المفرط فى حقوق المواطنين وحرية نوط . ولهذا نراه يبرهن ويعمل ويمثل لكنه لا يغوص للمعاني فى شىء من ذلك بلرة . وفى اوقت ذاته لا يصور تأذى المواطنين المعنوى والحسى من دعوة الارتباط ومن تحقق تلك الدعوة تصويراً واضحاً مؤثراً بل اكتفى بالتقرير فجاءت ابيته كخطة سياسية بسيطة اللفظ والأسلوب لا كمنهج الاديب فيها متعة ذهنية لقد فأت على الشاعر ان يستعمل المستقبل فيذهب بخياله بعيداً يصور ما يكون عليه حال الوطن والمواطنين فى عهود حرية والاستقلال المقبلة . ويعتد فى خياله مقارنات بين الصور التى يرسمها بقلمه للسودان المستقل

والسودن المرتبط تنصر الا انه أثر المحاجة والمهيج على الصورة الفنية. ولعله يراعى بهذا الذوق العام ومستوى جمهرة الامة السودانية .

لاحظنا ان الشاعر التني تجنب - في هذه لايات وفي قصائده الوطنية - الاشادة بمدى العروبة والاسلام - بل انه انكر ذلك في احدى قصائده حيث قل :
لا قديم من المحامد يوحى لا جليل من النخار جديد(١)

وليس في وسع احد ان يجزم بأن الشاعر انكر هذا الماضي لانه احد اركان دعوة الارتباط بمصر أو لانه ضاق ذرعاً بتنوع امته وركودها فجردها في قصيدته من محامد كثيرة ليشحذ عزائم بنيتها . وليس لاحد ان يقول بان التني لا يعترف بمجد المشرق وهي اجداد العروبة والاسلام فقد نظم الشاعر قصيدة عنوانها : المشرق جنة الله وفيها يقول :

وجنة الله حبي لله حنته	ما بشا لا تواتيها المقادير(٢)
في النجر من عمر هذا الدهر نسقتها	فحسدت عن اياديه البواكير
قد ارسلت نحو اهل الغرب ومضتها	والغرب في جهله المضروب مغمور
رقته بالنور حتى شد واهمه	أليس يرقى بآي الله مسحور

١ - ديوان التني - قصيدته « ثورة شاعر » ٢٧-٢٨

٢ - المصدر نفسه ٢٥

الفصل الرابع شعراء الوطنية المحدثون

استقلال السودان :

كان استقلال السودان عبر لعصور مثار وحي الشعراء من ابتدائه فقد نظموا — فصيحهم وعامهم - قصائد وطنية سياسية يدفعهم حبهم لوطنهم وغيرهم على شئونه ثم تنورهم من سيطرة الاجانب وما تجره عليهم من ويلات حسية ومعنوية نظم كل منهم فى الاستقلال وفقا لما تقتضى الحال بعض دعا للحفاظ عليه بالتقدم للقتال والثبات فى وجه المغيرين كما فعلت مهيرة بنت عبود لما نظمت ابياتها بالعامية تثير حماس المقاتلة السودانيين ليدودوا عن حياضهم ويمنعوا تقدم الجيش التركي الزاحف لاحتلال اراضيهم . أو كما فعل احد شعراء القونج برثائه مملكة سنار التى ذهبت ، وكانت مظهر سيادة وعرة . وكان ملوكها عوناً للعلماء والأدباء ولما قوضت جيوش محمد على اركانها افقد الشاعر مظاهر تلك العزة فتألم ودفعه المله إلى تسجيل مآثر تلك الدولة شعرا اظهارا لمصلحتها فقد يكون فى قوله ما يذكر المواطنين ويثير حماسهم فى يوم من الايام فيهبون لاسترداد ما فقدوا .

شارك شعراء المهدي بقصائدهم فى الحفاظ على الاستقلال بالدود عن مكاسب دولتهم ، فظلموا انقصائد العبيدة مخاطبين رأس الدولة مرة ، والامراء مرة أخرى . فلما ذاع خبر دخول الانجليز الارضى السودانية انان حكم الخليفة عبد الله التعايشى ثارت شاعرية بعضهم فظلم شعرا يحذر ويدعو لصعد العدو ومنعه من التقدم إلى داخل البلاد . ان مراده من ذلك هو الابقاء على الدولة التى آمن بها ، وقوام هذه الدولة مواطنون سودانيون . ارتضاها هم هو وغيره حكاما وقادة فصارت السلطة فى أيديهم ومعنى هذا ان البلاد استقلت وانفردت بتصريف شئونها ، وبما انه ارتضاها وعمل على توليهم فلا بد ان يعمل على بقاءهم وهو بقاء الاستقلال لذلك هب يستعمل سلاح الشعر ليدكى شعلة الحماس فى زملائه فيهبوا معه حُمّل السيف دفاعا عن سيادة الوطن وعزته .

فقدت البلاد استقلالها بعد انتصار جيش كنتنر ورفع علمى دونى الحكم الثنائى بريطانيا ومصر . هذا الحكم ادخل النظمه دعى بها لنفع العم . ثم ابتدئ سياسة معيبة لادارة شئون الحكومة الجديدة . فشغل الناس بتلك الانظمة وفرقت تلك السياسة كرامتهم . واهلى التناحر الحزبى فريقتا منهم عن مصير بلادهم امدا طويلا . الا ان البلاد لم تعدد المخلصين بعيدى النظر الذين لم يخدعوا بأساليب احكام الجدد ، بل تنهوا الهد واخلدو يصرون مواصليهم بها . لم تعدد البلاد كذلك التأثيرين المتحسين . ومن هؤلاء من اغضبهم تسلط الاجانب فرموا راية العصيان وحملوا السلاح وحاربوا سلطة الجديدة وهم أقل منها عددا وعدة واضعف . وكنب العمة نلاقوى فتضى على تلك الهدت . وكل حكم تدبرها واتبعهم قتلا وسجدا وتشريدا وهم اوفقوا لمقاومة الحرية اتى رادها اصحابها اظهر سخطهم على الحكام واعللا رفضهم سيطرة الاجبى . ما مقدمة امين (لكلمة) اتى حمل لواءها فريق من المواطنين فى جمعياتهم وأنديتهم وفى الاعيد الدينية واستمرت ولم تتوقف . وكان للشعر قصب السبق اذ نصحه الشعراء قصده عبدة والقوه فى المحافل بعرض ادكاء روح الوطنية واثرة سخط الاهلين على الحكام لدخلاء .. كان لائقاء القصد والخطب فى مناسبات دينية كما قدمنا وقع كبير فى نفوس المواطنين قبل ثورة سنة ١٩٢٤ وبعدده . وكان وقعه فى نفوس احكام اليم مزعج مما حداهم الى ابتدئ وسال تحد من اثر هذا سلاح - سلاح الأدب الذى شهره بنو السودان وضوا شاهره ردد من الزمن فى سبيل استقلال وضمهم الى ان قام مؤتمر الخريجين وصار له شعراؤه (١) وتبعته الاحزاب وظهر شعراء يؤيدونه ويدعون فى على نحو ما ذكرنا فى فصول سبقت من هذا البحث .

ان الشعر السودانى فى جميع اطواره شارك فى بث الروح الوطنية وادكاء الحماس . بدأت هذه المشاركة فى ازمان القديم . واستمرت فى أعصور المختلفة التى عبرتها الحركة الوطنية الى ان وصلت عايتها بتحقيق الاستقلال . شارك اشعر ايضا فى خلق الوعى السياسى وترقيته بادعوة نعض الانجهدت السياسية والدفاع عنها ثم بمقد اعمال الحكومة وخططها نقدا مريرا منفصلا . كما جاء فى شعر حسن

١ - منهم الشاعر المهندس « على نور » ولم يخرج ديوانه بعد

طه وقد شرن اليه فى حينه كان بعض الشعراء فى تأييدهم ودعوتهم يتعرضون إلى تريح العروبة والاسلام مشيدين بالامجاد القديمة . يريدون بالاشادة جعل الامجاد وذكرها حافزا للجهاد فى سبيل استقلال الوطن واسسا متينا يقوم عليه المستقبل وما فيه . والسودان عندهم جزء من العالم العربي . ونصيبه فى تلك الامجاد يؤهله لمستقبل مشرق ومكانة كبيرة بين دول العرب وبنيته لاحتلال مركز مرموق بين دول افريقية . لان التراث الحضارى الذى دخل السودان فى الاخلاق والعادات العربية وفى التعاليم الاسلامية والفكر الاسلامى . و مترج بعد دخوله بما كان عليه هل لبلاد . كفيل بايجاد امة قوية عاملة متماسكة . جدير بخلق نظام سيسى فريد يربط تلك الامة باصولها ويقرب البلدان الافريقية من العرب . من الشعراء من اغفل ذلك الماضى فى شعره ودعا إلى كيان متصل . فهل اغفلوه انكرا لذلك الماضى ولصيب السودان فيه . هل السودان عندهم بلد افريقى جغرافيا فيجب ان يستقل بكيان خاص وان لا يرتبط بكتلة أو جهة ما . و ان السودان افريقى عربى وعليه ان يبقى على افريقيته وعروته معا دون ان يغلب واحدة على الاخرى .

السودان بين الاعتبارين الجغرافى والقومى :

التقى فى هذا القطر - السودان - من الحضارات ما لم يلتق فى كثير من بلدان العالم فقد عرف الحضارة المسيحية فى شماله ووسطه من قديم الزمان نابيتها وتحليلها وروحانياتها . كما عرف الحضارة الافريقية فى اصقاعه الجنوبية بطقوسها وفنونها وقلبيتها . جاء العرب إلى هذه البلاد بتقاليدهم المعروفة . وجاءوا بالإسلام وبذلك نقلوا معهم ثروة كبرى من الذخيرة الخلقية والروحية وثروة اكبر فى العلوم والمعارف . ثم انهم - أى العرب - اختلطوا بسكن البلاد متزوجين من نسائهم ومجاورين فى السكن ومشاركين فى اعمال الحياة من زراعة وتجارة ورعى . بهذا عشت الحضارة العربية الاسلامية مع الحضارات الاخرى فترة من الزمن ثم ما رجتها حتى غلبت عليها فصار هذا البلد الذى يتوسط القارة لأفريقية ممنا إلى شمالها وشرقها وغربها ثم إلى مناطقها الاستوائية مربوطا بالعروبة اوثق رباط فهي منبته ومورد حضارته ومهبط عقيدته . وهو متعلق بأفريقيا لانها مهده ومقره . وهى مغرس الوشائج ومسرح آمال المستقبل .

لم يشأ أهل هذا البلد . ولا أحسبهم يسعون في يوم من الأيام أن يتخبروا عن عروبتهم أو « أفريقيتهن » فأردت نكلا الأصدين أقوى من أن يفصم بينهم يعقده والثقافة تمره . والصلوات دى منهم تتحدد وتزداد عمق وقوة . تحدد . المنافع المتبادلة ويقويها تشابه الوضع في علم اليوم . ن أهل هذا البلد لم يريدوا . ولا أحسبهم يريدون في يوم من الأيام . أن يكونوا عالة على منست أو تعا لاصل لأن تلك الحضارات المتمازجة بد تعلموه منها خميهم من الخضوع . وتقيهم الخنوع . وتحجب انهم الاكتفاء ما يحول بكدهم وتفكيرهم و ن كان يسير زهيد وترعبهم في السعي الحثيث لاصلاحه وترقيته . فلما قامت الحركة الوطنية وتصححت معاملها . وسلكت سبلها أممنا نررت الدعوة لعناية بالأدب اسودني وتبدل الناس الرأي كاتبين و متحدثين ر بطين الأدب دناس و لبيئة . ودعا نفر منهم إلى إيجاد ادب قومي صحيح ينقلب من حركة أدبية إلى حركة سياسية توج جهودنا نبيلنا استقلاله السياسي والاجتماعي والادبي (١) فهم دن يريدون دن قوميا يدخونه في الصراع السياسي ، ليكون سلاحا بئارا ، يثير المواطنين ويعددهم للمعركة كي يدحروا خصمهم ويبغوا ما يريدون . ولا يكون لادب كنكك الا اذا ستقى مادته من البيئة . لاند لادب سودان اذن ان ، يتحد من حوادثه واخلاق اهله وتقاليدهم مددة نمته القصصى والشعرى ومن منظر عاداته وصحاريه وودينه مادة لفنه التصويرى ومن مشاعر اهله وحركاتهم وسكونهم مددة لموسيقاه . وكفاه الاسلام دسا يسير له طريقه الروسى « (٢) . لابد له من ذلك ليكون دبا قوميا كما اريد له .

ولما ان نساءل عن المراد من قومية الادب . هنى التفتى بالاجناد والتباهى بالاصول العريقة النبيلة ووصف لمعارك بأنواعها في عسارت طماننة زندية تثير المشاعر والخواطر وتملأ القوس رهوا حتى يتصور الناس غير الواقع ويتيهون في سبل الخيال والاهواء اه هى غير ذلك ؟ ولنا ان تدبغ لتساؤ وبقول لم يرد لادب القومى ؟ اهو غاية فى ذاته ام وسيلة لغاية أو عديت ؟ يقاب س ذا لادبا بقديم

١ - الحركة الفكرية فى السودان ، م أ . محجوب ، ٤٥

٢ - الفجر ١٩ - ٢٣ ، ١٠٤٥ ، م أ . محجوب

لادب القومى ذى الطبيعة المحلية . فانما ندعو إلى خلق شعب شاعر بكيانه يعبر عن مريثته من سماء زرقاء أو ملدة بالسحب ومن غابات كثيفة وصحراوات قاحلة ومروج خضر ومن حياة بدوية هادئة إلى حياة عصرية صاخبة . « (١) . ان الذين دعوا لقومية الادب فى السودان ارادوا تقيته من الشوائب واولها التقليد ونريد به تقليد شعراء العروبة الاقدمين فى الشكل والمضمون . وثنيهما سيطرة الثقافات الأجنبية » ولهم الحق فى كل ذلك لان التحرر الفكرى والاستقلال بالانتاج العقلى وجعله قوميا دليل . . من دلائل رقى الشعب ونزوعه إلى الحياة واحساسه العميق بوجوب لاعتماد على النفس وشعور بالوجود وكلها صفات لا توجد الا فى الشعب الذى يحس بالحياة والنضال فيها » (٢) .

ان قومية الأدب فى رأينا تتمثل فيما يتضح فيه من سمات البيئة — خلقية وطبيعية واجتماعية . وغير ذلك مما خصها الله به من مظهر . وم اودع فيها من صفات أو جباها به من تراث — تتمثل قومية الادب ايضا فيما يظهر فيه من ملامح المجتمع المختلفة من عادات وتقاليد واعمال كالتزراعة والرعى والتعليم وغير ذلك مما يتخذه الناس ناقلين أو مبتدعين ويعتادونه رمنا طويلا . ان هذه كلها — السمات واللامح عوامل خاصة تندخل فى تكوين ملكة الادب وصقلها ولها دورها الكبير فى اتجاهه الفكرى وشعوره ثم فى حكمه على ما يرى ويسمع وعليه « فان الادب المنبعث من اعماق النفس لا بد ان يكون قوميا . انه نتيجة طبيعية لشعور خاص انضجته ولونته عوامل قومية محلية » (٣) .

تظهر القومية السودانية فى شعر كثيرين من شعراء السودان . وان خير من نذكره فى هذا المجال ونأخذ الامثلة من شعره المرحوم محمد سعيد العباسى . تعرض العباسى إلى تاريخ السودان وإلى شىء من جوانب القوة والاشراق فيه اذ نظم قصيدته المشهورة « سنار بين القديم والحديث » وفيها اشد بماضى تلك المدينة والدونة التى اتخذتها عاصمة . مثنيا على ملوكها معددا بعض مآثرهم . وفى هذا

١ - الفجر ١٩ - ٢٤ ١٠٤٤

٢ - الفجر ١٩ - ٢٤ ١٠٠٦ - ١٠٠٧ ، محمد عبد القادر حمزة .

٣ - محاولات فى البقدم . م . على ١٤١

اعتزاز باعجاد سودانية ونشر صفحات ناصعة من تاريخ هذا البلد في نفس القصيدة تقدير لعمل جديد قام به حكام البلاد آنذاك وثناء على خبرائهم الذين تولوا ذاك العمل حتى برز وبانت فوائده . وفي هذا اعتراف بالمقدرة وتقدير للاحاداة حيثما كانت . ومهما كان مصدر هذه الاجادة وتلك المقصرة . وانه لمن صميم الخلق السوداني الاعتراف بحق الخصم واثبات ماله من فضل دون النزول عن الحق الخاص أو التحلي عن التزام . قد اقر العباسي للحكام الاجانب بحسن فعلهم واثني عليه وفي نفس القصيدة ايضا وصمهم وصما بالبعي والطمع ودمغ عهدهم بالفساد ونكد العيش . وما نحن اولاة نورد احزاء القصيدة التي تبين ما ذكرنا :

قال عن سنار في ماضيها :

كانت مثنوى الاكرمين وميدا	نا رخيا تخيلهم ومندى (١)
ورحابا قد زينت وقبابا	زان ارجاءها عليك مفدى
عاش ما عاش وهو جد أبي	لم يعفر لغير مولاه خدا
عجمته الخطوب وهى شداد	فاثارت منه الخشاش الاشدا
وبنود تهفو وخيلا تنزى	لاناى سادة وعمدا
ارخصوا فى هواك كل عزيز	فتباروا فى الحرب والسلم جندا

ثم قال عنها فى حاضرها بعد أن قام فيها الخزان المعروف :

قف تأمل هذى العجائب وانظر	شاخا يحسر العيون استجدا
واجل ناظرىك فيما اصطفى	العلم لاحباره وما قد امسدا
خاص بناؤهم فاخرج بالفن	وآياته من النيل طودا
بنؤاد لم يدرع هيبة الروح	كأن سسل او من الصخر قدا
وانسياب المياه بيضا عرابا	صيرتها عجاجة الحرب ربدا
بانحدار كأنه غير منقوص	اكف الكرام واصلن رفسدا

ثم خاطب البريطانيين فى شخص المهندس الذى اسرف على بناء الخزان قائلا :

جيسن اسمع اوليت قومك فخرآ	وثناء يروى واوريت زندا
نحن من قد علمت ودا وانت المرؤ	يولى الاحسان بدءا وعودا

جئت في السد بالعجاب فهلا
 قم تعرف قلوبهم ان فيها
 شدة بين البغاة والناس سدا
 طمع افسد احياة وحق سدا
 ابس يدا النهى اعيش رغبة
 ان داء الاضلاع والصلابة داء
 جعل الاولياء امرء اعدا

تتضح القومية في قصائد عديدة من شعر الدكتور عبد الله الحبيب . لا سيما تلك التي نظمها وهو في لندن يعلم في جامعتها بعيد عن قريته وعشتمه ومرجع صبه . هناك في لندن وهي المدينة الكبيرة لعريقة ذات المصيت البعيدة في محفل العسم والسياسة والاقتصاد صاق عبد الله الحبيب الشعرية واشتدق إلى بلده شوقا مبرحا وحن إلى بعض مظاهر الحياة وطواهر الطبيعة فيها حنين دافق . وذلك في واحدة من قصائده حيث قال :

لولا المقادير كان احرزني
 ولم اقض الايام مدجنة
 ولم اعلم بنى الاعاجم من
 يطرقني الهم لا أبيت بلا
 لو سنضب رتفعت في جبل
 حتى اذود الموم هاجسة
 يخيل الطلح والسيال
 ومستق مائح ومحتطب
 وحبذا الملتقى يطارحك
 يا ليت شعري متى عود فقد
 ما لا ينال العداة من امه (١)
 في بلد قد سئمت من دجنه
 كل عبي لا يبين من لكونه
 قلب كليم الفؤاد محترنه
 ارقى إلى اندرعات من قننه
 تنتهب الطرف من حمى وسنه
 لعينيك وهم يشب من عننه
 وذو جناح ينوح في فتنه
 الشعر باظلاله ذوو فطنه
 روح ندى ولح في شطنه

ولما استبد به الحزن عدد من كثرته إلى مرجع صبه في مدينة كسلا فقال :

سقى لحى كل اجرع عطر
 وحد توتيل والاهلة من
 وخبل السامي نضل عني
 متوحا باسحب من دحان
 بالنال تردى اظبيء في دمه
 تكرون مرجى العيوث في مزه
 وادى لدى حله ببر حسنه
 الصلح قد عيج حول مسحه

١ صد. اس. س. وردة ١٤٠٦ ع. الطيب

املس صحيان ليس يصعبده راق شديد القوى لمحتنه
به رعيت الصبا وربيتنى ما شئت من شهوده ومن لبنه
يا ويح نفسى متى معاد أخى الغربية بعد النوى إلى وطنه

سافر الشاعر الدكتور عبد الله الطيب من لندن إلى قرية في اواسط نخلترا حيث
تلال « ما نقر » المعروفة - موضح بعض شعراء الانجيز اثرث هذه الزيادة
شجونه فقال يذكر بعض ماسطق وطنه في فخر واعتداد :

بلى كنت الغمام يلذ نفسى ويسكرني بريا كردفان(١)
وكنت ارى المطايا مرديات بسهب كالصحيفة صحصحان
ديار من فؤادى كنت فيها وكان ابى وكان بنو لساني
ارى في بدوها الاعراب شعنا وفي فتياتها الغر اللدان
رهائن في ضميرى تائفات إلى عيش الطلاقة والرهان
أست من البداوة اى علم حويت واى ريع قد حواني
وان أك نلت من ثدى سواها فان لبانها ابقى لبان
ولم افتأ - وان انزع - اليها يحركنى الحنين مع الحنان

الاعتبار الجغرافى وظهور أفريقيا فى الشعر السودانى :

لم يكن شعراء السودان فى اول الامر لياهموا بأفريقيا وشؤونها وعلاقة بلادهم
بها . وما كان ذلك استصعرا لهذه العلاقة . ولا نكارا لمكة أفريقيا والأفريقيين
انما شغلهم مشكلاتهم الوطنية عن مشكلات الامم الاخرى . كما ان وسائل
الاتصال لم تكن سهلة ميسرة لهم ولا للأفريقيين فى الاقصر الافريقية حتى يتمكن
الناس فى بلادهم من الوصول إلى بلد آخر . وحتى يتسنى للأفكار والاحاسيس
الانتقال من بقعة إلى بقعة حيث تعيش فترة من الزمن ثم تتفاعل مع غيرها ويتولد
عن ذلك رأى مشترك واحاسيس متقاربة . لقد تعذر على معظم لدان أفريقيا معرفة
الاحوال فى جاراتها قرية كانت أو بعيدة بسبب ذلك . ولهذا لم تتمكن واحدة
من مشاركة الاخرى فى شىء أو معاونتها فى امر . ولولا لسيطرة الأجنبية اتى
انبسطت فى جميع انحاء القارة لكن الحال غير ما نصف . لكن بمجرد ان انتشر

١ - اصداه النيل - الدار السودانية ١٤٠ ع . الطيب

لوعى وبدأت سيطرة الاجنب في انتقص تعبر لحن . فهي السودان اخذ الناس
يعنون بأفريقيه مدر كين . هم يمتون ليها نسياب قويه . وان مقل لا يام يقتضى
تقوية الصلات لقدمية وتنمية اخرى منتع بها أهل القارة .

انتت لشعره في السودان م . يدور في بعض بلاد أفريقيه من جهد
في سبيل الحرية وشهدو به عملا حميدا ومثالا يحتدى من ذلك م . فانه الشاعر محمد
المهدى مجنوب في ثورة كينيا ، وهو :

نسى وصلى لدار في كل بقعة	سود دخن في لسموت اسود (١)
يصيح لكم ثورا على كل كفر	سمع اضحيا والدماء معم
الكم حيرة في كينيا فكمردوا	و شربهم (جوهو) سلاف لنمرد
صوى العبد من سرره كل ضيعم	أنى اندم لا ملء خد مورد
فلا ترحموا ثم تق في الارض	رحمة الالهكم بين عيسى واحمد

في هذه الابيات يعترف شاعر باحدى صلاته في أفريقيه وهي صلة بخوار . وهي
صلة تفرص علينا الكثير وتثبت لنا الكثير . ويعترف بسس أهل كينيا في الجهد
نطرد الاجنب من بلادهم منتب على رعيدهم منادحا شجاعتهم .

أما لشعر روح السر حسن فقد أكد وجود عنصر الأفريقي في الامة
السودانية اذ قال في احدى قصائده (٢) :

ووجهك يا قرشى
يا عربي
يا زنجي
يا نوبي
ومضة بارق من شعبنا الخلاق
وقيضا من فؤاد النيل ،
غطى الدار
حريقا اشعل النيران في الاعشاب

١ - ناز المجاديب ، م . م . مجنوب ١١٥

٢ - ديوانه القب الاخضر ، ١٦

وكسر ذوب الاطواق

وستمر يؤكد وجود هذا العنصر وتفاعله مع العناصر الاخرى في القصيدة نفسها
بقوله (١) :

لقد مرت مرور الضيف

رؤى اكتوبر الحمراء كانت فى ديارى طيف

ولكن الدماء تسيل

وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل

دماء الزنج والعربان

ووجه النوبة الاسيان

بظل امرأة سوداء

غطى ساحة الصحراء

وبقوله من قصيدة أخرى :

انا من أفريقيا بلدى تشوبها نار الاصفاذ

لكن يدى السوداوين تمردتا عبر الوادى

عائقنا موسكو والصين وكل بلاد الامجاد

والتفتنا بخيوط الشمس المسكوبة فى الغرب الصادى

لشاعر قصيدة أخرى طويلة عنوانها « فلتتحرر انجولا » صور فيها مآسى تجذرة
الرقيق ، وانتدأها سخرام فتخرأ ففريقته ، وكأنه يتحدث بلسان احد أبناء
انجولا ، فقال :

تخرقى الشمس

بقتلنى فى قبوة الامس

ولدت فى غابة لالوب

من الاسى قد نسجوا ثوبى

ومن عجيب الامر انى

ككل الناس لى رجلاى

ومثلهم تطل في وجهي عينان نفاذتان
 واذا في تهوى اغاني الطيور
 ومن عجيب الامر لو في عجيب
 اسود كالليل الرهيب الرهيب
 ولم أدر ان الدر
 في مجاهل البئر العميق القرار
 يغوص في الظلمة
 لا يرى ولو اطل النهار
 الم أدر ان الشمس ام الضياء
 في لونها الزاهي يغطي الفضاء
 ابيض مثل الثلج مثل الحليب
 تنشر في جسمي هذا اللهب
 تضميني في عناق
 الشمس امي تضميني في اشتياق
 حتى اذا لفني ضوءها
 ابيض اضحي قمرى في المحاق
 ولفني هذا السواد الذي
 يظلل الاقدام والاحداق
 وعدت ابنوسة تزدهي
 في غابة مخضرة الاوراق
 واحترقت روحي على جمرها
 كفحمة بعد سنا الاحتراق

وهامى ذى بعض المآسى التي بصورها في قصيدته هذى :
 شيطان انجولا هدير البحار (١)
 في اللانهايات تذوب الحدود

الوطني ودخلوا المعتزك السيسى . من هؤلاء ، اومب « اول من توفى رئاسة الوزارة
فى بلاده - الكنفو - بعد ان استقلت قال عنه الشاعر جيبى عبد الرحمن (١) :

العذابات على قلب المسيح
فى صلاة ، وصليب ، وضريح
صبيحة من فجر وهران الفسيح
من فدائي مليح الوجه
تسخو عينه صفوا وحبا
باسمك الغالى لومومبا
فجر المدفع فارتاعت على البيداء ريح
صخرة فى غاب كاتنجا يوشيهما الربيع
بالتلال البيض من رمل ، وازهار ، تضوع
خط زنجى بحبات الدموع
اسم لومومبا الوديع
حينما سالت على الليل مزاريب المطر
والضباب الجهم غطى كل اوراق الشجر
شق طفل رجفة السيل واحزان الشتاء
منذ عامين ابي يا اه لم يرجع بقمح
أو كساء !
فى الضفاف الخضر يا روحى يذر الافق شهباً
بيته جيش لومومبا
وغدا يأتي الينا ، حاملاً سمنا وثوباً
غرد الطفل فقد نام سعيداً بالغناء
فى ظلام المعتقل
وغراس الصمت كالقضبان تغتال المقل
هب جومو يرقب النجم توارى فى الجبل

فرت الدمة والحزن هطل
ثم اقبلت لوموميا كالعناقيد الامل
كفكف الحزن ونادى
ابن أفريقيا البطل
آه لوموميا البطل

وقال فيه الشاعر صلاح احمد إبراهيم رائيا معزيا متأسيا (١) :

كفكفوا ادمعكم يا اخوتي
فغدا فى ارض لومبيا الغنية
بينها .. بالبطولات بذكرى الشهداء
بالكنوز المعنوية
والكنوز
يحفظ التاريخ للابناء عن آباؤهم خير هدية
ماسة حمراء فى حرز حرز
ماسة تومض كالقلب ضياء وبهاء
ماسة تومض كالنجمة اشراقا وحبا
وتنير الدرب ، ان اوصدت الظلماء دريا
اسم انسان عزيز
وهب الحرية الحمراء قلبا
ودعته امه الكنفو فلبى
قتلوه بعد ما ساموه اذلالا وضربا
قاهر الموت ونحزى قاهره
رقية الشعب لومبيا

ومما قاله الشاعر صلاح احمد إبراهيم فى هذا الرعيم الكنفوى بعد مقتله هذه المقطوعة
وعنوانها « صلوات » (٢) :

١ - ديوانه - غصبة الهيباى ، ٢٠

٢ - ديوانه - غصبة الهيباى ، ٣٢

يا ماء عيون الكونغو ، يا عدا مشعله شق الظلمات
سافاه تطير باجنحة نورانية
عيناه قذائف نارية
ويده صواري ، مثل فنار ، يلمع في افق
ما فيه ضياء نجم سارى
مثل النفق

الريح تقاومه . والليل يساومه . ونصخر تربص بالحيات
وتأثم حب الشعب وايمان وثبات
يا زرعاً لبن حين جميع الارض موات
ياكم ليلاً قضيت اذود بكف خيالى عنك الضربات
يهرع قلبى يركع حلف « بولين » ويرتع فى لطف ررق نصوت
لومبا عش ، يدعوك الجند وتدعوك الرايات
لومبا عش ، تدعوك المركب حين مضى عنها الجردان
لومبا عش . حيوان اخو يراقبها ويواكبها القرش الجوعان
لومبا عش ، ولقد عض الصخر الفارق والمرجان
لومبا عش . لم يبق سوى ليلين وتحضنا خضر الشيطان
لومبا عش ، تفر شفاه المرفأ عن ناس ،
وتحى بالاجراس
ترحب بالرقصات

تهلل وهى تنادى باسمك . باسمك انت . تنادى فى فرح وحسد
لومبا عش ، انتهت الرحلة يا ربان
والمركب ترسو فى اطمئنان
لومبا عش ، لكن هيهات
لم نسمع غير صدى صرخات
تتمزق نازقة فالقائد وأسفا قد مات !

يحمل الشاعر حبلى عبد الرحمن أفريقيا اما فى قصيدة من قصائده وفى

لكن يا أمى الغضبي
 امامه الساحرة ، التبعي
 والغابات الشلالات
 القمح ، القصدير ، الكاكاو
 يا أمى .. الماوماو
 اني اتعس من قوقعة يحملها افريقي في الجيد
 من تمنة يعضنها في ليل البيد
 من أجرة ، احجة ، وطلاسم
 اشقى من طفل عار في ملكال
 لما امتدت في قلبي اودية الصومال
 اغفت في ذل الجذب القائم
 افريقيا يا افريقيا
 ان كان الصدر الداوي يشخب عرقا مسودا
 يسقى ذهباً مطمورا في اوغندا
 يشكو الظلماء الى الانجم يعني ، نورا ، صيدا
 واختال الانسان على المربخ
 أشعل تبغا في الصاروخ
 ألقى في الصحراء جحيما
 أحرق بسمات الاطفال على موج هيروشيما
 وصمة هذا القرن هيروشيما
 في كل صباح تهوى في رأسى الدور
 صياد ما تت في يده أنغام الطنبور
 أيام كالثفق المهجور
 كالأمل المكسور
 أفريقيا لم استكمل بعد الصورة
 الاسطورة !

ان دوت فى كينيا طلقات مكتومة
غنى الافريقى همومه
فى وهران العمر قصير
طعم الزيتون مرير
لا يفنى جيش حتى يبدأ
قد لاحت اضواء المرفأ
لم يبق سوى بعض صخور
سبق الاطفال إلى سجن فى اورندى
رقصت نار فى اكواخ الزندى
وغراس البن انتفضت فى روديسيا
يا أفريقيا
طوكيو ام مذعورة
الوية ، غابات مسجورة
والثورة تولد فى آسيا
كالاشجار ، الامطار ، الثورة
الشمس ضفائرها كالسنبلى فى اندونيسيا
هل تحجبها سحب الذرة ؟
عادت هيروشيما ابنة مسجورة
اعلاما منشورة
عاد الشهداء ينجون على ارض اليابان
فاختلطت كل الالوان
مثل حقول الورد
السلم المجد لروح الانسان
فاحتضنى يا أم المجد
أفريقيا ما زالت فى الاعماق صباية شعر
ان كنت بكيت الموت خشيت القبر

فالرحلة ما أروعها .. ما أقصره العمر !
أدعو أشهد عصر المأساة
يخبو من لمستك الكبرى بالفرشاة
ترمين المبضع في قلبي حتى تنزح عنه الآه
قد كنا يا اماء سلاحف هذا العصر
والآن نمد الايدي للشمس ، نصوغ النصر .

ان هذا الشعر الذي عرضنا نمدح له - شعر تاح اسر الحسن وجيلي عبد الرحمن وصلاح أحمد - نظم بالطريقة الحديثة وهو يسىء عن ظهور أفريقي في الشعر السوداني الحديث ، لانه يشيد بإيجاد أفريقي ويتحدث عن انضمام اذى حق بأهلها ويدفع عن حقهم فى العيش الكريم لانهم نشر ينتمون إلى آدم كما ينتمى اليه اجناس العالم الاخرى . ثم انه فى مجموعه يربط السودان بأفريقيا مؤكدا صلة الدم واجوار والمشاركة فى بعض الاحداث والمصائب . من اجل كل ذلك أصبح لهذا الشعر قيمة « وطنية سياسية » فى اوساط عبيدة فى العالم العربى لانه يحمل فى أبيته بدور « الوعى الوطنى والتفكير لسياسى . لكننا اذ قسناه بالمعايير الفنية الادبية البحتة فننا واجدون فيه بعض مآخذ فى الشكل والمضمون . من مآخذ الشكل اغفال قواعد النحو اذ فى أبيته اخطاء نحوية . وذلك كقول تاح اسر الحسن فى قصيدته التى جئنا ببعض ابيانها مع السامذج « وفيضا من فؤد النيل » حيث نصب « فيضا » ولا نجد سببا واضحا للنصب - وكقوله فى القصيدة ذاتها « روى اكتوبر الحمراء كانت فى ديارى طيف » ويحق لنا ان نساءل عن خبر « كان » أهو « طيف » فلماذا لم يحنى منصوبا اذن كما تقول قواعد النحو ؟ والا فأين خبر هذا الناسخ ؟ من اخطاء النحو ايضا ما جاء فى القصيدة نفسها وهو قوله : وداعا يا قبور الحى فليطغى عليك (١) الماء . حيث اثبت آخر الفعل المعتل وهو الياء بالرغم من اتصال الفعل بلام الامر ، وهذا الاتصال يوجب الجزم .

من الأخطاء ايضا قول جيلي عبد الرحمن : وهل نبتعها العفة (١) حيث اعد الضمير وهو الهاء فى نبتاعها ، على المنعول به « العفة » والمنعول به متأخر

لفظاً ورتبة . وعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة يخلف قواعد النحو . أباح
الشاعر لنفسه استعمال الكلمة ، مقبض « في قوله : « والثلج المتقبص كالأكفان
وهو بهذا يترضى وجود وزن افعال ، من قبض ثم يصوغ منها مفعلاً وهذا الوزن
لا يوجد في هذه المادة فيما نعلم وبهذا المعنى واليتورى يستعمل لغة اكوفى
البرغيث في قوله : « وليمضوا مثي شهداء أولادى في قصيدته « أنا زنجى .

نجد في هذا شعر أيضاً بعض الالفاظ والتعابير العامة . ومثل ذلك من
الالفاظ « لن الكلمة العامة التى جاءت في قول الشاعر صلاح أحمد . يا زرعاً
لبن حين جميع الارض موات « من مقطوعته صلوات « والكلمة مرميه «
في قول تاج السر الحسن : « أقفانه مرميه في القضاء (١) . ما التعبير فمش قول جيل
عبد الرحمن « مركب أحبابي تاهت أين » .

لا يحلو مضمون هذا الشعر من مأخذ كما قلنا من قبل وأولها هذا ، لا بهام
الذى يظهر لنا في بعض أبياته ، انه تقرأها ولا نكاد نبتين مراد الشاعر فتقول اجيل
عبد الرحمن مثلاً :

واعجب كيف يثير الهتاف (٢)

صوتك حين يهز الشفاف

من القلب ، ذكرى فتاه !

وما نبشت باليراع الورق

وتركض فوق الحصى والتراب

وقد ترتدى في الشتاء الحرق

يحمل في أبيته صورة الا انها مفككة الاحزاء لانه ينقلها اليها في جمل تقريرية
لا يكاد يربط الواحدة بتليتها أو سابقتها رابط إلا ما نستنتجه من وضع لابيائ
والشاعر تاج السر الحسن يقول :

ولكن الدماء تسيل

وتصبغ ارجوانا وجه هذا النيل

١ - ديوانه ، القلب الاخضر ٦٩

٢ - ديوانه - الجواد والسيف المكور ٣٩

دماء الزنج والعربان
ووجه النوبة الاسيان
بظل امرأة سوداء
غطى ساحة الصحراء

اننا لا نرى ما يربط المرأة السوداء وطاها بوجه النوبة الاسيان أو دماء الزنج نرى
تسيل وتصبغ صفحة النيل . قد يكون الرباط وضحا في ذهن الشاعر . لكنه لا
يرضحه لنا . وقد تكون هناك علاقة يعرفها الشاعر غير انه لا يعرف تلك العلاقة .
ان انقارىء ليس غرابة في بعض تشبيهات جاءت في هذا الشعر من ذلك
قول جيلي عبد الرحمن :

وكانت النخيل مثل اذرع النساء
تضم في جذوعها العجفاء ذكريات
وتلم المياه حين يغمض الرجال

ولنا ان نتساءل كيف تكون النخيل مثل اذرع النساء هناك مشبهة حسية أم معنوية
وفي كلا الحالتين ما هي المشابهة ؟ اننا لا نستطيع تصورهما . وان امكن ذلك
فلندوق لا يقبلها . ولنا ان نتساءل عن معنى الشطر الاخير . أيريد الشاعر ان يقول
ان النساء لا يحرؤن على تناول المياه ليروين ضمأهن الا في غفلة الرجال ام يريد
شيئ آخر . وهل يفعلن ذلك حياء أو خوفا أو تأديبا . ان كل ذلك حائر لكن العبارة
انتي اخترتها لاداء هذا المعنى لا تصور حياء النساء أو ادمهن أو خوفهن اني تصور
الحركة الحسية فقط . ولقارء بعد ذلك ان يتصور ما وراء تلك الحركة من دافع
ويستنتج ما يخيط بها من أفكار . يقول الشاعر في قصيدته فتستحدر النحولا عن لون
شمس : ابيض من الثلج مثل الخبيب . ويقول : حتى اذا لقي ضوءها الابيض
فهل لون الشمس ابيض ؟ وان كان فهل هو في بياض الخبيب والثلج وضوء الشمس
أهو أبيض . تم . الفرق بين لون الشمس وضوئها . لقد غرّب الشاعر ههنا
بلا شك .

يبدو الخيال في نماذج هذا الشعر التي عرضنا بسيطا لا عمق فيه ولا جموح .

وانه ليسغ احيدا درجة السذاجة وذئك كتوب تاج نسر حسن في قصباته فتحور
البحولا :

وفي القرى

عجائز يبكين عند المساء (١)

« من يذهب اليوم بلحنى الثمار ؟ »

من يحرس الغابة ان طوفت

فى الليل افيال بقرب الديار ؟

من يشعل النار من حولنا

الناموس والاسود والاشرار

من يعتنى بالصغار

للصيد من يذهب انا هنا

تموت جوعا فى اسى واندحار

يتخيل الشاعر ههنا حال قرية افريقية بعد ان اختطف تجر لرقيق رجلا وخفوا
نساء عجائز لا يتوون الا على السب والتحسر لكن من العجائز من تحمل الراية
وتبث الخمس فى الصعر وتمويه فى نفس الوقت مقدم العائل العائب ، اما شاعرنا
فقد صورهن ضعيفات مستحذيات وكنه راد استحذاء لعطف ولم يرد اثاره
الحماس . اننا لم نحس اثناء قراءة هذا شعر انفعالا قويا جاشت به نفس احد ، ولئلك
الشعراء فنتقل من دخيلته الى عبده ته انما سردوا مآسى افريقيا سردا وقرروا مظالمها
تقريرا فجاءت العاطفة فى قصائدهم تلك فاترة .

✽ ظهرت افريقيا فى شعر محمد مفتاح المتورى — وهو شاعر ينتمى الى
السودان كما ينتمى الى بلد آخر من بلدان العروبة — لا كما ظهرت فى شعر
الآخرين انما جاء ظهورها فى شعره أكثر لانه نظم لها العديد من القصائد وافرد
لها دواوين من نظمه ، وجاء اعمق لانه حمل بعض ما نضم لها شيئا من ذات نفسه
وتقليدا لانتمائه الى السودان وشيوخ امر هذا الانتماء فى بلاد كثيرة نرى لزاما
عينا ان نقف عند بعض شعره ذ لا يصح ان نتناول الشعر فى السودان ونغفل

مانظم . عبر التبتورى فى بعض شعره وقد نظمه فى التوايىب الحديثة عن قصة افريقيا
وبعثها وهذا يتمثل فى قواه :

يا أخى فى الشرق ، فى كل سكر (١)
يا أخى فى الارض ، فى كل وطن
انا ادعوك ..

فهل تعرفنى ؟

يا أخا اعرفه رغم المحن
اننى مزقت اكفان الدجى
اننى هدمت جدران الوهن
لم اعد مقبرة تحكى البلى
لم اعد ساقية تيكى الدمن
لم اعد عبد قيودى
لم اعد عبد ماضى هرم ..
عبد وثن

انا حى خالدا رغم الزمن
فاستمع لى .. استمع لى
انما اذن الحقيقة صماء الاذن
ان تكن سرنا على الشوك سنينا
ولقينا من اذاه ما لقينا
ان تكن بتنا عراة جائعينا
أو تكن عشنا حفاة بائسينا
ان تكن قد اوهت الفأس قوانا
فوقفنا نتحدى الساقطينا
ان يكن سخرنا جلادنا
فبيننا لأمانينا سجوننا

ورفعناه على اعناقنا
ولثمنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمننا
فتساقانا جراحا وانينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسنا
ونقشناه جفونا وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا
الملايين أفاقت من كراها
ما تراها .. ملأ الاقق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها
بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت افؤسها وانحدرت من روايها
واغوار قراها .. !
فانظر الاصرار في اعينها
وصياح البعث يحتاج الجباها
يا أخى فى كل ارض عريت من ضياها
وتغطت بدجاها
يا أخى فى كل ارض وجمت شفتها
واكفهرت مقلناها
قم .. تحرر من توابيت الاسى
لست اعجوبتها .. أو موميها
انطلق فوق ضحاها ومساها
يا أخى قد اصبح الشعب الاها
جبهة العبد ونعل السيد
وانين الاسود المضطهد

تلك مأساة قرون غربت
 لم اعد اقبلها .. لم اعد
 كيف يستعبد ارضى ابيض
 كيف يستعبد امسى وغدى
 طيف يخبو عمرى فى سجنه
 وجدار السجن من صنع يدي
 أنا زنجي .. !
 وأفريقيا لى لا للاجنبى المعتدى
 انا فلاح ولى ارضى
 التى شربت تربتها من جسدى
 انا انسان ولى حرىتى
 وهى اغلى ثروة من ولدى
 انا حر مستقل البلد
 وسابقى مستقل البلد
 ههنا واريت اجدادى .. هنا
 وهم اختاروا ثراها كفننا
 وسأقضى أنا من بعد ابني
 وسيقضى ولدى من بعدنا
 وستبقى ارض افريقيا لنا
 فهى ما كانت لقوم غيرنا
 نحن اهرقنا عليها دما
 ومزجنا بثرها عظمنا
 وشققناها بحارا وربا
 وزرعناها سيوفا وقنا
 وركزنا فوقها اعلامنا
 وتحدينا عليها الزمنا

وسنهدمها إلى أحقادنا
وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمى يا أرض افريقيا لنا
اسلمى يا أرض افريقيا لنا .

في هذه الابيات يعلن الشاعر يقظة افريقيا إلى الملاء في عبارة واضحة قوية . يعلن على الملاء ان افريقيا رفضت الماضي البائد الذى عانت منه ، عانت من شقاء واذلال . ذكر الشاعر كثيرا من آلام ذلك الماضي ومآسيه وفصلها تفصيلا يشيع في الابيات شيئا من حزن دفين . بعد هذا اعلن الثورة قائلا :

فلقد ثرنا على انفسنا
ومحونا وصمة الذلة فينا

وتدققت كلماته قوية ناثرة تحمل الاصرار والعزم وترفض الاستعباد والمهانة وتؤكد سيادة الافريقيين في ارضهم وحررتهم في تلك الارض . ان بيات الفيتورى هذى تكشف عن وطنية صادقة وثورة عارمة . والواقع ان الكثير من قصائده يفيض بالثورة والوطنية . لانه كثير ا ما يرتد حزينا كثيرا في قصائده تلك كقولہ :

يا اميرتي السوداء(١)

.....
.....

لو تعرجت حوائط البيوت

لو رأيت شاعرا يموت

جثته طريحة

وقلبه حمامة ذبيحة —

ودمه على الثرى عباءة حمراء

تنقرها الغربان والسلاحف الخدباء

فما الذى كنت ستصنعين

فما الذى كنت ستصنعين ؟

١ — اذكرينى يا افريقيا ، الفيتورى ، ١٥

تنتزع زينة العرس

وتلبسين زينة الحداد

وتندين

وربما بصقت نقمة على الجلال

لانه اسكت صوت شاعرك

اسكت صوت رجلك

وربما ستذكرين مقلتيه كيف كاننا

وتشهقين يا اميرتي

لكن إلى متى ؟

انه ينشر الكتابة ويفيض حزنا دفيئا لكنه يشوب الحزن بانفعال قوى مكبوت نستشفه من السؤال الذى يلقيه على الاميرة السوداء بعد ان يصور لها ما قد يحدث ، يسألها « فما الذى كنت ستصنعين » ويكرر السؤال ثم يجيب على سؤاله بنفسه . وكأنه يريد ان يبين لها ما يمكن ان تفعله أو ما يجب ان تفعله . ثم يحتم اجابته بسؤال آخر : لكن إلى متى ؟ . وانه بسؤاله هذا لا يكتفى عما قد تفعل . بل انه ليراه قليلا غير كاف وغير كفاء للغاية السامية التى يسعى لها . هذا الانفعال القوي المكبوت هو دليل الثورة التى تعتمل فى نفس الشاعر وشرارة من النار المتأحجة فى دحيته . وانه ليمكننا حينئذ ان نقول ان عاطفة الفيتورى تبدو فى شعره قوية اصبية . دعا الفيتورى افريقيا دعوة ثائر متألم ، دعوة ابن لا يرضى لما حاضرها وينفر من ماضيها . ابن يريد لها النهوض لان « دورها قد اتي » وعليها ان تلعبه كاملا وتجيده وها هى ذى دعوته :

افريقيا(١)

افريقيا الغائبة

يا وطني .. يا ارض اجداديه

اني اناديك

ألم تسمعى صراخ الآلى واحقاديه

اني اناديك
انادى دمي فيك
انادى امتى العارية
اني انادى الالوجه البالية
والاعين الراكدة الكايه
فويلك ان لم تحضنى صرختى
زاحفة من ظلمة الهاوية
عاصفة بالابيض المعتدى عليك
يا افريقيا الغالية

.....

.....

اجل فاننا قد آتي دورنا
أفريقيا
انا آتي دورنا

لكن الثورة والالم يقلبان إلى حقد . انه لا يدعو فريقيا لتنفص عنها غبار
الذل والحمول والضعف وتعمل مع العاملين خير بنى الانسان فحسب . انما يدعوها
لتهب وتعصف « بالابيض المعتدى » وبذئذ يزد ثر لعنصرية حطب .

كذلك عبر الشاعر الفيتورى عن لبعث لافريقى وعن يقظة الافارقة فى
قصائد عديدة ضمنها صفحات دواوينه ، من هذه قصيدة عنوانها « انا زنجى »
جمعت هذه القصيدة إلى التعبير عن هبة أفريقيا الاعتداد بالاصل . وها هي ذى
اياتها :

قلها لا زنجين .. لا زنجين !

قلها فى وجه البشرية

انا زنجى

وأبى زنجى الجلد

وأبى زنجية

انا اسود
 اسود لكنى حر امتلك الحرية
 ارضى افريقيه
 عدشت ارضى
 عاشت افريقية
 ارضى .. والابيض دنسها
 دنسها المحتل العادى
 فلأ مض شهيدا ..
 وليمضوا مثلى شهداء اولادى
 فوراء الموت .. وراء الارض
 تدوى صرخة اجدادى
 لستم بيننا ان لم تذر الريح رماد الجلال
 لستم بيننا ان لم يجل الغاصب عنها مدحورا
 ان لم تخلع اكفان الظلمة ..
 ان لم تتفجر نورا ..
 ان لم يرتفع العلم الاسود ..
 فوق رباها .. منصورا
 ان لم يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخورا
 الفجر يدك جدار الظلمة
 فاسمع الحان النصر
 هاهى ذى الظلمة تداعى
 تساقط .. تهوى فى دعر
 هاهو ذا شعبى ينهض من اغماسته
 عارى الصدر ..
 ها هو ذا الطوفان الاسود ..
 يعدو عبر السد الصخرى

هاهى ذى أفريقيا الكبرى ..

تتألق فى ضوء الفجر ..

يجد الناظر فى شعر الفيتورى شكاة صريحة يعدد الشاعر فيها لمظالم التى حاقت
بالافريقيين فاورثتهم حقدا . يصور الشاعر كل هذا فى اطار من الكآبة يكشف
عما يعتمل فى نفسه . والابيات الآتية تمثل ما نقول . وعنوانها . « إلى وجه ابيض ».

الآن وجهى اسود (١)

ولان وجهك ابيض

سميتنى عبدا

ووطئت انسانيتى

وحقرت روحانيتى

فصنعت لى قيда

وشربت كرمى ضلما

واكلت بقلى ناقما

وتركت لى الحقدا

ولبست ما فسجت خيوط مغازلى

وكسوتنى التتهيد والكدا

وسكنت جنات الفراديس

التى بيدى نحت صخورها الصلدا

وانا .. كم استلقيت فى كوخ الدجى

أتلقح الظلمات والبردا

كالشاة اجتر الكآبة

عاقدا حولى دخان نفاهتى عقدا

حتى اذا انطفأت مصابيح السما

وانساب نهر الفجر ممتدا

ايقظت ما شيتى الهزيلة

وانطلقت اقودها لمراحها قودا
فاذا سمن نعمت انت بلحمها
ونبتت لى الامعاء والجلدا
لا ياأخى !
ان التهاب مشاعرى هيهات بعد اليوم ان يهدا
هيهات
لم اخلق عليها بومة
تقتات بالديدان أو قردا
انا كائن امى وامك طينة
والنور ليس لايانا جدا
فلاآم تحرمنى حقوقى ؟
بينما تلقى السعادة انت والرغدا
والام تستعلى بانفك سيدا ؟
وانا اطاطىء هامتى عبدا
انى صحوت ..
صحوت من امسى
وذى فأس شهد قبوره هذا
ساكون نارا .. فالحياة تزيدني نارا
وارقص فوقها رعدا ..
فاخلع براقع كبريائك ..
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدى
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيذا
انى اخوك فلا تعق اخوتي
فتزيد بركانيتى وقدأ
اياك .. لا تبلر بدور عداوتي

فتعود تحصد شوكتها حصدا
اياك لا تززع حتولك عوسجا
اني زرعت حقولى .. الورد

ان هذه القصيدة تصور كما يصور غيرها من قصائده ثورة الفيتورى على
التفرقة العنصرية وما يتبعها من افتئات على الحقوق — حقوق السود ، وما ينجم
عنها من احتقار يتقونه . ان كل هذا ينتج ألما دفينا يصوره الشاعر بقوله :

عاقدا حولى دخان تفاهتى عقدا
حتى اذا انطفأت مصابيح السما
وانساب نهر الفجر ممتدا
ايقظت ما شيتى الهزيلة
وانطلقت اقودها لمراحها قودا

ويشمر حقد صرح به الشاعر حيث قال :

وتركت لى الحقد

كما صرح به فى قصيدة أخرى قائلا :

ولما أي .. ! (١)

مزقته السياط

فحطم جمجمة السيد

وآخر كانت تنام الشياه وتصحو

على صوت مزماره

وفى ليلة ، كفرت روحه

بجزارها ، وبجزاره

فهب ، فاشعل احقاد

فسالت جميعا بوجه الصم

وابصره الغد فوق الرمال

تكفنه عزة المنتقم

تبلغ ثورة الشاعر قمته في قصيدته هدى . إلى وجه ابصر - فينمحر
مهدها بقوله :

لا يا أخى !

ان التهاب مشاعري هيهات بعد اليوم ان يهدا
هيهات

لكنه رغما عن كل ذلك يحتّم قصيدته هدى بدعوة قوية و ضحة إلى تآخ انساني
وتعاون بشري يقومان على نسيير الماضي ولاقتل على احبة في حبيب وتآزر
ومساواة ، وذلك حيث يقول :

فاخلع براقع كبريائك
اننى اسكنت جيفة ذلتى لحدا
واضمم يديك إلى يدي
نشيد معا صرح المحبة بيننا شيذا
اني اخوك فلا تقى اخوتي

.....

.....

اني زرعت حقول الورد

ن محمد الفيتورى شاعر مقتدر يقل إلى القراء ما يعتد في نفسه في عبارة قوية
واضحة رائعة لكنه مع القوة والوضوح وروعة يهمل قواعد النحو احيانا ويدخل
بعض الالفاظ العامية . وهو ذو خيال قوى اصيل ويشهد بقوة خياله و صلاته
مسرحيته « سولارا » (١) ومما يبين مقدرته و « طول نفسه » تلك القصائد الطوال
التي تزخر بها دواوينه .

الاعتبار القومي والتغنى بالعروبة :

تعنت كثرة من شعراء السودان بالعروبة . ومن تلك الكثرة عبد الله محمد

١ - احزان افريقيا - الفيتورى

عمر لبننا وعبد الله عبد الرحمن الامين وعبد الرحمن شوقي . وقد اوردنا في فصول سابقة من هذا البحث ابياتا من شعرهم تضمنت تغنيهم بالتراث العربي الاسلامي . لم يكن النعي محصورا في شعر هؤلاء انما جاء في شعر غيرهم من مجموعة لشعراء الدين عرفوا بالتقليديين . وجاء في بعض قصائد من شعر وللك الدين عرفوا بالمحدثين أو لمدرسة التجديدية التي دعت إلى الاهتمام بالعناصر المحلية في لبيان السوداني واثراها قوية غالبة . وفي هذا السبيل اتجهت اتجاها قويا إلى الثقافة الغربية لكي تكتسب من غناها العلمي والادبي ادوات تزيدها مقدرة ومهارة في نقد الأدب السوداني القومي الذي تريد اتجاها «(١)» لم تتحه هذه المدرسة هذا الاتجاه انكارا للتراث العربي الاسلامي أو تجاهلا لاثره أو ستصعاعا لشأنه . انما كانت تبحث عن «ريادة المقدرة والمهارة» . انها تريد ان تصيف إلى ما عندها وللعبوة فيه نصيب كبير . ثم تخرج انتاحا مستقلا وان حوى بعض ملامح لاصول وشيئ من سمات المئات . وها هو ذا احد رجاء تلك المدرسة يقول : أي(٢) لاقرر في تأكيد زائد ان اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية سبطل ملامح لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد وما قامت فيها ثقافة وحركة فكرية . لكن هذا الاثر بلا شك سيكون عرصة للتفاعل مع المكتسب من الآراء الحديثة والافكار الغربية . وسيخضع كلاهما إلى جو هذه البلاد وما توحيه جغرافيتها وطبيعتها من افكار وتحيلات .

ان هذا الاثر . اثر الدين الاسلامي والثقافة العربية . سبطل ملازما لحركتنا الفكرية ما بقيت هذه البلاد لانه اصل اصيل في بيئة السودانية ، وهو التراث الذي تشعبت به تلك البيئة وظهر في المجتمع السوداني قويا واضحا في حياة الناس في الدور وامكنة العمل وفي المتديبات . واتخذ بعض الشعراء وسيلة لاثارة حماس المواطنين وتبصيرهم بما كان عليه اسلافهم في الماضي حتى يبين لهم حاضرمهم فيهبوا لاصلاحه . لى هؤلاء الشعراء إلى التراث العربي الاسلامي لأن السودان يرتبط بالعروبة والاسلام ارتباط الدم والثقافة والعقيدة . وهو في

١ - الاتجاهات الشعرية في السودان ، النوبى ، ٦٠ ،

٢ - المصدر نفسه ٤٤ (محمد احمد محجوب ، الحركة الفكرية في السودان .)

أرت أم عباس اعجوبة
وما أم عباس الا عجوز
تشرني وعلى وجهها
وتحلف ان لم ائل ما ترى
تجادل ان انا جادلتها
تلقته عن ملك في المنام
نذرت لها شقة مؤمنا
ففازت بها رغم مطلي لها
فقد نباتني بما لم يدرك
فواعجبي كيف نباتها
وواعجبي كيف في عصرنا
وان كنت صدقتها ما ادعته
ولست بمعترض بعدها
وفي الرمل اشياء لكن له
امور اري بعض أسرارهن
على انها خدع عندما
اصدق من صحيحاتها
ولكن من الحمق ان تترك

تفضل كبير الحجى بالودع
تقى بها نزعته للسورع
يريق السرور بحظي لمع
فليست تعود « لخط الودع »
كمن هو في منه قد برع
فأى ملاك لهذا شريع
بأن الذي اخبرت لن يقع
مطررة ليس فيها رقع
بأنى هو حقا وقع
وديعاتها بأمر تقع
تصح الخرافات في المجتمع
فما انا الا لعقل تبم
اذ اصبح الناس جميعا « شيع »
حساب على فهمنا ما امتنع
صدقا به من داره اقتنع
يزاولها بعض اهل الطمع
ونست تحوز على الخدع
الالباب مشايعة للبدع

ان شعر حمزة زاحر بالصور المحلية كهاتين لصورتين وغيرهما من وصف بعض
المناظر والبقاع والمناطق في السودان . ان نحمد له تعمقه في الوصف فهو يتعدى
ذكر ما يقع عليه البصر أو يبتقطه السمع إلى ما يدور داخل النفس ففي قصيدته
« ليلة ونهار » التي تبدأ بقوله :

الشمس خلف الجبال
والكون في العين امسى
كأنما كل شيء
غابت ولاح الهلال (أ)
حقيقة كأن الجبال
مكون من ظلال

ثم يحدثنا عما يجول في دخيانه قائلا :

هذا سكون مريح	لمن اطال النضال
لكن نفسى تفانت	في حيرة وانفعال
اواه مم قدسى	خسها بفسال
فهل ترى الموت يشفى	من مثل دائى العضال
هـ سؤو وكس	داد حواب اسؤال

ينسج حمرة على هذا المنوال حديث عن ذات نفسه ولتعبير عن حيرته في بعض حقائق حياته في معظم قصائده وهذا « نغم حديد في الشعر السوداني . لا نجد عند محمد سعيد العيسى أو عبد الله عبد الرحمن أو عبد الله محمد عمر البيا أو غيرهم (١) نكهة يفتح إلى نغامة حينا ومثل ذلك قوله :

الحمد لله راقت واعقب الحال حال (٢)

والجمعة الحمد لله راقت تعبير يدور كثير في ألسنة عمدة الناس . ومنه أيضا قوله

زعموا انه الخداع ولكن كيف في الشيء تخطى العينان

فقد عدى لشعر نعل تخطى حرف حر في وهذا من اسباب النغمة السودانية اذ يقال فيها « يخطى في .. » .

كذلك نجد النغمة في قوله :

ثم على اشارة قراها رجعت عمة من الدبالان

وهي قوله « نغم هذه الخرب لا ورق مدث عنه الكلام يضول وتعبرتن عمة من الدبالان » والكلام بطول ، من النغمة نغامة السودانية . وهكذا اذا تنعنا قصيدة حمرة أو زردة في ديوانه نجد اثر النغمة في عدد منها . ومع ان الشاعر يعمق في وصف حسنة وهي وصف مظاهر الضعة في وضع السودان الا انه لا يتخير بوصف هذا بعض الاندما والتعبير الخسية ولا يعنى دسلوته العديدة نى تناسب دقة الوصف وعمقه .

١ - الشعر الحديث في السودان - الشوش ١٦٣

٢ - ديوان الطيبة - حمزة الملك طمبل ، ١٠٥

وفى وصف الخلوة قال التجاني يوسف بشير (١) .

هب من نومه يدغدغ عينيه	مشيحا بوجهه فى الصباح
ساخطا يلعن السماء وما فى الا	رض من عالم ومن اشباح
حنقت نفسه وضاقته به	الحيلة واحتاجه بغيض الروح
واهابت به الظلال وقد نشرن	فى جلوة القرى والبطاح
طوفت فى خياله ذكريات الر	وع واعتاده مطيف الجناح
ومشى بارما يدفع رجليه	ويكى نفسه ملتح
ضمخت ثوبه الدواة وروت	رأسه من غيرها الفياح
ثورة صورت خوافى ما بين	حنايا صبينا من رياح
ورمى نظرة إلى شيخه الجبار	مستبطن خفى المساح
نظرة فسرت منازع عينيه	ونمت عما به من جراح
حبذا « خلوة » الصبى ومرحى	بالصبا الغض من ليل وضاح
رب يوم اغر يزهو بدرى	نطاق وعبرى وشاح
وظلال من الضحى ظفرت	منها بعقد من الصبا لمساح
زهرات شتى منوعة الالوان	من سوسن الربى والافاحى
منعت شمسها فعاودها الف	هوى يستفيدها للمراح
ونفوس سجي الكرى فى حوا	شيها ودب الفتور فى الارواح
فارجحت مهمومات وما	تبرح مركوزة على « الالواح »
كلما تنفها العاس وضفى	فوقها عالما ندى الجناح
قصفت الرعد فى المكان ودوى	مرزما صاخبا قوى الصباح
فاستفاقت وهينمت بعض اشياء	وعادت وعاد قصف الرياح
صور للصبا الاغر موشاة	بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مفاتن دنيا	ها وتفسر عن سنا وضاح

نظم التجاني قصيدة وصف بها مدينة الخرطوم فى ستة وعشرين بيتا لم يعرض فى قصيدته هذى إلى المناظر الحسية المحددة لى تميز مدينة الخرطوم كموقعها بين

١ - اشارة ، التجاني يوسف بشير ، الطبعة الرابعة ، ٥٦

اليلين . وكم نظرت لنداء امياي لاسيما هي زمن النيسان . لم يذكر الشاعر شيئا
عمد صلب هذه المدينة من تقدم عمر في . وعما فيها من نهضة تجت في بعض
بديتها . وغير ذلك مما يمس حياة اهليها أو يصور تلك الحياة . ومهما يك من شيء
فهذا بعض ما قاله التجاني في مدينة الخرطوم :

مدينة كثر هجرة الموقدة	تفتح لطيب عن قطرها (١)
صفوها اسحرية مورقة	يخلق قلب البيل في صدرها
تحسبها اغنية مطرقة	تغمها الحسن على نهرها
مبهمة الحانها مطرقة	رجعها الصييح من طيرها
وشمسها احمرية المشسقة	تترج ذاس الصوء في ندرها

.....

احنى عليها الغصن الفاره	وظللها العنقود من حادر
وهام فيها القمر الرافه	يعزف من حين إلى آخر
قصيدة خمي لاله	يرعه المد والشدع

.....

مدينة السحر مراح العجب	ومفتدى أعينه الساحره
تنام فيها حجرات الذهب	على رياض نضرة زاهره
اضاءها الفجر فلما غرب	اضاءها بالانفس الناضره
وحقق الحسن قد وده	وزانها الحب بما صوره
يا للفرير الحلو من ذا احب	ويا لذلك الظبي من ساوره

ان هذا الموصف وصف جيد مع انه وامتطى العنون لما عرفنا لمدينة الموصوفة .
وسر جودته ما اودعه الشاعر من صور شبة متعددة رسمها خيال رومانسى . يبدو
من هذه الصور ان اشعر معجب بمدينة الخرطوم وما فيها من حسن بشري .
نشاعر قصيده وصفيه اخرى خص بها حزيه . توفي ورسم فيها بشعره بعض
منصرها الطبيعية وما يدور فيها من حركة في الصباح في دعة واربعين ليله .
وها هو ذا بعضها :

يا درة حنفها النيل
وصحا الدجى وتغشا
وصاح بين الرني
وطاف حولك ركب
وراح ينفض عينيه
محايا لآيك سن
كم ذا تمأرج مس
يحو نور وتعو
ولهم تمسرح ورر
تخوب صحن والطحن
وهب صرت ابو عير
ان احمر وقد ضا
تكسرت وهي تهوى
وظل قرنسك ي
مكن عصص مصابيح
ونور نطل واحمر
وذاب في الرمل او ما
ترجل الريح ما اتها
رملاء يبرق در
والفلك في حبيبه
هكذا شرع مكر

واحتواها البر (١)
ك في الاسرة فجر
الغر عقرى اغر
من الكراكي اغسر
من بني الايك حر
وفه في الغش دير
على يديك وسحر
سه وتنهق حمير
خ مونسى غصير
وانغلاء المسير
وهو في لشحو مر
ق ناقيب الممر
مدا تلاء كمر
شمس آنذك يستدر
من ندى يستدر
في اتري المحضر
ج في الترائب غير
ل من نقا او تذو
منها وببهر در
كالدهسر ما تستقر
وذا شرع مفسر

في هذه الابيت التي اخترناها من قصيدة توتى في الصبح وصف حيد
ايضا ففيه صور عديدة تأسر القارئ بجمالها وتستهوئ السامع بحكمها وحينئذ
يراه بخياله رقة حية . ان المأزر لى يصنع الشعر يكون منها صورة شبه
بحقائق الحياة في توتى انه تكن منها نفع . وقد اعد الساعر خيال الخصب
لنفاذ في تلك الخفايا بوصف شائق حتى يبرز حسن الطبيعة في بقعة من

بقع بلادن . و وصف الخراطوم جميل و وصف توتى جميل . وقد عجب الشاعر
 بالخراطوم لما فيها من جمال حتى ساقه وجمال معنى خلب له فهي حضرة قومه
 ومصدر الكثير مما يتوقعه الشاعر لبني وطنه . وقد عجب الشاعر بتوتى - راقه
 جمال لطيفة فيها . وفيه ما تصوره من حياة القروية وما يتجلى فيها من سحر
 لريف السودان وحياة اهليه البسيطة وما يزينها من صدق في العزيمة والايمان
 ومساحة في الخلق . و لنا لمحد وصفه لتوتى حب إلى النفس فالصور فيه ابهج
 و واضح وهي ايضا اصدق لاما بسطة بساطة لحياة في جزيرة توتى . فقولته :

رملاء يبرق در منها ويهر در
 والفلك في جانبها كالدهر ما تستقر
 هذا شرع مكر وذا شرع مفر

صورة حية نضرة لسطى اصيل فى توتى ورماله تلالاً درتها تحت وهج الشمس .
 والقوارب المنتشرة فى اشاطىء بعضها ذاهب وبعضها الآخر آت . والوقف منها
 تحركه الامواج وتنبهه فيهر أو يحتج ويضطرب مع حركة الامواج . يتأمل الشاعر
 هذه القوارب فى اضطربها واختلاجه أوسيرها ذاهبة آتية فيتذكر لدهر وصروفه .
 انه يشكو فى غضون عجبه بلجمال وافتتانه بهذا المنظر . وقوله :

مدينة السحر مراح العجب ومفتدى اعينه الساحرة
 تنام فيها حجرات الذهب على رياض نضرة زاهرة
 اضاءها الفجر فلما غرب اضاءها بالانفس الناضرة

صورة أو صور جميلة لكنها فيما نرى لا تنضح لعين الخيال . ولا نستطيع ان
 نعرف مراد الشاعر من قوله حجرات لذهب تمام على رياض نضرة زاهرة
 ولا نستطيع ان نتخيل تلك لحجرات نائمة ون موضع نومها رياض نضرة زاهرة
 اما تأت هذه لآليات فلا يدخل فى الصورة السابقة الا انه يشيد باهل المدينة اشادة
 موجزة عامة . هم انفس ناضرة تحل محل الفجر اذا غاب . وهو يريد بامحور
 ههه صوء الشمس أو النهار لان ضوء لمجر يبقى قليلا ويعتبه النهار فهو اذن بداية
 ونعل هه هو ما ادح لشاعر استعمال الفجر ههه فى هذا المعنى . ان شعر
 شحني جيد بصفة عامة من حيث المضمون والشكل فقصائده تنسم بوحدة الموضوع

وخصوبة الخيل إلا - معانيه لا تخلو من الغموض حين ويشيع في بعضها نفس صوفى . أما سلوكه فسلام في الغالب الأعم فقد اذمه قرأ من شعر الاقدمين وأدبهم ومما درس على شيوخ المعين العنى سلامة العبارة وأورن وصحة التركيب اللغوى .

لم يصم نحافى شعرا في لوطنه والنيسة كما فعل كثيرون من شعراء السودان إلا ان شعره لم يخل من تعق بالوطن وتفكير في شؤون لمواطنين . كاد تعتقه بوضه يقوده إلى الثورة فقد ضيق ذات مرة مما يلتقى لاجنبى فى بلاده من ررق ميسر وعيش هنىء . وعز عبه ما يحلده السودانى من حرم من فقال :

ففى بـ مملأ الملامد حمسب ونقوض من ركنها امر حجن (١)
هى للنازحين مورد جود وهى للاهلين مبعث صن
يستدر الاجانب الخير منها والثراء العريض فى غير من
ابطرتهم بلادنا فتعالى ابن اثينا واستكبر الارمسنى

غير ان ثورته هذى هدأت فجأة فقال يكمى سمه فى باس قاتل :-

يا بلادى خلصت الخير واستصميت ودى ليك من كل مين
يا بلادى وانت اضيق من رز قى مجالا ودون اخوات اذنى
حسب قلبى من الاسى ما الاقى ملء جنبى من كلال واين
وبحسبى من حاجة عوز يد قع نقبى إلى فراق ووين

وهى قصيدة أخرى صرح بدشغفه بمر فرمه ، فمن سهر مض بورنه لاجهد والضعف إلى عمل متو صل يصيبه فيه النجاح حيدا والتمثل أخرى ، وذلك حيث يقول :

كم صباح نسجت انا والنجم وارسلت شمس من محطى
قلت سبى على سررة قومى وسبحرى على مصجع رهضى
انا جراءهم سهرت ليستغشوا ومن اجلهم اصيب واخطى

تساو نشعر محمد المهدي محذوب بعض الاحداث لتاريخية اتنى تصور

أمجاد بلاده . ففى قصيدته « المصير » (١) جاءت الايات الآتية :

زمازمه حول النحاس المغرود	أسمع من شيكان رعدا تحدرت
كسيف على ثأر يناجيه مغمود	فهاج بخلفا قبر عثمان لفسه
وهاج ابن منصور قتيلًا بمسجد	واسمع شيخى غائرا من نشيده
تصبح الا انظر هبة الفجر واشهد	واصحت ما صدقت صى وعينى
مبددة اثر الفؤاد المبدد	وجمعت اشلاى وناديت عزمه
يبث بها فى الضوء ظل التردد	وعن عجب لم استرح من هواجس
زمان الاسى هيهات انسى بملحد	وما ضاحكتنى فرحة قد دفنها
اسامر حقدى بالشمات المبرد	ولكننى - والامر لله - حاقد
تبسم شيخ حاقد الشيب ادرد	ويسرحى نوحى نى نحو الخى
سرى الماء يجرى بين احناء جلد	جيبنى صخر لايبالى وهل شفى
على وطن دامى العشيات مقصد	بذلت حينى نازيا واعيسى
حجلت بها حجل الاسير المصفد	واوطى خمسون عاما تصرمت
ومزقت ثعبانا من القيد فى يد	دعمت عيها رية المصير فى يد
إلى كبرى بينا على غير موعد	ففى سقى من تونوا ورمعو
فجشن بغاب من رماح محشدة	غرسم لواء فى دماء خصيبة
سيوف تنادى فوق درع مزرد	وثرنا فهذا النيل ارسال موجه
تصبح بسيف على كل مرصد	تشير إلى اعدائنا فى قساراه

يتذكر الشاعر هه شيكان و كبرى كما يذكر بعض اشخاص لا انه لا يعددها عدا . ولا يرسلها فى نظم خاوخا من العاصفة بل يدخلها فى فيض من عاطفته حتى ن تلك الاسماء مع ملها من مكانة ووقع تخفى فى ذاك الخضم المستهب . يبدو فى اوائل هذه الايات غضب مكوم نخس به فى تساؤله : « أسمع من شيكان رعدا » . انه تساؤل الراغب المئنى انه يود لو جلجل رعد وقصف وانبال على الاعداء وحصلهم حصص نعل بعض ما حدث بدا للشاعر هكذا . فشفى

نفسه وبرأ ستمها ، لكنه لا يكاد يصسق ومع ذلك ينتظر كرة أخرى . ثم نحس
ألما دفيناً في قوله :

وجمعت أشلائي

وقوله : لم استرح من هواجس

وقوله : وما ضاحكتني فرحة قد دفتتها

واننا لثلم معه فواصله ممقطعة . وعزيمه واهية لا يكاد يسترجعها لأن فزده لا
يسعه . ونرتي له لأن التردد يعتاده فتكثر هواجسه . فيذهب فرحه بحس محنة
الاسى والخذل — فقد تمازجه شماته ، فقد عتيق غلته السنون . رغم هذا الاوار
العاطفي المتأجج في دخيلة الشاعر نراه يسترجع قوه ويأخذ في فخر صلب عيب
وكنه يريد ان يعلن بذنك عن رفضه الاستسلام للضعف وعروفه عن لشكري
وكيف بضعف ويشكو وما هو ذا وطه يهب في وجه الدخلاء بغد عن لقيود
وطول الامد .

سفي قصيد أخرى سماها الشاعر « عيد الحرية » (١) . قال :

وطبي الذي اهوى .. لعيني مسفر	يدعو رثاى اعبرت فتصبر
فجر تخلق من ارادة أمة	وأهل تسمع ما يقول فتذكر
صاف توهجت المنى بضياته	شنى كما عكس الاشعة جوهر
والنيل قد لبس الضحى من خضرة	متموج فيها العباب الاسمر
والرمل من ذهب يشف ، مآزر	تحت النخيل حريرها يتكسر
والزهر انفاس يطوف عسبرها	متوقف ، متلفت ، متعثر
والزرع نور وعده لسواعد	أخشاء تورق في الضفاف وتثمر
صور عشقت لها الحياة مريرة	وبقيت بين خطوبها انتظر
اصغى إلى الصبر الوقور وخلفه	كبد يذوب على شباب يدبر
واني وان فت الشباب فانه	وطن يدوم به صباى الاخضر
مهد لاطفالى وتدى امومة	متجدد يهب الحنان ويؤثر
عيد ولم يك قبله من عائد	يأتي ليلى باسماء ويبش —

قد كان دهن محاجر من ظلمة
حتى اذا نضج الحفاظ اباحه
وافاق يشعل ناره في ليله
ويدا الصباح مهندا في لمعه
ضرب القيود فكل عى منطق
والنيل منبر ثورة اعواده
وطنى الذى اهوى كتاب ملاحم
وعماثم بيض هبل غمائمها
وقرى على النيل الوفى برزقه
معصومة فى خلوة ميراثها
فعدت ترقص مغزلا مترنما
وتعف عن ذل السؤال مروءة

.....
وطنى اعود به كيوم خروجه
غمر التلال فكل تل مهجسة
وارن فى كررى نحاس كريمة

.....
فحرا بنى وطنى واني شاعر
من مبلغ شهداءنا بدمائهم
هكس تهافت فى حباثل مكره
يعلو مناكب سابح متمطر
نسر تطلع للقضاء ودونه
او مارأى بعد المزعمة ثورة
اودى به قومي واصبح قصره
وافاه منا امر نختساره
قصر تنوب ظلاله من ريبة

الصبح فيها عين تنحجر
د . تكتمه النفوس . معمر
تهدى الكرى للظالمين وتسهر
ضحك المغيظ بكل هول يسخر
يصمى العداة وكل سد معبر
غاب وراء لبوئه يتممر
كبرى نضىء على الزمان وتبهر
فى ظلها كرم يهش منضر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر
لوح وآيات عليه تسطر
وتغض عن مكر اللئام وتغفر
ترضى وتؤمن بالقضاء وتصبر

.....
فى الخيل مرودها النحيج لاحمر
غنى باضلعها الرصاص الممطر
حسل يكاد حماسة يتعطر

.....
بالخالدات من المآثر يفخر
بقيت بنا تلقى العداة وتثار
وتلاه كتشير الكفور الاعور
والريش من يافوخه يتحدر
كررى تسيل بها الخوف وتزخر
لا تنثنى وعزيمة لا تقهر
فى الشط نملك امره وندبر
جهرا يساند رأينا ويؤزر
وبياضه من فتنة يتطهر

ولقد نرى غردون في بهائه شو تدوشه ارمح الشحر
يمضى البعير به ويعلم انه شح جلاه على لعون مصور

مرة أخرى نجد العاطفة الملتهاة ولكنها هذه المرة حب جارف عميق ، احب بلاده
نبيلها ورمليها ورهرها حيا صور له وطنه فجرا صافيا مسرعا ، تخلى من ردة مته
انه حب اسسه اعجب قوى بمظاهر الطبيعة في موطنه وايمان عميق بالله وخلقهم
واعتمادهم اوتوا من تراث عريق مقدس . لقد ولد الشاعر وشأ وترى بس هؤلاء
الناس ونعم بعضائهم وسيعم ولاده ما ويهلون منها :

مهد لاطفالي وثدى امومة متجدد يهب الحنان ويؤثر

ان الشاعر مفتون بمشتر قومه انه يمحرمه ويعددها واحدة واحدة متمنيا ان ينهض
الشهداء من قبورهم ليشهدوا الامجاد الحديدية التي ستضاف إلى ما قدموا من مآثر
في عضون فخره يندد الشاعر بهكس وكتشتر وغردون في تيه وسخرية إلى حد ان
يتعد بعين الحياء إلى الماضي ليرى مصرع غردون ويصوره لنا بكلمته . محمد الشاعر
في اياته هذى ، قدم به مواطنوه في سبيل سرجع حريتهم واستخلاص ارمه
الامور من الحكم الاجانب واعادتها إلى نقر منهم :

وما رأى بعد المزيمة ثورة لا تنقضى وعزيمة لا تقهر
اودى به قومي واصبح قصره في الشط تمسك امره وندير
وافاه منسا آمر تختاره جهرا يساند رأينا ويؤزر

وقد كان جهدهم صادق متواصلا من الحكم لاجنبى وعسل الادرن واعاد
إلى البلاد طهارتها ونقاءها —

قصر تتوب ظلاله من ربه ويباضه من فتنة يتطهر

تدو له عاطفة محمد المهدي مجذوب في قصيدته هدى قوية عميقة ساحنة . انه يد
يوصف مفصل حميل يحدثنا فيه عن المتجر المائق وارمال الدهى . وارهر وانفسه
ذات العبير إلى غير ذلك من المشاهد المعجبة فيشيع الهجة في مطامع القصيدة وتتأمل
منه الينا بهجته تلك الناطقة بحبه ، ويؤكد ذلك بقوله :

صور عشقت لها الحياة مريرة

وامرؤ بهواجه لا يأسى على شانه انثت نما بسعد لان نشأ نيه فى هذ الوطن
بطبيعته الخلابة واهله الاخيار الأبرار - هى استمرار صاه الاخصر - هكذا
يتدفق اشاعر جب جردف وتفويض عباراته عطفة كمد حس حررة هبها فى معظم
ابياته .

نسقل بعد هذ إلى مقطوعة قصيرة من نظم الشاعر عنوانها الطبيعة : (١)
قال فيها :

وطى وقاك من الدخيل وظفره	ليل الشبية والمشيبي المقمر
خمسون من عمر الزمان تصرمت	سودا وانت بها ترد وتقهسر
حتى اذا برح الخفاء تفجرت	دفع الصباح وللظلام تكسر
خمسون قد طويت وعدت خدر	ما زال فى كررى لواؤك يخطر
وبسمعى وما وهمت قصيدة	شيكان تشد رجعها وتكرر
وبأعيني كررى تعود كأنما	لم يطو فيها للبطولة منظر
وطنى هو الدم فائرا عتقته	كررى تضج به الغداة وتزأر
ان الألى خذلوك حين دعوتهم	طاشوا واسكرهم عقوق مسكر

هذ فى هذه الأبيات - مع قبتها - تنصح لما براعة الشاعر فقد صور جهاد الموضين
شبا وشبد وعملهم متصل من أجل بلادهم . جهاد تجر كدفع انصباح
" فتكسر الضلاء - منها - وامرؤ اعجاب الشاعر بوقفه وموطنه شى كررى
وشيكان نراه يجعل جهادهم هذ استمرار لجهاد اسلافهم ودفاعهم عن بلادهم
فى كررى تم برطه كذلك بمعركة شيكان هذ 'اربط العطفى الخيل ذ يقول :

وبسمعى وما وهمت قصيدة شيكان تشد رجعها وتكرر

قد كنت شيكان تشد رجع القصيدة وتكرر فكررى تضج وتزأر
" نسيم الدئر وما زال اللواء يخطر " فيها 'لواء انصر فكأن سلافا الذين
'اندحروا هذ لم يحسروا لأن احفادهم هبوا ووقفوا فى وجه الخيل إلى ان نصرروا
عليه واجلوه عن بلادهم .

يبدو محمد المهدي مجذوب في هذه الامة التي عرضها شاعراً قوى
الخيال مزاحج العظيمة بارعة في ثقل عاصفته في قرئه ومستعوى شعره وفي تصوير
ما يدور بخياله ، يزين كل هذا اسلوب سيم ناصع .

من شعراء الوطنية المحدثين : جعفر حمد البشير صاحب ديوان : حرية
وجمال « ضمن الشاعر ديوانه هذا قصائد عديدة يتحدث بها عن فتنة بعض
مدن السودان وبقائه ، وهي كثير من القصائد لأحرى يدعو الشاعر نبي وطنه
للانحد ويستحثهم لعمل على اخراج احكام الدخلاء ، ويوسع اولئك الحكام
وحكمهم ذمما وانتقاما . كذلك يشجع في قبة من قصائده نهضة الفتاة السودانية
في غير ذلك من الموضوعات الوطنية لم يغفل الشاعر العلم لاسلامى واعلم اعربي
فقد نظم فلسطين وايران ودع مصر والسودان : لنكفح المشترك » . في لديوان
ايضا قصائد عاطفية تكشف عن حب الشاعر للحب وعائلته شديدا بمقاتته في البشر ،
وفي المظاهر الصيفية في المدن أو في الريف . وهى ذى ابيدت من قصيدته التي
نظمها لمدينة الخرطوم : قال :

وسجرا ودنيا كنها سمات (١)	رعى الله في الخرطوم حسنا وفتنة
وشرق افق حولها وجهات	اذا جئتها عند المساء وقد زهت
من النور رفاف له بليجات	وطارد اطراف الدياجر جعفل
وشعت انايب به وكسرات	سرى في سلوك الكهرباء فابرت
فهاجت جنان حوله نضرات	وهبت من التيل الجميل نسائم
ولو انها في اهلها حرمات	جنان ولكن لست اغفل ذكرها
وحسن فهل في روضك الحسنات	حنانك يا خرطوم كللك روضة
مشين فكان الدل والخطرات	وما روع البيض الحسان سوافرا
فتزدهر الساحات والطرق	يطوفن في وقت الاصيل تترها

فالنفس في تحراجه سجدات	جمال يهز النفس اني توجهت
وطابت لدى مرتاده الروحات	فما ابهج الخرطوم طاب غدوه

ونبحث عن عاطفة الشاعر التي أثارها حمل الخروض الطبيعي . وجمال ما رأى
الشاعر فيها من بشر في هذه الأبيات فلا نجد ، إنما نجد وصف سطحي لا يكشف
عن أعجاب عميق أو اعتناء . نلاحظ أن الشاعر انتهى وصفه للطبيعة الجميلة بسيت
الخامس واجمله فيه فقال :

حنانك يا خرطوم كلك روضة

فهو انتهى أعجابه . أو لم يبق بعد هذه الأبيات خمسة وما جاء فيها منظر جميل
في الخرطوم يستحق الوصف . أما الجمال البشري فقد خصه بثلاثة أبيات واختار
« بيض احسان سوافر » ولم يزل فيهن الا قليل ، ونلاحظ تساعا عن السمراوات
المحجبات . لقد احسن الشاعر وصف وتبيان ما ينبغي ان يصف في المعجبين ذوق :

فني كل عين خفة وتطلع
جمال يهز النفس اني توجهت
وفي كل قلب نابض لغبت
فستنس في محرابه سجدت

الا اننا نود لو أن استمر الشاعر وتعمق قبلا فالمجال متسع .

لشاعر قصيدة أخرى هي ذكرى ودي الارك - تضمنت هذه القصيدة وصفا
لذلك الوادي وبنت شوق الشاعر وحينئذ ايه . وها هي ذى بيت منها :

يا بلاد الارك ما زلت الذكرى	بمكرى وما يزال الحنين
وغرامى . فمناست غرامى	أو تشككت فيه ، فهو ثمين
ان توالت منذ افترقتا سنون	فلقد الهبت هوأى السنون
كيف وادى الارك وغابة الخضراء	والرمل والجلب الجسون
والسحب الركام ، والافق الدائم	والطلل والنهار الضنين
وانسيم نليل يعبر فى رفق	فتنساق ذبى الشجون
والتيال ندى الارك ودر	نهكت ضوءه الحبيب اندجون
وصحاني ندى الارك وقوع	نا صلب بجبههم مفتنون

ان الشاعر ههنا اقرب إلى التقرير والتعداد منه إلى الوصف لعاصى السى يصور
مواضع الذكريات تصويرا يشبع البهجة ويرسم لمظهر تلك الموطن صوراً حية
معبرة يراها القارىء بين الكلمات بعينى خياله .

عبر الشاعر على أكثر من قصيدة من قصائد النديون عن مسائل شعلت بقله .
اولاها تترك كلمة مواضية فقد آله ذلك ايلام ضيق لسانه في لومهم وحثهم على
الاتفاق - قال :

يويح قومي الالم الخلف يسمعهم	خو الختوف ومديرون مصعما (١)
هل آثروا الخلف في هذا فهم جرماء	م آثروه على هذا فهم ضمعا
من لم بهم امة خرساء ن لفتت	الفتت شمس بينها ظل صمعا
حتاه يقوم حتى في خلصنا	من رقة لئلا يعسو رأيب شيعا
اواه اني احسن الغيط ينجمعي	من مة لا تحس لصر واوحع

ان هذه لمقطوعة رعدا عما تنطق به من غيط اشاعر وما يبدو في وضا من خبرته
الا انها اشبه بانحطاب 'وطني ليسي المتري منها بالشعر اذ هي خلو من خيال
والعطفه كما ان في اسودها شيئا من الضعف - انه يذكر م - والمعدل بعد هذا
وهي قوله « حتى في خلصنا » رائحة العامية . واما لمحار في مايريد اشاعر من
البيتين الثاني والثالث . يعي اشاعر على مواضيه خلعتهم هي أكثر من قصيدة وشك
من تقصير بعضهم ومن ثقة بعض دخلكم لاجبي ورجاه . كذلك اعلن سخطه على
الاحزاب لانها اضررت بالبلاد ، قال :

وطي لئن فتك المدحيس فمثله	واصر منه تدت الاحراب (٢)
ماضر لو كن الكفاح مبرء	من هذه لاوضر ولاوشاب
وضى لو الاعداء كانوا وحدهم	حرب عليك فذاك غير عجاب
لكن ويا اسف عليك فاما	حرب من لاعداء ولاحاب

كذلك اعلن سخطه على لحكم الاحثين وسعهم ذما وقتا . ودعا إلى اخراجهم
وحث مصر والسودان على اتعدون لسوخ هذه اعدية لا انه في كل ذلك كان حطينا
أكثر منه شعر فالعطفه ناردة والخيال ضعيف ولاسرب لا يحو من ضعف
احيانا وقد مثلت لذلك فيما مضى ونصيف استعمال لكلمة « فتاك » ولا نحسب
هذا الورن يصاع أو يستعمل من هذه المدة . ومن الخلل اورد قوله :

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى ٢٦

٢ - المصدر السابق ٤٤

فرقت بينا الحياة ولكن ربطت مصر حلقه الاتصال^(١)
نحن جميعا بنو العروبة ان تنسب فما ثم غير عم وخال

وقوله :

هيمن مفتونا ولست اخاف بعد المزيد

وقوله :

ولكنما الشعب الابى سينتهى لعائته يوما والا فقد يقنى

وقوله :

انه المجهول فى الاحياء فليلق اذكارا

فاكرموه قبل ان تبثوا على الاموات دارا

هذه « انصابتكم » لم تلق منا اعتبارا

الاحداث العالمية فى الشعر السودانى الحديث :

لم يقتصر شعراء السودان — على اختلاف مدارسهم الادبية وميولهم السياسية —
شعرهم على مشكلات السودان وموضوعاته بل خرجوا به إلى لعالم الافريقى
لادراكهم ان الشعب الافريقى ضعيف مستضعف وانه يشاركهم المصيبة اى سيطرة
الاجنبية . وانه يحاول جاهدا التخلص من تلك السيطرة . مثله فى ذلك مثل الشعوب
فى السودان ومصر والجزائر وغيرها — فوق هذا وذاك فان الشعب السودانى يمت
للعلم لافريقى اصلا ونشأة كما يمت للعلم العربى . وآلام اى جزء من افريقا تثير
الحزن فى السودان . وافر ح اية نقعة فيها تحرك للشاعر فيظهر اثر ذلك كله فى
شعر الشعراء ونثر النثرين . وهذا الذى يظهر فى الشعر أو فى غيره يشد من ازر
اوتلك المصابين المكافحين الصابرين . وفى لوقت ذاته يقف مضجع خاكم
الاجسى المتسلط . ويذيع امر ظلامتهم وينشر خبر جهادهم فى جهات متعددة
وبهذا ولهذا يقلق اندخيل المتسلط ويضيق باولئك المضطحين ومن يترزروهم فينكر
فى مخرج ومن هنا يأتى الفرج .

عمد الشعراء السودتيون إلى مدصرة الافارقة والاشادة بابطافهم وبجهدهم

ليحصو على ما يريدون في الحياة من حرية و استقلال تدفعهم إلى ذلك العواطف
الانسانية والطموح البشرى فى ان تكون لهم وقفات مثل وقفات بعض الافارقة
وزعماء مثل بعض زعمائهم . ها هو ذا جعفر حامد البشير يخاطب ثوار كينيا
« الماوماو » قائلا :

وهب مناضلا جومو وقال لشعبه قوموا (١)
أيسعد عندنا الافاق وابن الغاب محروم
فرددتها من الغابات موتور ومهضوم
واشعلها فما خمدت لها وقد وتضرم

.....
وقالوا انهم جاءوا إلى التمدين فى الغاب
وكيف يمدن الغابات ذو ظفر وذو ناب
وذئب يشبه الانسان فى شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

.....
تحرك مارد الادغال وهو المارد الاكبر
شجاع لا يروعه لهيب النار والعسكر
خطير دونه المخشى والمرهوب والخطر
ربيب الغاب ترب الاسد يزأر مثلما تزأر

.....
اجومو يا عظيم السود انا نخفض الرأس
تحيات واجلالا واعجابا واحساسا
اجومو اننا نشكو من الزعماء افلاسا
فكن بالله يا جومو لهم هديا ونبراسا

لم يشر فى قصيدته هذى رغما عن طولها الى صلة بين السودان وكينيا أو إلى هدف
يسعى شعب كل منهما إلى بلوغه ، وفى القصيدة ضعف يظهر فى الأسلوب فقوله :

وقال لشعبه قوموا

اشبه بدمية . وقوله . وفو انهم جاءوا إلى التمدن في لعب .
يظهر الضعف أيضا في الخيال حيث يقول :

وذئب يشبه الانسان في شكل واثواب
وافعى تحرق الاجسام بالنفثات والصاب

وسبب لصعب أو مسته فيما نرى تشبيه في أول نبتين فهو القديم المعروف الذي
كثير تداوله . وعلى سبيل رد الشاعر أن يجدد وينكر فيعيد عن المألوف ليأتي
بالعجب ولكننا نرى أنه لم يوفق لأن الأفعى لا تحرق بالنفثات والصاب
بل تنفش جسمها بعد ارضاب ولام . وهي ناعمة ملمس جميلة الجلد إلا أنها
مخيفة فتول ومظهرها لا يتفق ومعها . وهما موضع التشبيه . لكن الشاعر
تجدد بكثرة ورودده في شعر كثيرين من القدماء والمحدثين . وكان أن جاء بهذا
البيت وقرر فيه . الأفعى تنث صاب يحرق لاجسام . وهي لا تنث صاب لأن
اصاب شجر مر (١) . ولم يعرف عن الصاب أنه ينث أو يحرق لاجسام حتى يقال
أو يصر أن الشاعر يشبه ما تنثه الأفعى وهو سم قاتل بالصاب .

لم يعجب الشاعر الدكتور عبد الله الصيب ما ارتأته حكومة بريطانيا في
امر الزعيم لافريقي سرتس خاما بن سحق على الحكومة ورئيسه وحزبه ثم
عبر عن ذلك السخط بقوله :

لعمرك ان مالتى ابن خاما عشية قولهم ألا يعودا (٢)
لموعظة لكل فتى رشيد ومن لك ان تحس فتى رشيدا
ارى اتلى والعمال ضلوا ضلالا لا منار به بعيدا
فيا تباهم ولا قسوا كما لاقى الاوائل من ثمودا

ويبدو الشاعر حزينا لمصير الزعيم في قسمه الذى يبدأ به بيته وفى الاية
التي يختتمها به عن مصير الزعيم مفتى بن خاما ويظهر رأس شعر فى البيت
التي . م السخط ونحسه قليلا فى البيت الثالث حيث يرمى الشاعر كبير وزراء

١ - اقاموس

٢ - اصداه النيل ، النبعة الثالثة ، ٤٨

بريطانيا ورملاءه بالصلاب ابعيد ثم يدعو عليهم في الرابع ويصل اسحق قمته
عندما يتمنى لهم مصير نود .

وجدت احداث لعلم العربي طريقها الى نفوس شعراء السودانيين وحرك
شاعرية عدد منهم مثلما حركتها احداث لعالم لا فريقي لنفس الاسباب ولان
سودانيين يمتنون الى لعروبة نصبة اسم وروابط الثقافة والعقيدة . فني نكته دمشق
قال احمد محمد صالح :

صبرا دمشق فكل طرف بك	لما استبح مع نضام حملك (١)
جرح العروبة فيك جرح سائل	نكست لعروبة كلها لكك
جزعت عيال وروعت بغداد	وهترت ربي صنعاء يوم أسد
وقرأت في الخرطوم آيات الاسى	وسمعت في بيروت نة شاكي

مصورا هذه البداية ما اصاب بلدان العروبة من حزن عميق وام مضمض لضرب
دمشق . وقد تصور الحزن الاليم الى غضب ثر بعد ذلك . قال الشاعر .

ضربوك لا متعنفين سفاهة	لم تأت انما يا دمشق يدك
ورماك جبار يقيه بحوله	شملت يمين العليج حين رماك
ابن الغساسنة الالى دانت لهم	عرب الجزيرة يلتمون حصاك

نقد اذكرته غرضه هذى جبانة كانوا يحمون دمشق ويخضعون عرب
الجزيرة كلها . انه يديهم يستقوا لما ن يمكن او يسرى عن نفسه مما ام . .
قد عاد الى الغساسنة ثم الى الامويين فقال :

بل اين من مرون كل خائفة	او يستصيع شجته نكدك
قم يا بن هند وامشى فيهم غريا	في كل جبار العزيمة شاكي

ولم هدأت ثأرته قليلا خذ يعزى دمشق بل يعزى لعروبة كنها يهون على نفسه
وقع الكارثة قائلا :

صبرا دمشق فكل هم رئل	وعاد يروح مع امجوم سسك
تلقين كم عهـدك درة	في تاج اروغ من مية راكي

في الجاهلية كان عزك ددح وردد دالاسلام عقد حلالك
يا حجة الدين . ورحمة هلمه وحظيرة العبد والسيك
يا معقل الاسلام في عليته لا تدعى لغضب السفك

هنا سكت غضب الشاعر شدا ما فقد تسمى بذكر الدين وامجاده ثم التفت إلى فرنسا لانما مقرأ بقوله :

قول ليدحول مقدمة شمت نسبت في باريس نوح البكي
أنسيت كيف ترنحت ، سيدان من صرب على هم الرجال دراك
أنسيت يوم اتاك همتلر عربيا وفررت لم تصبر ليوم عسراك

وهكذا يمتضي احمد محمد صالح من حزن عميق إلى غضب نائر ثم إلى تصبر هادئ ونحن نتبعه في وهاد عاطفته ونجاده إلى ان يختم قصيدته بالنصح بزجيه للعروبة شأن الوالد العطوف والشيخ المحنك الشفيق ، فيقول :

قل لعروبة قول باك مشفق لا تركى غرب في مسعك
لوعد عندهم جهنم خلب وعهودهم شرك من لاشرك
ن كنت تبعين الحياة عريضة صوني حماك وسددى مرمك

نظم الشاعر قصيدته أخرى لعروبة في مجنها . فنظم لمصر عن « العدوان الثلاثي » ولتلسطين كما خضب اقطاب لعرب شعره وفي ديوانه (١) مجموعة قصائد سماها « عروبة » وهو فيها كتبها عاطف غبور يفيض حماسا وعتادا

لا يكاد شاعر واحد من شعراء السودان يقصر في مشاركة لعروبة افراحها وترحها . ولا يمكن لأي منهم ان يكبح حماس شعوره زء ، يدور في بلاد العروبة . ولم يكن احمد محمد صالح اوحيد في هذا المجال فقد سبقه كثيرون وعقبه كثيرون . فمن الذين سبقوه محمد سعيد العباسي بقصيدته « الطرابلسية » (٢) لما شن لطيفين الاغارة على مدينة طرابلس ليبيا . ومن الذين اعتبوه المذكور عبد الله الطيب ومما نظم للعروبة قوله في فلسطين :

١ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ، ٩١-١٠٦

٢ - ديوان العباسي ، دار الفكر العربي ١٠٦

ما بال همك جنح الليل متتابا
 اما تسلى بكأس من معتقة
 وكيف يسلو أخوهم تورقه
 اذا حسا الراح حاجته هوأجها
 فى الشرق والغرب اخوان ألم بهم
 مشردين بآفاق رجأؤهم
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 الندور صدرت لاسرائيل خائصة
 واصبح القوم فى دهياء جائحة
 دهاهم ما دهاننا من مواعد لا
 ام مالدمعك لا ينفك صبابا(١)
 صفراء قد حبست فى الدن احقابا
 لواعج الهم لا تألوه الهابا
 وجددت حزنا منه واطرابا
 صرف الزمان فانحى الظفر والنابا
 داج ألح جبين الشمس أم غابا
 ويائس شك فى الرحمن وارتابا
 والمدل غودر نفالا واصلانا
 يغالبون من الاقدار غلابا
 يوفى بها جعلت مينا وكذابا

ان عبد الله الطيب فى آياته هذى كئيب معتم لا يكاد يعمص عييه حتى يتنابه هم
 فيوقظه ويجرى دمعته حتى لا يكاد يقف عن البخريان . واذ حول ن يتسلى بخمر
 معتقة جيدة صافية . هاجت تلك الخمر لواعج همه وردت النها . انها اكبر
 من ان تنزاح عن صدره بكأس فقد آخاها وأخته . والاخاء والمؤاخاة صبتان
 لا تنفصمان . بل تقيان بقاء الحياة . لقد تكاثرت الهموم على لشاعر حتى ضاق
 بها واننا لنحس ضيقه فى تساؤله : ما بال همك .. و " ما تسلى بكأس ... " ثم
 وكيف يسلو .. . لقد تكاثرت عليه ولازمته حتى لم يعد الشخص منها ممكنا
 اما ما اعتد الناس على صرف الهموم به وهو الخمر فيزيدها ويؤجج نيرها . لا بد
 ان مصدرهم الشاعر الذى يعناده ولا يفارقه . وربما يزيد ان حول التحلص منه
 لا بد ان مصدره امر عظيم هائل أو امور متعددة بذرت الحزن فى نفسه فعبير
 عن حزنه ذلك بهذا الاسلوب الرائع . ولستأمل قونه :

مشردين بآفاق رجأؤهم
 دج ألح جبين الشمس ام غابا
 كم فى فلسطين موتور وثاكلة
 ويائس شك فى الرحمن وارتابا

لنحس فساحة الخطب الذى ثار عضفة الشاعر فتخمد بهذه الابيت .

السودان كما قلنا من قبل ، وهو امر معروف ، جزء من العالم العربى ،

وهو ايضا جزء من العلم لا فريقي . وهذا بخرو مع كاله الاول وكتبه لثاني فرع من الاصل الكبير - العلم وعليه فلا عجب بل ومن الطبيعي ان تثير حدث لعالم شعراء السودان . لعل اقوى هذه الاحداث واكثرها نارة حرب العنمية لثانية التي نشبت في سبتمبر عام ١٩٣٩ ووضعت اورارها عام ١٩٤٥ . ي بعد ست سنوات عانت فيها البشرية ما عانت . قامت هذه الحرب والسودن يحكمه البريقيون وقد كنو طرفا فيها فوقف السودان معهم يحموده ومنه وارضيه . وسخر حكام الانجيز كل قدرات اهله لتأييدهم ومنصرتهم . وقد قتل لسودانيون ذك مع كراحتهم الحرب وبعدهم عن اسبابها . وما هوذ يوسف مصصقي لثني يعر عن ضيقهم باخرب وعن يراعتهم مما تجره ثم يسئ لله عودة السلام لعالم .

الاقول لهندي الرحي وقفي	تجاوزت في الطحن ان تسرفي (١)
هصرت الشباب قبيل الاوان	ولم تبقي من ظله المورف
واعمارنا قد تساوت لد	يك ابا لطفل والشيخ لم ترأفي
.....
هنالك في الغرب جاشت صدور	بها حيس الجن ، مثل التماقم
وقد اطلقت جننها للورى	فعاث بها واستباح المحارم
وساق إلى الحرب فتياهم	على البر والبحر أو كالفشاعم
.....
الهي ! لقد ضاق ذرع الورى	فين وين الفيد المشرق
لئن علق الاثم ارواحهم	فقد طهروها لدن احرقوا
فهب عالم الارض برد السلام	وقل لبيارقسه تحفوق

لم ينظم الشاعر حسن طه في اخرب نفسها انه نظم في مؤتمر سان فرانسيسكو لثني انعقد عقبها لانشاء هيئة الامم . وقد قدم تقصيده بقوله : ولد كنت ول كنو بها رأيت ان اخاطب الوفود المغررين بهذه تقصيدة لثني حالت السلطات دون القاءها في المهرجان اللاديني بالابيض في ذك العام . عام ١٩٤٥ . وقد بدأ قصيدته بهذه السخرية :

هذى دموعى حيرى فى محازها قد انكرت ما اعانى اى انكار (١)
سيان منهزم عندى ومتصر هذا صريع وهذا جائع عارى
كلاهما لم يضع حدا لغايته ولم يراع حقوق الجار للجار
كلاهما خان بالامس العهد ولم يرع الموائيق ، لكن تحت استار
هذا جزاء وفاق للذى كسبت يد السياسة آثار بأشجار

ولكنه عاد فصور بعض احوالها بأسلوب قرآنى قائلا :

قد هالنى شرر كالقصر تقذفه طير ابابيل مخلوق من النار
تساقط النجم شهبأ كلها رصد فاندكت الارض لم تحفل بديار
ياغارة الله نار الحشر الطف بي نزاعة للشوى لكن بمقدار
كم من دماء اريقت وهى آمنة فى غارة فاجأتنا دون انذار
وكم صريع قصى نجبا بلا جدت ووجه تحت انمصاص من الدار
هذا يتيم وهذا ثاكل جزع وتلك تبكى بقاني الدمع مدرار

ولعل أبشع ما يصفها به :

يا غارة الله نار خشر الطف بي نزعة نشوى لكن بمقدار

فبحجم لا يدخلها كل انسان ولا يصيب لها الا فته معينة اما هذه فلا ، وقد يعفو
الله عن بعض اهل جهنم فيخرجهم منها إلى حدان عدن ، وإلى هذا اشار بقوله
« لكن بمقدار » ان الله يقدرها على بعض عبده ، وبذكر شمس هيئة قامت قبل
ذلك وسميت « عصابة الامم » الا انها تعترت وسقطت فى خصم طماع الدول
الكبرى فيقول عنها :

يا عصابة الامم الكبرى التى طلعت فى سائقر نسلك نجما يرشد السارى
ردت بضاعتكم ان كان خالطها من الاراحيف ماقد يغبن الشارى

يوجه الخطاب بعد هذا إلى اعضاء المؤتمر مذكر دلامم لصغرى التى تتطلع نبحرية
والاستقلال محذرا من اغفال امر تلك الامم ومن لاذعن لطمع لطمعين . يقول :
هل جئتم بجديد فى حقائبكم وهل حطيمت بدرس من سمنار

وهل شحذتم ضميرا قد يوفرون
وهل علمتم بان الحرب قائمة
وهل سمعتم بان الناس غايتهم
لا تجلسوا وقفوا في البهو خاشعة
واستلهموا الله في محراب قاعتكم
شحذ الحديد ورد النار بالنار
ما لم يك العدل فيكم زنده وار
أوطانهم ليعيشوا عيش احرار
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
نقلب مسترحم لا قلب جزار

ثم ينتقل إلى مطالب موطنه السودان ، وحق أهليه في الحرية بجلاء حيوش الاحتلال
وتولى بنيه السلطة كاملة غير متقوصة ويذكر بدور السودان في الحرب بمناصرة
الحلفاء ، فيقول :

يا عصبة الامم الكبرى هنا غرد
هل تسمعين إلى تجواي انشدها
هي الاماني غدت سرا يضيق بها
هي الحقوق التي غنى الزمان بها
هي الجلاء ، وفك القيد عن وطن
يطارح النيل اشعارا باشعار
.....
ام تطربين إلى الحان اوتاري
صدري ولولاك ما افشيت اسراري
من عهد آدم عهد الكهف والغار
قد ناصر الحلف لم يخل بمغوار

أما الشاعر عبد الله الطيب فتمسك باختلاف عن سبقيه يوسف مصطفى انتهى
وحسن طه - اذ رثي المديا بعد هزيمتها في هذه الحرب رثى معجب حروث. وعرض
الآن ابياتا من تلك لمرّة ليرى مبلغ اعجابه وحزنه. بدأ الرثاء بآية ابطال الاسلام
الشهداء الاوائل الذين مضوا ، وذم الحياة لأنها فيما قال لا تصفو الا للثام ، ولا م
الاقدار ايضا ، حيث قال :

مضى الشهداء الاولون وقتلت
يظلون في خشناء من شدة الاذى
وما زالت الاقدار ترفع باطلا
وكيف تلذين الحياة وما صفت
مضى كرماء الناس فابكى عليهم
بناة المعالي من لؤى بن غالب (أ)
ويمسّون صرعى تحت ضوء الكواكب
وتطمس ذا نور من الحق ثاقب
بعلمك الا للثام الاشائب
بقيض الدموع كالغيوث الخواضب

ثم يرد بكاءه عليهم بقوله :

لباك لا يامى وسود ذوائبى
حاثا وما يدرون ريب العواقب
إلى سنن عن سنة العدل عازب
وتصبو إليها وهى الأم صاحب

لعمرك انى يوم ابكى عليهم
وباك على ابناء قومى ادبلخوا
وباك على الدنيا يصير مآلها
وباك على نفس تجيب نداءها

ويبكى الالمان قائلا :

لها شرف على الذرا والمناكب
من المجد كانوا فخرها فى المواقب
اليهم ورسطاليس شيخ المذاهب
بدائع يعبى نسجها كل كاتب
صدور القنا فى القيلق المراكب
مشائم فى عين العدو المحارب
حفاظ بعيد اثم وعمر المراكب
وقد غالبا ريب الصروف الغوالب
فهم بين مطلوب بثأر وطالب
مصارع امثال الليوث الاغالب
ويبكوا بالعيون السواكسب
كازباد بحر غيلم ذى غوارب
بنار تلظى فى يباب وعاشب

اسيت عليها امة عبقرية
اذا ما اربا فاخرتنا بغاية
جهابذ افلاطون يصغر شأنه
اذا حملوا الاقلام وفوا حقوقها
وان حركتهم سورة العز حطموا
وما فتئوا يستترلون إلى الوغى
اذا غفيت منهم كلوم اثارها
فقد حرصوا حرص الكرم على العلا
سقتهم حياض الموت كاسا شقوا بها
عجبت لقوم شامتين وقدرأوا
فان حياء ان يحجر فيهم المراثي
لعمري لقد ساروا جبالا وازبدوا
وضاءوا كاضواء النجوم وقد هووا

ان بكاء الشاعر شهداء الاسلام الاوائل وابطلانه وحزنه عليهم حزن يبعث الحية
فيه من طيعيان شيهان بعد الله الطيب الشعر العربي المسلم ، لكن بكاءه الامة
الالمانية وحزنه على مصيرها الذى قددها اليه زعيمها هتلر امران غريبان فلم
يقن من الالمان حد فيما نعلم - ما قاله عند الله الضيب بعد هزيمتهم فقد أخذ
انفس فى ذمهم وذموا فى ذلك مذاهب شتى ونسوا ما قدموه للبشرية فى محيط
لعلم والادب والاختراع ، ولكن انت جرة الشعر الا ان يسجن ذلك فى شعره
ويعلن اعجابه بهم وحزنه ما اصابهم فقد كانت لهم امجاد ومواقف حميدة كما
كان للعرب . ويختتم الشاعر رثاء العرب والالمان بالسخرية من المنتصرين قائلا :

فلا زالت لنيران تشعل بعدهم بمضطرم الاحتقاد بين العصائب
وغصت حقوق بعد نصر تسفغه بمنل امدى أو كالحميم لشارب

يستغل لشعر جعفر حمد البشير حالة حد ضحايا الحرب . رجل معتوه يسير
فى لطريق والناس يضحكون منه فيكييل ابلوه لبتين يقيمون الانصاب للذكرى
ولتمجيد الاموات ويهملون حيا مثل هذا المعتوه - يقول :

ضحك الناس وما أغباهمو إذ يضحكون (١)

ضحكوا منه ومن انفسهم لو يعلمونا

لم يزيدوا غير ان قالوا فتى جن جنونا

ومضوا فى شأنهم من حيث جاءوا غافلين

.....

ثم يقول عنه وعن الحرب واهوالها :

واذبرى المسكين يشكو فى ذهول ويصبح

انه المدفع والبنج وفى جسمى جروح

ويحبه ما زالت الحرب لعينه تلوح

والضحايا حوله منها صريع وطريح

والشواء الآدمى الكره فى الجوف فوح

وشظايا برؤوس الجند كالسيف تطيح

وشهيق كلما فاضت إلى المجهول روح

هكذا كان خيال منه يغدو ويروح

ثم يوجه اللوم والسخرية لبناة « الانصاب » قائلا :

انه المجهول فى الاحياء فليلق اذكارا

فاكرموا قبل ان تبثوا على الاموات دارا

هذه « انصابكم » لم تلق منا اعتبارا

خدع اشبعها الوعي نفسورا واحتقارا

عظموا ما شتمو منها : صغارا أو كبارا

فهي في اعيننا كادت من الخزي توارى

وانما لسخرية مرة ، فبينما يسير احد الضحايا حيا كميته ، لا مأوى ولا علاج
يجد الضحايا الالهوات تكرىما باقامة الابنية والاحتفال بها في صور مختلفة متوالية
يختتم الشاعر قصيدته معنا مستصرين لان بنده لم تجن من الحرب شيئا مع انها شاركت
فيها وكان الشاعر كغيره من مواضيئه - يتوقع تقدير الحلفاء عامة ولبريطانيين
خاصة جهود السودان وما قدموا لهم - ولما لم يجد هل السودان ما انتظروه عبر
شعر وهم نيابة عنهم عن سحتهم ومن ذلك قول جعفر :

نحن خضنا حربيكم تلك فماذا قد جنينا (١)

غير بؤس لم يزل ينصب في جود علينا

وشقاء لم نزل نبعثه منا اليها

وكؤوس الذل مع انا من الذل ارتويها

قد عرفنا وغدا ان قيل يوم الحرب ايتا

عسكر السودان جاوبنا على بعد ايها

اثر انتصر الحناء الشاعر احمد محمد صالح فنظم قصيدته « يوم النصر » اعلن
فيها ابتهاجه قائلا :

هتفت ورقه وغنى هزاره وضع الحق واستطل مناره (٢)

ليس سيف يثار في نصره الحق كسيف على الضلال مشاره

ان ستا من السنين تقضت طاح فيها زيد واملق جاره

برز اللحم والعظام ولم تبق على اخضر يسر اخضراره

حي عهد السلام يا بلبل الشر ق فقد جاد السلام وقاره

وامش في موكب السلام اختيالا انت في موكب السلام كناره

ثم انفت بعد هذا الابتهاج ان الدنيا منهزمة ورعيمة نادبا حظها انتعس انذى هياها
زعيمها ضاغية وردها هذا مورد - انه لم يحزن لنا ولم يظهر اعجابا كما فعل عبد الله

١ - حرية وجمال ، الطبعة الاولى ، ٦١

٢ - مع الاحرار ، الطبعة الاولى ٤٨

الطيب ، بل قال :

قف برلين ساعة وانذب الحظ ما تقلبت اطواره
يا عروس البلدان يا ربة المنعة	اين العزيز ايان داره
اين من كان فى يديه المنايا	والعطايا كيف استبيح جداره
عند رأى الزعيم تنخفض الهام	فلا رأى غير ما يختاره
.....
ضربوا حوله سوارا من الجند	فلم يدفع القضاء سواره
الصليب المعقوف قد لمس الر	ب وسوى مع الثرى جباره
ذهبت ريحه وشالت مع الصبح	نعاماته واقوت دياره
تلك عقبي الطغيان يا صاحب الحول	وهذا بواره وخساره

انه بهذه الابيات يسوق المعضة للاخرين ولكل « صاحب حول » ويتجه بعدها إلى حكام السودان وهم من احلفاء المنتصرين مذكرا مطالبا فى لبفته المعهودة - انه يقول لهم :

قد رأيتم بلادنا يوم خضسنا	معكم قسطلا شديدا اواره
واكلنا الحديد والنار لم نر	هب عدوا قسا وطال انتظاره
امة العرب لا تطيق هوانا	ما لهذا اعانكم احاراه
قد صبرتم على العدو كراما	لم يرعكم يوم الوغى بتاره
وانصرتم على العدا فأرونا	كيف لا يبطر الكريم انتصاره

انه لا يتحدث عن مطلب وضعه الصغير السودان انما عن بلدان العروبة كلها انها لا تطيق الهوان ولا هوان الا احكم الاجيبى . فليحلوا عنها ليثبتوا كرمهم الذى بدر فى صبرهم على الحرب ليرونا كيف لا يبطر الكريم انتصاره انه طلب رقيق مهذب يتفق وخلق الشاعر وسنه وحنكته .

خاتمة

تناولنا في هذا البحث الشعر الذي نظمه شعراء اسو منذ عهد مملكة الفونج إلى عام ١٩٧٠ . وهو ذلك الشعر السياسي صريحة لوضع معين تكون فيه البلاد . تناولنا هذا فنظرنا في شكل شعر كل شاعر واعقبنا هذا بالنظر في كل ذلك مبيين المحاسن والمآخذ حسب ما تراءى لنا .

لقد تتبعنا الشعر بشعرائه واحدا فواحدا . وبقصائده قصيد الاحيان متأملين أساليبه في كل حقبة من حقبة الفترة (من عهد ١٩٧٠) فبين لنا ان تلك الأساليب رقيت من حقبة إلى أخرى وانما اكتسبت في كل حقبة صفة مميزة . ففي أيام فنونج ظهر الشعر الفصيح عن قلة المتعلمين وصيق بحسب القول وجاء ضعيفا في مبناء ومعناه اذ جاءت أوزان غثلة في الأغلب الأعم وشاع الخطأ في تعبيره وألفاظه مع قرب بعضها من العامية وحادت معاربة مطبوعة بطابع صوفي مع بساطتها وذو لها . لكن شعراء الحقبة الثانية وهي عهد الأتراك العثمانيين قربوا شعرهم من سلامة التركيب فقد قت فيه الأخطاء الا أنهم مالوا إلى التلاعب بالألفاظ ، وإلى اتباع نهج خاص في اختتام القصائد . وايراد شيء من المصطلحات العلمية — كمصطلحات النحو والفقه والعروض وبعض معاني القرآن وألفاظه .

أما شعراء المهديّة فقد حرصوا على صحة أوزانهم فجاءت قصائدهم سليمة لكنها احتفظت بالكثير من خصائص شعر الحقبين السابقين كورود المصطلحات العلمية وختم القصائد بالتاريخ أو الدعاء تم التجوء إلى التحسين البدعي ، كما أنها لم تسلم من بعض الأخطاء ، واتسمت بالتكرار تكرار بعض الحروف والألفاظ . في عهد الحكم الشائقي تخلص الشعر من عدة سمات طغت على أساليبه في الحقب السابقة . فزايلتها العامية . وهجر الشعراء تعمد التحسين البدعي وعوا بصحة التركيب وسلامة الوزن . وقد بررت في هذا العهد فئة من الشعراء عرفت

سية . حملت هذه الفئة نواء اشعر عاليا وشركت به في
ت مفتت لانظر اليه وإلى موسيقاه وأسلوبه وإلى دوره في
أخو كلية عردون القديمة الذين تتلمذوا على نفر من سلماء
عبد الله محمد عمر البند وعبد الله عبدالرحمن واحمد محمد
بني هؤلاء عدد من شعراء السودان المحدثين ولم يقلوا عنهم
كيب وسلامة الوزن وفاقوهم باستغلال الخيال والعاطفة .

س شيء فان الشعر السوداني الفصيح شارك في اشغال جذوة
في تبيينى عبر تاريخ السودان وقطع بعضه برأى محدد في مستقبل
لا ان عددا من انشعراء السودانيين لم يدع في شعره دعوة
تأكيد وضئى معين ، لذلك لم نتعرض لهم الا لما ، وهؤلاء
ببلادهم كيان في محافل أخرى عبر سياسية ، وأعلوا من شأن أمتهم بما
والثوار وتمتعوا في لاجتماعات والمؤتمرات
وتت خدمته الاستعانة وعليه لا تكاف .

المراجع

○ △ □ ()

محمد الفيتوري — دار العودة بيروت

100

محمد الفيتوري - دار العودة . بيروت - ١٩١٠

... ..

مكتبة يوسف - مطبعة التمدن - الخرطوم

10

1974

د . عبد الله الطيب - الدار السودانية . بيروت

أصدقاء النمل

1479

محمد الفيتوري ، دار العودة ، بيروت

أغاني أفريقيا

جیلای عبد الرحمن - المدار القومية للطباعة والنشر

البحر والسيوف المكسور

القاهرة ١٩٦٧

جعفر حامد البشر — مطبعة جريدة الصراحة

حرية وجمال

الحَرْصُوم ١٩٥٣

تحقیق محمد عبده عزام - دار المعارف ۱۹۶۴

ديوان أبي تمام

عبد الله محمد عمر البنا - ١٩٢١

ديوان البنا

يوسف مصطفى التني : دار الكتاب العربي -

ديوان التني

القاهرة ١٩٥٥

حمزة الملك طنبلي - المطبعة الرحمانية - مصر

ديوان الطبعة

1931

محمد سعيد العباسي - دار الفكر العربي - القاهرة

ديوان العباسي

150

عبد الله عبد الرحمن الأمين

ديوان العروبة

الكعبرى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة ٥٦

ديوان المتنبي

حسين منصور - مطبعة البيت الأخضر - مصر

الشاطئ و الصخري

سعد ميخائيل مطبعة رعمسيس - القاهرة

شعراء السودان

الشوقيات

أحمد شوقي - القاهرة - ١٩٥٥ ، ١٩٥٩

غصبة الطيبى

صلاح أحمد إبراهيم - دار الثقافة . بيروت

١٩٦٥

نقل الأخضر

تاج السر الحسن - دار الكتب العربى - القاهرة

أحمد محمد صالح وزارة الاعلام والشئون

مع الاحرار

الاجتماعية بيروت ١٩٦٩

دار لمحاذاة

محمد المهدي مجذوب . وزارة الاعلام والشئون

الاجتماعية بيروت ١٩٦٩

هاتف الجماهير

حسن طه . مطبعة كوركين اسكندريان .

أم درمان - ١٩٤٩

(ب) الكتب :

الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث - عمر الدقاق - دار اشرق حلب ١٩٦٣

لاتجاهات الشعرية في السودان د. محمد النويهي - معهد الدراسات العربية العالية

- القاهرة - ١٩٥٧

تاريخ الثقافة العربية في السودان د. عبد المجيد عابدين . مطبعة الشبكشى

القاهرة - ١٩٥٣

تاريخ السودان - نعوم شقير - دار الثقافة بيروت ١٩٦٧

تراث الشعر السوداني عز الدين الأمين - معهد البحوث والدراسات العربية

القاهرة - ١٩٦٩

تقرير لجنة تنظيم الخدمة المدنية - المطبعة الحكومية - الخرطوم - ١٩٦٨

اشورة المهدي - جلال يحيى - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩

احركة الفكرية في السودان - محمد أحمد محبوب - ١٩٤١

الخطط المقترية . تنقى الدين المقريرى - مؤسسة الحلبي وشركاه

السودان في قرن د. مكى شبيكة - لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة

١٩٦١

الشعر الحديث في السودان - د. عبده بدوى - المجلس الاعلى لرعاية الفنون

والآداب - القاهرة ١٩٦٤

الشعر الحديث فى السودان - د. محمد إبراهيم الشوش - معهد الدراسات العالية

القاهرة ١٩٦٢

الشعر السودانى فى المعارك السياسية - محمد محمد على - مطبعة النهضة الجديدة

القاهرة ١٩٦٩

طبقات ود ضيف الله - ابراهيم صديق - المطبعة المحمودية التجارية القاهرة ١٩٣٠

القاموس المحيط - الفيروزبادى - المطبعة الحسينية - القاهرة ١٩١٣

محاولات فى النقد - محمد محمد على - مطبعة التمدن - الخرطوم ١٩٥٨

مخطوطة كاتب الشونة - أحمد بن الحاج ابى على - تحقيق الشاطر بصلى عبدالحلِيل

سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة والارشاد القومى - مصر

مصر والسودان - د. محمد فؤاد شكرى - دار المعارف . القاهرة ١٩٦٣

ملاح من المجتمع السودانى - حسن نجيله . مكتبة الحياة بيروت - ١٩٦٤

منشورات المهديّة - د. محمد أبو سليم . دار الثقافة بيروت ١٩٦٩

المهدى والمهدوية - أحمد امين دار المعارف مصر ١٩٥١

نقشات البراء - محمد عبد الرحيم . شركة الطبع والنشر الخرطوم ١٩٣٦

(ح) المجالات :

الفجر

النهضة السودانية .

الملاحق

(١)

شعراء العهد التركي

يمدح محمد سر الختم المير غني

بليت وطرفى للمحاسن يقظان
 عفى الدهر بعد الاكرمين وما عفى
 رعى الله دهرا كان بالحظ مسعدا
 وللنفس مرعى فى التصابي ومرتع
 ليال تقضت بالاماني واننى
 صبرت على خطب سبرت الورى به
 شكوت زماني بالاسى وشكرته
 وهبت له نفسا غدت مطمئنة
 على اننى لم انزعج فى صفائه
 فسيان عندي احسن الدهر أم أسا
 وهل بعد تهذيبي على المجد اتقى
 ولى جيش عزم ثابت متألف
 قدير على خصم الحصوم مبارز
 وسهم ردينى قويم مهفف
 يروى به ظامى الوغى غير انه
 وسيف يمانى صقيل مرهف
 بمن يا رعاك الله ان لم يكن به
 وللمجد ركن منه لا زال ثابتا
 وللفرد وفد فى حماه معزز
 وفخر تليد آتست منه نوره
 فله ذاك الغوث والفيصل الذى
 سليل رسول الله طه كفى به
 ومن ذا الذى يرجو شفاعته جده

وطرف الليالى عن ذوى المجد وسنان
 كمالى ولكن للسعادة إبان ..
 وسامر ليلي العامرية عمران
 برقع مريع للصبا فيه افسان
 على العهد باق بالصباية نشوان
 فلم يخف عن علمى من الناس انسان
 وتهذيبه لى فى الحقيقة إحسان
 يحزم عظيم عنه يضعف شأن
 ولم اكثرت يوما اذا هو غضبان
 متى صح لى بالله عقل وايمان
 من الدهر اناسا ان دنا الناس او يانوا
 عظيم له فى الخطب بالحرب آذان
 له عند وقع البؤس نور ونيران
 به عجز للحادثات واعكاس
 لنهل الدما يوم الوغى هو ظمان
 يجرده للنصر مولاي عثمان
 يغاث ضعيف او يدارك حيران
 توطد منه بالولاية اركان
 ضيوف توالياها على الحظ ضيفان
 رجال كرام فى الفضائل اخوان
 على الدهر تاج من حلاه وعنوان
 فخارا وحسبى منه ما نال حسان
 اذا لم يكن فى الحب منه له شان

وحسبك غوثا في الخطوب وناصرا
 جليل المزايا واسع الفضل والندى
 تقاصر عن جلدواه وعن وحائهم
 امام همام واحد العصر لم يكن
 تجلت له ذات العلى عن حقيقة
 تبدت له منها علوم جليله
 وما شاهد عين اليقين بعينه
 إلى شيخه ابن ادريس يعزى كماله
 وفي جده المحبوب قل كيف ماتشاء
 رجال كرام في البرية عهدهم
 تأدب وسالم يا زمان فشيخنا
 مزايه لا تحصي وآيات مجده
 بنوه الكرام الغر حازوا مقامه
 بنوا فوق هام الفرقدين لذكره
 فالله اصل في العلى طاب فرعه
 افادوا صوابا واستفادوا اصابه
 ابانوا وبانوا في السلوك طريقة
 هم الصيد آل الميرغنى معدن الحلا
 محبتهم فرض على كل مسلم
 فكيف يخاف الضيم مثلي وحسبهم
 ومن حسن الافعال لى حسن ذمة
 ولى عزوة فى جهم وعشيرة
 ولا زال فى بيت السلاوى جهم
 انخسى بورا أو تخاف كريمة
 وهل نتقى فى لجاث الدهر سطوة
 الهى بهم فرج أمن الهم كربتى

إذا بان من صدم الشدائد خسران
 جليل المحيا فى الشدائد معوان
 تقاعس عن دعواه قس وسحبان
 على فضله المأثور فى الدهر رجحان
 بها نال فضلا قصرت عنه أقران ..
 جللتها كرامات لدينا وبرهان
 كمن هو عن علم الحقيقة ذهلان
 وحسبك من أهل العزائم انسان
 وكافيك فى مدح القرابة فرقان
 تحلت به الاقطار مصر وسودان
 غيور له فى الامر رشد وعرفان
 حلاها على صدر الاكابر نشان
 سواء بذلك الفضل شيب وشبان
 مكانا عليا لا يوازيه كيسان
 تدانت الينا بالحنى من اغصان
 وصانوا غن الاغيار اعظم ماصانوا
 على كل حزب عن طريقتهم بانوا
 اذا فآخر الاقران بالمجد وازدانوا
 مودتهم فى الله لله قربان
 غدا رأس مالى وهو بالله رجحان
 ومن هاشم عهدى نوال واحسان
 وأهل واخوان وصحب وخلان
 علينا به بين البرية ثيجان
 ونحن لهم ابناء عهد واخوان
 ونحن لسر الختم فى مصر جيران
 وحقق رجائى والرجا منك غفران

عليهم سلام من علاك ورضوان
لطيبته الغرا رجال وركبان

وصن «سره» واحفظ «خديجة» بنتهم
وصلى عليك الله يا خير من سعى

وقال ايضا يمدحه :-

والمجد يؤمر أو ينهى فيأتمسر
حتى تحاط بتعداد فينحصر
شواهد الحال والاحوال تعتبر
والكل منا بذاك الرشد مفتقر
من الأمر وهذا مدرك عسر
عن وصف حسنك تعينى فاختصر
يا حبر يا بحر يا ضرغام يا قمر
لكن على نية التعظيم يغتفر
وقر عينا بذكر نشره عطر
فيهن للمدح اسواق ومتجر
فليس بعد النهى عبلا ومفتخر
لا تستطاع وشأن شأوه خطر
لا زلت فى شكرها اثنى واعتذر
وأنت زخر لربيب الدهر مدخر
فى سلكه انتظمت اخوانك الغرر
فى مدحه ترشد الايات والشور
فضل ابن ادريس ذاك السيد القمر
وقل ما قل من فرع الحياة ثمر
كالشمس تمتد منها الانجم الزهر
والسن الخلق لا تبقى ولا تذر
لناس فى سوحها حج ومعتمر
بها على شكرك الميمون يقتدر
يحي السلاوى لكم فى امره نظر

بمثل فخرك هذا الدهر يفتخر
وفضلك الجسم لا شىء يقاس به
وطيب اصلك مشهود تؤكده
ورشد عقلك يهدى كل مقتبس
ونور علمك لا تخفاه خافيه
وفرط مدحى عيسارات مقصرة
فغاية الأمر أن ادعوك محشما
يعز اسمك ان يطربه سامعه
دم للندم يا بن سر الختم متهيجا
لك العلا والحلا حالان لم يحلا
فاظهر بما شئت وافخر غير مكثرت
ماذا اقول ومدحى فيك معجزة
أما أنا فأمرؤ اوليستى متنا
والناس صنفان مدحور ومدخر
والمجد عقد نفيس أدن جواهره
أبوكم الغوث عثمان الكرامة من
عد جده الميرغى المحجوب اورثكم
والشبل من ذلك الضرغام مكتسب
لا زلت ركنا لنا فى ظلمة متع
فاحفل بذكرك ان الله رافعه
واشكر على أن حبلك الله مكرمة
فللندى منك اسباب موفرة
والمخلص الشاكر الداعى لغزتك

اثنى عليكم وان ابدت معذرة
خذها امري رعاك الله سالمه
زفت لعلياك والاجلال يقدمها
سوى جنابك لم اخبر لها احد
فاقبل ثنائى وخدا يا سيدى بيدى
ولا تكلنى الى من ليس يسعبنى
هذا واستودع الرحمان جيرتكم
دم للمحبين والانجسال مسندا

فلا ملام ولا ريب ولا ضرر
من كل عيب عروسا زانها الخفر
والعز والبشر والتكريم والظفر
والناس غيرك لا ذكر ولا اثر
فالامر يا عدنى صعب به خطر
وفى ارتكاني على من دونكم ضرر
وذمة عندكم فى الحسب تعتبر
يؤوى الى ركنه ما دامت لك البشر

في ثورة احمد عرابي

والله ناصرنا بسيف عرابي
للهادئات فهم أولو الالباب
حتما على كل أمرى أواب
والفتح أذن باتباع صواب
هزموا وقد نكصوا على الاعقاب
والفوز فى العقبى بغير حساب
كم من عدو آب شر ايباب
والحر يظهر عند صدم مصاب
ذل لمن يرضى بهتك جناب
تحتاج للاعوان والاصحاب
متطوعين لهم من الاعراب
عمد البلاد وسائر الاجاب
شمس الفاخر شيخنا الانباني
هذا بمفتخر ولا مرباب
يسطو على كل امرى متقاني
النعمان بالايضاح للطلاب
الاشراف أهل المجد والانساب
عقدت له العليا رفيع قباب
جمعت نظام الفخر والآداب
شكرت أياديكم كغيث سحب
الجيزا وذاك محمد بن عراب
فى حضرهم نصب على الكتاب
والمجد يرقل فى رفيع ثياب

شغل العدى بتشتت الاحزاب
القطر فيه من الرجال كفاءة
وحمية الاسلام تقضى بالوفا
وحبة الوطن العزيز تحثهم
والمشركون خواسر فى سعيهم
هيا بنا يا أهل مصر إلى الرضا
أنتم أولو الهمم التى بسهامها
أنتم ولاة المجد أرباب النهى
لا تشغلنكم الحياة فانها
ولقد نرى اخواننا فى حائلة
أعنى عساكرنا الكرام ومن أتوا
والعاملين لهذه الخيرات من
حسب الاعانة فى الافاضل قدوة
فعل الحميل ولم يكن فى فعله
وجناب قاضى مصر سيف شريعة
ومحقق الفتوى محرد مذهب
والشيد البكرى تاج بقسابة
والخيرة السادات بيت مناقب
واضحرسى نه سوابق همة
أنعم بطائفة النجار وقل لهم
واذكر لتعيم الكرام فتى من
وافاضل بذلوا الاعانة غيرهم
وبمثلهم فى الناس تفتخر العلا

نعم البرنسات الكرام وما لهم
 جمعوا بتنظيماتهم شمل الورى
 هو من عملت مجاهد بمهند
 وسيوفهم مسلولة باكابر
 يكفيك قدوتنا عlish وشيخنا
 جيلان مرتفعان دونهما الورى
 شدا عراه وايداه وسددا
 والشهم ابراهيم فوزى انه
 وعلى الروبي الرضا وسميه
 يا ربنا عجل لديك نصره
 وبال بيت محمد رد العدا
 وبعبد غفار بلى شمل العدا
 وامدد عساكر باعظم قوة
 واشدد عراهم بالخليفة انه
 ولنا به ثقة قوايل سعدة
 هذا ونحن الخاضعون لحكمه
 يا ناصر السلطان دونك والعلا
 رد الطغاة وكيدهم فى نحرهم
 جرد لهم سيف اليقين فاتهم
 واسلم ودم فى حظوة يحيا بها
 هذى مآثرك الجميلة زينت
 لثمان عشر منه قد ارختها

فى الدهر من شرف ومن آداب
 من بعد ما انحلت عرى النواب
 ترك الرؤس مواسىء الاذئاب
 فى المجد من علمائنا الاقطاب
 حسن الوفا العدو خير مثاب
 كالشمس من زحل بلا اظتاب
 ما يتقى من كل فرجة باب
 فى ضبط مصر أصاب خير صواب
 يرضيك فهمى فى سديد جواب
 واجعل له الحسنى بخير مآب
 وارسل عليهم منك سوط عذاب
 وارحم برحمى معشرى وصحابي
 يا عالما بالقانت الاواب
 متكفل بالنصر للاحزاب
 ترمى شياطين العدا بشهاب
 لا نرتضى بتعدد الارباب
 فجنابها بك ثابت الاطناب
 بعظيم بأسك من اليم عقاب
 خسروا وسيف الحق ليس يناب
 يحى السلاوى منك بالترحاب
 رمضان بالترغيب والارهاب
 بالله نصرتنا وسيف عرابي

في ذكر والده

ذكر ذكر سمايين بين لحافل
 لعم من ذكره من نحو قلبه
 وقل لزيم كان يجهل أمره
 فهلا علمت السم كان بلحمه
 وغيره رب العالمين لغاية
 لم تر الله سير خلقه
 فقد رعا بعضكم فوق فذكر
 نعم درجات خصها الله بالذى
 فلم تحضر الخيرات فيمن تقدموا
 ولكن مزكوم الخلائق لم يجد
 وأعشى الورى لم تبصر الشمس عينه
 فلو أنصف الكفار ما أنكروا على
 وما قبلوا بعض الدين واعتدوا
 فلا عجب من أن بعض أولى الشقى
 ولا سيما من بعض أهل زماننا
 ظواهرهم مصلوحة باحتياهم
 ولكن ذئاب فى يواطنهم يرى
 أراهم اعاوبا فى الخروج ونحوه
 ألم يعلموا أن الخروج ونحو ما
 عماهم عن القرآن محض شقاهم
 أما علموا أن التأسى مجمع
 فلم تعرف الانصار الا بهجرة
 وهجرة خير الخلق كانت لحكمة

ولو هازلا واطرب به قلب غافل
 طلاوة ما يبدو لأهل القوابل
 أتاك أتاك الخزى اتيان وابل
 يفرق أجزاء تلى كل آكل
 ويدانه بالحرب سمتهن
 بتأخير مفضول وتقديم فاضل
 ترى رفع بعض فوق بعض المقابل
 تقرب بالمفروض ثم النوافل
 قرب أخير جاز بحر الاوائل
 روائح عطر فاح بين المزابل
 ولم يدر الاسقام طيب المأكـل
 الذين أتوا من ربهم بالرسائل
 وحادوا ولم يصغوا مقالا لقائل
 يؤمون دفع الفضل عن كل كامل
 شياطين أنس عصبوا كل حامل
 يراهم غبى القوم مثل الأمائل
 علاماتهم عن حالهم كل عاقل
 وفى بعض أقوال تجل بخاهل
 نحوه طريق القوم اهل الفضائل
 وعما حكاه الله فى فعل فاعل
 عليه ومن آداب اهل الفواصل
 ولم يظهر الدين القويم لنائل
 وما فر موسى من عدو لبصر

نعم قوله صدق فرار أناله
ويونس لم يأت إلى الفلك عابثا
فكم من صحابي جلي بعد هجرة
وكم من نبي أو ولي تجهزوا
لأنهم لم يعصموا من بلائمه
وكم من ولي أخرجوه مغفلا
وقد نص أهل الشرع من قول ربهم
فما رغبة من أسوة قد تقدمت
ووالدي اسماعيل غوث زمانه
ومن حضرة الرحمن والمصطفى أتى
وكان دليل الأذن صولته التي
أطاعوه قهرا ثم بالقول أسلموا
وكيف ولم يؤذن وإن مقامه
فما من تجمل أو شهود وحضرة
وصحو ومحو تم سحق ومحققهم
وكل فناء أو بققاء غير ما
فلذا عصره لا تم فيه معاصر
ولا تعتبر أقوال غمز ومنكر
يقوم بدفع الأذن ينفي صدوره
ويزعم أن الأولياء كان فعلهم
لذلك عندي سيف نصر موضح
ولو كان ذو الإنكار عالم عصره
ولست أبالي من تعنت بعضهم
فيحري طويل حيث صرعت وزنه
به ابن اسماعيل أحمد مادحا
بروم بها منه الرضاء لنفسه

رسالة مولاه وأحكام مائل
أتى نبذة بعد التمام لساحل
من البلد المكي من ثقل حامل
بأمر قضاء الله فيهم لقاتل
بديننا فما قد شاءه حكم عادل
وكم خارج من كيد أخت عاضل
وأقوال من سادوا يهذي الخصال
أكابر قوم قد رقوا بالوسائل
له أسوة في خير أفضل عامل
له الأذن حتى سار بين المحافل
عليها ثوى في أرض كفر أسافل
وكانوا الوفا ما اهتموا بلقائل
تقاصر عنه الآن أيسل بأسل
وديوان سر أو نكات جلائل
وجمع وفرق تم حوز منازل
ذكرنا إلا أنه باب داخل
فقم نحوه واترك هوى المتكاسل
على أولياء الله من غير طائل
من الله المختار في أي نازل
عن النفس لا بالأذن من غير فاصل
أجز به رأس الجهول المجادل
سأدرعه درعا بأوفى دلائل
ولو كان قس منهم وابن وائل
بثاني ضروب من فعول مفاعل
ذخيرته في كل ماض وقابل
واخوته أهل الوفاق الكوامل

خليفته المكي فهو محمد
وكل محب جاء يبصر حربه
ونصره من ادروا لوصفه
وصحابه اهل الشهود الذين لا
منهم عين تدليل دأبه
صلاتي وتسليمي على شرف نوري
وصحابه وآله قال قائل

كذا مصطفى البكري مع كل واحد
من لاقوه وشتيت لقبائل
ومهدية من حار قمع منحاول
يري مثاهم في الارض من متداول
ويقتلني من سوء حسب الردل
محمد من ول اليوم اعطه كفس
أذكر دكر سماعين بين محافل

الشيخ الامين محمد الضرير . قال :

يمدح الخديوى

والصادقون لدى الآداب اخوان
ففى الشعار حظوا بالوصل أوبانوا
غير الكلام له كشف وتبيان
وان تناءت يبعد الدار ابدان
والناس فى غفلة والدهر وسنان
ما للامين بهذا الدهر خلان
لا يستوى عاقل فيه وسجان
وجعفر الفيض بالخيرات ملائ
تضمنوا النفع كى يرتاد ظمآن
فى نشر ما يرتضيه الله اخوان
والمعتنى عارف والوقت اهان
أبعد توفيق رب العز خذلان
كما يرى وله للنصح ديوان
فى العلم نافعة بالطبع تزدان
الم تيسر على التدريج اثمان
اذ ليس يمنع مما رام انسان
اسبابه اذ بدت للغير اعوان
وما رجاء الامين الأهل حسابان
فاننى باقتناء الكتب فرحان
عنى رسائل ميراث لها شأن
دهرا لكان والله وجدان
نشر العلوم كما أبداه اعلان
توفيقه وله عز وسلطان

الود مأدبة والصادق اخوان
اشعارهم ذات اشعار بحالهم
فالمرء محتبىء تحت اللسان وما
قلوبهم حاضرات حيث ما علموا
لكن علمهموا قد كان فى دعة
خان الاخلاء حتى قال واصفهم
يا ليت شعرى هل يبقى لنا زمن
فقلت قد لاح لى والله ذو كرم
حسن التخلص من أهل الزمان بمن
فيا أولى الجمع أهل العلم انكموا
ومصركم مصر وانوفيق حافظكم
أما حويتم بتوفيق العزيز حمى
أليس عار فكم يبدى معارفكم
ألم تورع عليكم كلكم كتب
ألم يكن جمعكم أرعى لصحتها
ألم يبح لكم فيها تناولكم
فحاصل القول ان العلم قد سهلت
لذلك قلت رجاء نيل وصلكم
عسى الأجابة ان يرضوا مشاركتى
مع اننى آلف التأليف اذ صدرت
وفى الروايا خبايا لو وجدت لها
ما قلت ذلك الا من محبتهم
فالله يحفظ هذا الجمع متبعا

فى ظل والده الممدود فى عمر
 يدى الافاضل للقوم الأفاضل لا
 حتى يرى دهرنا فوق الدهور علا
 حتى نقول على عكس الذى زعموا
 فالعسر يغلبه يسر ان اوضح ذا
 من معشر ما زهت مصر بمثلهم
 بحور فضل بلامن ولا علال
 فالجد جد عليا فى محامده
 لما غدا رافعا اعلام نصرته
 فصار يكسر بالتقويم شوكتها
 هذا وجودهما مستعبد بشرا
 وصاحب الوقت اسماعيل زاد على
 مخائل الخير فى توفيقه ظهرت
 عين الفضائل لا تحصى فواضله
 صان المراضن توفيق العزيز كما
 لئذاك حسن ختام القول أرخه

له مع الطول بالخيرات عمران
 يثنيه عما يريد الشهم شأن
 وأهله فوق أهلها الاولى بانوا
 من ساءه زمن سرته أزمان
 ما فى الحديث وما أخفاه قرآن
 من الملوك وللتحقيق برهان
 نعم خم عس بخسن مزدان
 وسبقه الشهم ابراهيم معوان
 مع نصيبها انخفضت بالفتح بلدان
 فلم يعد أهلها للحرب بل دانوا
 اذ طالما استعبد الانسان احسان
 ما كان اضعافه والدهر جذلان
 اكرم بشهم له التوفيق عشوان
 لأنه فاضل الأعيان محسان
 حمى أولى العلم مهما كان أو كانوا
 صون المواطن توفيق وعرفان

يمدح الخديوى

والكون نار وقد زادت بشائره
لما بدا طالع الاسعاد نائره
والغصن اعلن بالتغريد طائره
فى عاشر الشهر قد لاحت مفاخره
فوافق الاسم معنى طاب ذاكره
لا سيما مصر تعلوها أوامره
وصب فى بربر منها جواهره
لم لا وذا منع الاحسان ماضره
عمت جميع الورى منه ستائره
لنيلها فضل من تسطو بواتره
والتور يلعب فى الاكوان زاهره
جلالة المجد سامتها عساكره
وسامر الفخر من كانت تسامره
سارت مزاياه نعم الفضل ناشره
على الرعية منذ فاضت بواكره
فى راحة الخلق حتى قام ناصره
ونال ما كان فى الألباب ضامره
لم لا وفيها ملا الامر ظاهره
يمولد فيه نال الخير ناشره
مذكرا للمليك عز شاعره
من نجل هاشم من ضابت عنصره
فانظر له نظرة تعلو شعائره
ايمن اقبل بالاحسان طائره

اليمن اقبل بالاحسان طائره
والشربدى سروراً من عجائبه
والكون قد رقصت فيه محاسنه
لما آتى مهبط الخيرات فى مرجب
« محمد » من بتوفيق الاله سما
بمولد منه كل الكون فى طرب
قد ضاء سوداننا من حسن برأفته
والسعد خادمه فى كل آونسة
ذاك المليك الذى أنوا سلعته
كل الممالك أمت باب سدته
حيث المفاخر مضروب سرادقها
مليك حسن وحسان وأبيه
تمدنت مصر من آداب سيرته
نامت رعاياه فى ظل الأمان كما
هذا الخديوى الذى سحت فضائله
موفق لامر الخير مجتهد
تبارك الله من بالفضل كمله
سامت به مصر أفلاك السماء علا
تباشرت بربر فى يوم مجمعه
أعاده الله فى كل العصور لنا
ليت شعر بدت فيه عن عجل
مقامه بربر فيها بمدرسة
ما تشدت يا ملك الفخر فى ملا

يرثي أحد السادة الادارسة

مالى أرى رونق البلدان قد ذهبها
 والناس مشغولة الافكار حائرة
 نعم مصيبة أستاذ بنا نزلت
 وصارت العين بعد النوم ساهرة
 على الوسيلة عبد العال عمدتنا
 حاوى الفخار ومن بالجوهر منفرد
 يسر عقلك أن وافيت مجلسه
 له الولاية قد جاءت سلسلة
 لأن أحمدنا بن ادريس والده
 ما جاء مستمنح الأحرار كرمه
 يا طالب الخير عرج نحو تربته
 يفز بنيل مرامات ابنت لها
 ياسيدى احمد يرجو مراحمكم
 اهلى جنابكم مقدار طاقته
 بالهاء والصاد ثم الراء بعدهما

والنور أضحى عن الأكوان منسلها
 يا صاح ماذا بهم هل تعرف السببا
 فأشعلت فى القلوب الحر واللهيا
 تبكى بدمع يفوق البحر والسحبا
 من قام لله بالاخلاص محتسبا
 وفي العلوم كبحر موجه اضطربا
 يوما وينسبك حسنا اذا خطبا
 من الاكابر فاسمع واطرح الريا
 للنبي والزهر قد انتسبنا
 ومنه ولا سالك الارقى رتبا
 واظهر خضوعا وراعى الذل والادبا
 كذا هبات تزيل الهم والنصبا
 اذ عم كل العجم والعربا
 نظما قليلا وللتاريخ قد حسبا
 والغين بالنقط عام الموت قد كتبنا

هجاء المهدي وانكار دعوته

على جبل السلطان في شاطئ البحر
فبايعته عهدا على النهي والأمر
وقد لازم الاذكار في السر والظهر
فرقيته جهلا بعاقبة الامر
تعزّ، على اهل التواضع في السير
ويعطي عطا من لا يخاف من الفقر
من الله لا زالت مدامعه تجري
وكم ختم القرآن في سنة الوتر
بها كان محبوبا لدى الناس في البر
وخادمنا عشرين عاما من عمر
على ما مضى في سابق العلم بالشر
وشيطان انس وافقاه على الضر
وكم ساقط في الشر من ألم الفقر
فهذا مقام في الطريق لمن يدرى
ومحسوبكم في الحب في عالم الذر
فأنت لك الكرسي ولى دول الغير
وتالله شر قد يجر إلى الخسر
فانك منصور على البر والبحر
ومال إلى حسب الرئاسة والجبر
واما يسخن كان كالنار في الحر
فقبلى على والحسين ولى أمرى
وأفتيت فيه بالضلال والكفر

لقد جاءني في عام «ز» لموضع
يروم الصراط المستقيم على يدى
فقام على نهج الهداية مخلصا
وأفرغ في نهج المحامد جهده
أقام لدينا خادما كل خدمة
كطحن وعوس واحتطاب غيره
وكم صام كم صلى وكم قام وكم تلا
وكم «نصو» نيل كبر بلضحى
حدث سقى من منهج القوم شربة
وكم كبر نيل عيشه صدقاته
وكم الخمس والتسعين أدر كه اقضا
بصحبة شيطان من الجن ايس
ولا تنس داعى الاحتياج فتال
فقال أنا المهدي فقلت له استقم
وخادعنى بالقول كالمهد ابنكم
فقم لي لنصر الدين نقتل من عصا
فقلت له دع ما نويت فانه
وقال له الشيطان بشر ولا تخف
وقد فهم القولين فهم أولى النهي
فقال أنا كالماء في الطبع بارد
وان يستخفوا بي وان يقتلوني
ومن ذلك النادى أنى وايتته

واني أذنت الجيش ان يضربوه ان
وقد جاء للعلوب في سفهائه
وكان من الاسرى لديهم نياقه
وكنت نصحت القمقام بحبسسه

أناهم بما يهواه من واضح النكر
وقد رده الاتباع بالخير والقهر
وراياته والجيش قد صار في البحر
فما جاءني من غير داع صاحب الخضر

عمر الازهرى قال فى :

مدح النبى

قرب البعاد وهاج اليوم اشجاني
العشاق لم يختلف فى ذلك اثنان
او البنان فتسد بانوا عن البنان
يا برق مالك قد فرغت خلاني
حتى الهواجر فى أفياء أفنان
علم ولا علم عن جبههم ثانى
صب عدت الذى فى الحب يلحاني
والدهر اقصمهم عنى وقصي
طوبى باشكال وكون
فى الشعب من بعدهم قد قيل شعبان
جيب الا صدى صوتي قلباني
فما فتى فات بي عنهن افتنى
استرجعت جهدي واستحدثت اجنني
وردت ماء العذيب العذب أظماني
سفحت بالسفح عنهم دمعى القاني
عاء والمنحنى اوقفت قعداني
حتى سرت نحو خير الخلق ركباني
من أرسله للانس والجان

غدا القصور قصارى كل انسان
الصاردى فعامله باحسان
يرجو نتيجة عفو شكلها ثانى

تألق البرق من نجد فاشجاني
والضحك منه التوى فى البرق تعرفه
فان اشار بطرف العين هم حملوا
هاجوا وماجوا كأن قامت قيامتهم
ظلت قبايهم بالرقمتين لى
وبعد ذا قيل اموا الجزع ثم ولا
فصرت أحير من صب واذهل من
ياليت شعري مذ شطت ديارهم
هل قوضوا بعدنا يوما قبايهم
تنكر العلم المعلوم بعدهم
وقنت بالغور لا داع هناك ولا
مستفتيا جئت فتيانا فنتت بهم
وظفت نجدا فلما ان عدمتهم
وحسن ظنى بسكان العذيب فمذ
وكم اطلت وقوفى بالهضاب وكم
وكم بحزوى وى وى والعقيق وبالجر
فما حصلت على صاب ولا عمل
محمد صفوة البارى وخيرته المختار

ثم اختتم الشاعر قصيدته هذه بقوله :-

وبعد ما قد أتى التزئيل ممتدحا
الازهرى بن عبد الله ذا عمر
بالحمل من كل ذنب جاء متصفا

واستغفر له فهو عبد مسرف جاني
 الزوجات ثم ذوى سقرني واخواني
 يوم القيامة من أثم وعسودان
 والآل والصحب ماكر الحديدان
 والمسلمين كذا واختم بإيمان

فاشفع له في غدا يا ابن العواتك
 واشمل بفضلك أهلي والبنين مع
 اذ انت أكرم من ترجى شفاعته
 صلى عليك الهى يا ابن مدركة
 يارب واختم بخير فى الممات لنا

ومن مداخله فى النسي صلى لله عليه وسلم :

صب تفرق بالنوى اخذانه
 حمرا وحن إلى الوصال جنانه
 رهن لمن وطيفهن رهائه
 ايدى النوى فتفرقت سكانه
 والصبح قد صدع الدجى سرحانه

دد هووه ورثك خنقانه
 مجرت بوارى مقلبه لما حرى
 لم يندر قبل البير ان فؤده
 عجم لربيع بنسوى لعبت به
 نادوا الرحيل وقوضوا لخيامهم

إلى ان قال :-

دهره بالمصطفى ايمانه
 من شية الحمد غدا جثمانه
 للخلق طرا انسه او جسانه
 نرزا يسيرا حاكه حسانه
 ملك ولا ملك ولا أعوانه
 شيت ولا نوح ولا طوفانه
 لعمرى اذ جفا خلانه
 حتما فما فرعون فى هبامانه
 ظلم البحار فكان منه أمانه
 ايوب يوما فانجحت احزانه

حسب الفتى من كل ما قد جنا
 بحر انصفا ذاك المصطفى من مصا
 المنتقى المبعوث من خير الورى
 من معجز المختار يا قوم اسمعوا
 لولاه ما كان الوجود ولم يكن
 حتى ولم يك آدم ككلا ولا
 ونجا الخليل بجاهه من نار تمروود
 ونجا نجي الطور موسى باسمه
 ودعا به من ثومه ذا النون فى
 وبه دعا من كيد ضرمه

ثم اختتمها قائلا :-

يا عين هذا الكون بل انسانه
 زانت بمدحك فى الورى أوزانه

يا سيد الثقلين يا مجلى العدا
 الازهرى الصاردى عمر الذى

ما جناه قلبه ولسانه
 معه كتابا منك فيه أمانه
 طالت عليه دهر لها أركانها
 أهل واصحاب كذا اخوانه
 والآل ما برق أضواء لمعانه
 ل يوم معركة فهم شجعانه
 قد سح قطرا وآتي ابانه
 واغفر لنا ما يرتجي غفرانه

يرجو النجاة بفضل جناه محمد
 وإذا وعى لكتابه يلقي غدا
 ويندى الدنية يرتجيك لعله
 ويفيض فضلك عم من بعينه من
 صلى عليك الله يا نور الهدى
 وعلى الصحابة من اذا دعيت نرا
 والتابعين وتابعيهم كلما
 واختم بخير ربنا لعمومنا

وهذا الشيخ الشعر قصيدة نثرية بحنة « الخوايب المصرية لأنها دنت
 حذرة تلك المجلة ، يقول فيها :—

فقد ضاع من بين القلوب الذوائف
 ولا كان جفن دمه غير ساكب
 له لفات دوتها كل غارب
 بنتها على كسر جميع المذاهب
 أعدت لتفويق السهام الصوائف
 هداني محيا منه مصباح راهب
 رماني بسهم من قسى الخواجب
 سمعنا بجر السين يعزى لذهاب
 فوجدى قديم لم يزل غير كاذب

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائف
 فلا سلمت نفسى من الحب قد خلت
 سبى مهجتي لدن المعاطف أهيف
 ولا عيب فيه غير ان جفونه
 وكم اتقى كسر الحقون لأنها
 اذا ضل على فى ظلام شعوره
 رقيق رحيق خصره ورضابه
 تجر فؤادى سين طرته وما
 فلا تحسبوا انى تصنعت فى الهوى

كمحب العلا مصباح أفق الخوايب
 بفارس ميدان الوغى فى الكنائب
 بأوصاف مجد لا تعد لحاسب
 وهمته اوضحت بهام الكواكب
 لتحرير الفاظ اصطلاح التخاطب
 على صفحات الحسن من دون حاجب

وحبى له لم يخف فى الكون أمره
 هو الماجد المفضال احمد من دعا
 له الله من مولى تفرد فى الورى
 سجيته نصح العباد لامرهم
 فنتى كلما اجرى يراعا بنانه
 ترى الدر يزهو من سموط سطوره

.....
ويا سيد قد طاب في الناس سيرة
مضلك وقيل ست فكر تربنت
ودم سلا في سعة عيش مؤيدا
ولارنت اصلا لحميل ومختدا

.....
كما انه من نسل قوم أطايب
مدحاك لا مما حوت من عجائب
بأمن وحفظ من جميع لوائب
حميد الساعي في لورى ونواقب

(٢)

شعراء المهديك

والموت في شأن الاله حياة
للمرء ما اقترنت بها العزمات
ومقدام الرجال تهابه الوقعات
لا يستطيع لنيلها غايات
يقضى فليس تزيد خشيات
نفس الكريم وحانت الاوقات
العلي وأجرها الجنات
شهدت بمحكم اجرها الآيات
صحب الامام السادة القادات
شم الجبال وللضعيف حماة
شهدت به يوم القا الغارات
قتل الاعادى عندهم عادات
اثر لسحود عبيهم وسيدات
سد وس رمحهم غدت
رزق لنسور وحملهم قوت
تختل في ميدانها فتيات
وأغرر صبحا اذ علت اصوات
رعقت دما وجلالها اضمات
غير الجماجم والشعور نبات
وتوهموا ان الصعود نجاة
ان الشوامخ عندهم صخرات
نزلت بهم عقولهم اشبات
شكر الاله له وتلك هيات

الحروب صبر واللقاء ثبات
الجبن عار والشجاعة هبة
والصبر عند اليأس مكرمة
والافتحام إلى العدو مزية
والعمر في الدنيا له أجل متى
فعلام خوف المرء ان غشى الوغى
والفخر كل الفخر بين النفس لله
ان الجهاد فضيلة مرضية
قد حاز هذا الافتخار جميعه
قوم اذا حمى الوطيس رأيتهم
بولباسهم زرد الحديد وبأسهم
وخلفهم صدأ الدروع لحزمهم
في السلم تلقاهم ركوعا سجدا
وتحالم يوم الجلال ضراغما
ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى
والخيل ترقص بالكماة كأنها
فأثرن نفع الموت في عرصاتهم
وذباب اسياف المنية فوقها
والأرض سالت بالدماء وما بها
ظنوا جباهم شبيعة تقيّة
ذهلوا اصحاب الامام ومادروا
عميت بصائرهم وتلك مصيبة
يا أيها الانصار ان صنيعكم

أعلمتم دين الاله وما بكم
 وشرحتم صدر الرسول محمد
 ورهبتهم العليج الكفور بسيفكم
 وسقيتم الأعداء كأس منية
 فصعودكم متن الجبال دلالة
 فالفخر فخركم وفخر سواكم
 انتم جهابذة كرام مالكم
 واذا العناية قارنت عزم الفتى
 خالى متى انتم قعود تنظرون
 السيف أصدق ناصح فى حقهم
 قوموا لهم وتأهبوا للقائهم
 اجالوهم من دورهم فلأنهم
 فخذوهم قهرا وسوموهم أذى
 هانت جبالهم ولان شديدهم
 فتحت لكم فتحا ميبنا واضحا
 يا سيدا وسع الانام بحمله
 فانهض إلى الخرطوم ان بسوجه
 بطروا راءوا ثم صدوا معشرا
 وتكبروا وعتوا عتوا فائقا
 نبذوا الشريعة من وراء ظهورهم
 الله اكبر لن يدوم صنيعهم
 خذ جيشك المنصور لا تحفل بهم
 فتسوروا لهم الخنادق وافعلوا
 فتحوا حصون الخير بين التى
 صدقوا فان الحرب اسقى مرجبا
 فتكا وضربا بالسيف وطعنة
 ونكاية الأعداء احلى من عناق

الا الثبات تزيه الوثبات
 بالفتح وانكشفت بكم ظلمات
 والدين تصلح شأنه الرهبات
 عبراتها ما مثلها عسيرات
 اذ لا يحط لقدركم درجات
 محض ادعاء ماله اثبات
 فى الصدق من سبة ولا شبهات
 نجحت مساعيه وهان ممات
 لوعودهم وهم للجميع خزاة
 والفتك فيهم حسنة اساة
 ولتقصدهم فى الديار امات
 كتب الجلاء لهم وحق شتات
 فلكيدهم لا تنفع الحسنات
 وخبرت أنباهم والذات
 سرت به الارضون والسموات
 واستطروهم بالهدى بركات
 اهل الغواية والمناسد باتوا
 فى الله لم تعرف لهم رغبات
 والله اكبر والسيف هداة
 عن دينهم شغلتهم الشبهوات
 هذا وانتم للانام رعاة
 ولتقدم امامه الرايات
 فعل الصحابة اذ اتت غزوات
 زعموا بان حروبهم هلكات
 موتا وما علمت لهم سطوات
 ذاقوا مرارة طعما الليات
 خريدة لعبت بها نشوات

فجروا ولم تصلح لهم حالات
الدين القويم وهؤلاء بغاة
ورشاد اهل البغي تمويهات
بربكم قد امكنت فرصات
فلقد تسابق روحه الرحمات
وتزينت نقدومهم جنات
وتعرضوا فاتهم الفجحات
وتعمرت بشناكم الايات
ارجو الاقالة ان بدت عشرات
سرت خطاه بجهكم سكرات
ما هب ريح النصر والنسمات

شوقا وقلبي للملاح طروب
فتن المشوق وفاته المطلوب
وسواى ينعم باله ويطيب
سهر الحفوز كئنى يعسوب
ما رابنى فى عشقهن مريب
اثر الحمول وان علا التأنيب
قد مسها نحو الحبيب لغوب
كهلال شك ينجل ويغيب
وانت تذرف دمعك المسكوب
حيث الزهادة والتقى المرغوب
زهدها الدنا فاتاها التقرىب
بنفخاره والظاهر المحذوب
نجابة وابن النجيب نجيب
شم الثوابت ان الم خطوب

قوم اذا ما السيف فارق رأسهم
جلدوا ولا تهنوا ولا تبغوا على
فرشادكم عين الحقيقة واضح
قووا عزائمكم وكونوا واثقين
وليهن بالخبر الجزيل شهيدكم
والخور تنتظر اللقاء فرحا بهم
رضى الاله عليهم من فضله
الفاظ شعري شرفت بمدحكم
قد قلتها وانا الفقير محمد
ان لم اكن سلمان بيتكم الذى
دمتم ودام ثناؤكم متابعا
(وقد مدح الشيخ ابنا عثمان دقنه بقوله :

ما بال طرفى للدموع سكوب
ولقد فنتت وما ظفرت وربما
انا فى هو الغيد الحسان معذب
متواصل الاحزان ألبأ للبك
متعمق عن فعل كل دنيئة
ماضرنى ان لو حثت العيس في
وزجرت للبكرات دامية الخطا
أو جفتها فسيرا فصارت ضمرا
فسألتنى ابن المسير ومن تريد
فاجبتها عنى اليك فيمضى
ففساك تلقى نقحة من سر من
عثمان دقنه من رقى اوج العلا
ومحمد ابن الطاهر المجذوب خل
وحماة ذلك الثغر أجمعهم فهم

ما شوقهم دوما لطلعة فارس
والدين اصبح ضاحكا في ثغرهم
فلآثم اهل الشرك حزن دائم
بعثت لهم همم الجهاد ملايس
وامدهم جيش الملائك ناشرا
فسوفهم مسلولة ورماحهم
فعدوهم دوما يقص بريقه
ان نوزلوا كانوا الليوث معاركا
او حربوا فالرعب من اعوانهم
واميرهم عثمان اهلك ملسة
ان صال فالفرسان تحجم دونه
او جال في الميدان تحسب لئه
او جرد السيف المهند مؤمنا
فالخلم فيه سحجة مغروسة
فطلما عين الشريعة اسهرت
فانامها عثمان وانكشفت به
وافاد ثغر سواكن امنا وایمانا
وكفاه فخر ان من اعوانه
يتفجر العرفان من اسرارہ
صدقت عزائمہ واخلص نية
قد سالتہ يد النوايب فاذنشت
وغدت تناضل دونه اعداءه
لا شك ان الله اکرم ذا الفتى
فاد في حفظ الشريعة بل ابي
ما ضر عثمان الهزير اخا التقى
فالسعد یخدم جيشه بشهادة

الا كشوق العاشقين یصیب
والشرك حل بربعه التخريب
ولا سهم منح السرور نصیب
النصر العزيز یحمده التصویب
رايات نصر للبلاد تجوب
مسنونة وعدوهم مرهوب
والرعب منهم للقلول یذیب
او غولبوا فعدوهم مغلوب
دوما وعقل عدائهم مسلوب
عدم النصیر صریحها المكروب
فرق الخلاك وسنان عوب
اسد تفرس والرجال تثوب
لاولى تقسوة فانرؤوس نجیب
أما لدى حرم الاله غضوب
ذلا وذرف دمعا المصبوب
اهوال حرب للصغير تشیب
ویمنا وليس فيه عزوب
ذاك الذى هو للقلوب طیب
للائدين ومنه اليه یثوب
فی الله ثم مرادها المحبوب
جذلانة بوادره وتطیب
قد كشرت منها هن نیوب
واقامه للدين نعم رقیب
وتفوس قوم حظهن طیب
من بعد ما افسداه قط عصب
من نالها ابتسمت اليه عروب

فجزاه رب العرش عنا خير ما
وتزاحمت من ربه الجنابه
عثمان هذى حلية الفكر التي
وبعشر معشار الذي اوتيته
جاءت تجبر عن غرام محمد
وبمبتدى المدح الذي قد حزته
وبطول احسان غرست وسودد

وقد بدأ هذا الشاعر قصيدة مدح به الأمير الراكي بأبيات الغزل لآتيه :-

أبدا يورقني عبير شذاك
ويردني من حنة اعتلاي
ويزيدي طربا وحسن مسرة
يا ربة الحسن الذي فتن الوري
عذبتي بالصد والمجران ما
كفى فقد نزل السلو بخاطري
وظللت اروي من احاديث الندى

كما بدأ قصيدة أخرى بقوله :-

دعوني اجتنى ثمر الرقاد
الا يا حادي عيسهم رويدا
ويا دار الاحبة خبريني
متى رحلوا واين ثووا وقاموا
لين بت فيه سمير انفس
كن ضياء انحمه علينا

وخلوني اميل إلى الوساد
سلمت من الملمات العوادي
سقتك هرامع السحب الغوادي
على هجرى ام اقترحوا ودادي
قريب العين مشروح الفؤاد
ايادي الشهم عثمان الجواد

/ برح الخفا ما الحق فيه خفاء
 / فالامر جد والقلوب مريضة
 / والحائات مصاعق بمنابر
 / والحق اظهر ان يرى بشواهد
 / والشمس في أوج العلا من مغرب
 / والبلر قابلهما فم كماله
 / ودارى أفلاك العلا دارت على
 / وتكاملت في كل مجد ايجد
 / ما ان ترى الا جميلا زاهرا
 / وسقته من خمر الهوى بعيونها
 / بالآية الكبرى التي بظهورها
 / مهدي رب العرش منتظر الوري
 / السابق ابن السابقين إلى الهدى
 / ولهم تبلج كل غصن مشبر
 / تسقى بعذب رائق من البحر
 / وهمى وجاد على الانام بما ترى
 / بشرى لنا بظهور مهدي الوري
 / جمعت حذ افير الولاء لنا به
 / رفعت منه يد بقدرة قادر
 / بمكانه الامن المؤيد وقته
 / انعم بأمر كان من جد القضا
 / وله الاشارة من الست يركبهم
 / ما حالهم ما بالهم لم يسمعوا

وتوالت الآيات والانبياء
 والداء داء والدواء دواء
 بعظاتها تتواضع الاشياء
 لم لا وقد قامت به الاسماء
 بهرت عليها هية وبهاء
 وتقلدت بعقودها الخوزاء
 اقطابها فزعت بها العلياء
 لما استقام زمانها الاشياء
 بهرت في حلل البها زهراء
 ولما ثغور شفاها لمياء
 كس الرضا ونجابت الاسوء
 وإلى الولي والاكرمون وراء
 من معشر نتجت بهم زهراء
 بحلاه تزهو روضة خضراء
 من فيضها ملاً البحور الماء
 من غيثه اظمى عميم سماء
 آية ونعمى بعدها نعماء
 وعلى الجميع من الامام خباء
 فوق المباني ما علاه بناء
 والارض ارض والسماء سماء
 جار وقد حكمت به الاسماء
 طوعا له وليسمع العلماء
 نفسى لهم مما يشين فداء

من يحفظ التنزيل من بدرى الذى
من يحفظ الاخبار على اهل النبى
ويرد اشكال الامور لشكلها
ويرى للقيح بداية ونهاية
مثل الذى فى بحر ليل جهله
لا والذى خلق النوى وهدى الورى

فيه ومن لم يدر ذاك سواء
وتعين ذلك فطنة وذكاء
ولها عليه من الثناء سناء
ويروم احسن ما الاله يشاء
داح وأشرق ما يراه مساء
ونه ورء محبة حياء

مهدي امة احمد بي لم تسدر
فتكرت من ذاك كل مقاصدى
ماى سواك وليس بعدى من جما
وأنا المصغرين ظهرا نبيهم
لم تعرف الايام قبلك متزلى
واستعملتى اليوم فى عاداتها
اجملت فيما لا ارى اجماله
ومواضع التفصيل دوني شأوه
فلسان حالى الكنته فهاهتي

خلا يدوم له لدى اخساء
فاذا الجميع سوى علاك هباء
لكن بذاك جرى على قضاء
حسبى التصاغر انهم اكفاء
ولذلك لم يرفع على لواء
فاطعتن ولى اليك رجاء
حقا ولكن للامور مضاء
لعبت بها من دوني الاهواء
بعضال داء ما لديه دواء

وامانة الجحم الغفير مهاجرا
نتناوله من اللثام واعطه
واشروط عليهم ما اردت من الهدى
رسم ترقق بالسنا فله الهنا
وكسته أثواب الرضا مهدي
فقدما بها يختال فى حال البها
كم ارتعى من روض دانية الجنا
عزحتها تحف الكلام فنوعت
واذا نسيمات الصبا دعت الصبا

وله بماء سمائك الاحياء
صنف الكرام فاهله العلماء
يعضو عهد لابي ماء
اذ ناله بعد القناء بقضاء
تتلو المضرة اختها السراء
ولكل شيء شدة ورخاء
نمر الرضا تدينه لى وجناء
تحف الملام وهاجها ادلاء
لوصالها تتصل الاعضاء

ترتاع ان هتفت بها من كسوة
عاش ابن سينا جهده اوصافها
دقت ورنث وارتقت فى سكره
كيف التواصل والقوى تبت السرى
فتزلت حاجاتها فى سوح من
وتركتها وكفى لقائى مرة
تلك التى جهد الزمان لوصلها
حتى بالطواف المهيمن مكنيت
فغدا بها متصرفا فى اهله
ودعا بها لله دعوة قاهر
فاجابه اهل النهى فى طاعة
وديار من نادى الهدى منتقضة
حاكت بها يسرى الشمال عجائبا
فى ثانى باه النبوة عطالت
فى تاسع من ريع فى لنان من

سحرا لتجديد السلام رخاء
بشفائه فاذا هى العنقاء
بلمى شفاء دونه الصهباء
اذ مسها من ضعفها الاعياء
بحمولهم تنتزل الضعفاء
اذ لا يدوم مع الزمان لقاء
وله بذلك غدوة ومساء
اعراضه منها يد يبضاء
يعطى ويعنع من يرى ويشاء
سمعت بعز مكانها العظماء
سفكت بها قبلى اللقاء دماء
وسقوفها بين السقوف هواء
شعلا تفتقه يد عرس
ببصر المنها وجواهر ورساء
بعد الكئين ونلامور مصاء

ما النار شأن النار اعجب ما أرى
عنها استفد خيرا وكن متبصرا
عبر تجل عن القلوب ذوى الذكا
اتظن تلك كرامة مأنوسة
وهدى لدين محمد من يهتدى
هم والذى برأ الورى هم لاسوى
وفدى النفوس انا فاني دونهم
هم كالنجوم هدى وفى الجلودى
ماذا الذى تقفاس من افعالهم
ما دونهم مرمى مريد صادق

تجرى بهم وجسومهم سوداء
فى امرها وليعمل منك بكاء
اية وتكسف بينهن ذكاء
لا والذى خيلت به الاراء
وبه تخصص فى الهدى الخلفاء
كل النفوس لهم سواى فداء
بى والذى برأ الورى أدواء
بلى العدى ما بعدهم اظماء
فقياسهم بسواهم اغواء
هل بعد عرش الاسواء بناء

فسوى خلائف حمده مهدي نوري
 الا الذين غدوا على آثارهم
 ذاك الرفيق الزمه واترك غيره
 واعصم سقاءك بالوكاء من الظما
 واصحب خبيرك في الترى خوف
 واحلل اسيرك ها هنا ان تستطع
 ختمض عليه فللخطوب ترسل
 وعلى النبي وآله صلى الذي
 وكذلك سلم ذو العلا ما انشدت

وقد رفع هذا الشاعر قصيدة ثانية للمهدي قال فيها :-

الامر جد والخطوب جداد
 نزلوا بجرعاء الحمى من حاجر
 مهج تقعقع في شنات جسومها
 قضب يحرك معهد اوتارها
 دقت ورتقها الصغار وعادها
 وكأنها يوم الوغى في كربها
 وعبوتها مغموضة بعبوتها
 نادى بها ذو الصور يطغى نورها
 بين الرقاق البيض والسمر القنا
 طربا يفوق على الشمول لمامة
 ومحاسن العلياء بين مطارف
 ما بعد طيف خيال ظل خيالها
 حرب بمحراب الهدى من يأسه
 لم لا واملاك السموات العلا
 والجن والانس الذين عهدتهم
 فاجبر بنفسك خل اخبار النوري

وجند مهدي النوري اجماد
 فبدت لهم من حاجر ازواد
 فكأئنا بنشيد أعواد
 يزهي بها الانشاء والانشاد
 بعد الرقاد من الخطوب سهاد
 بخطوبه تخطو به الاسناد
 والحق ابلج والنوري اشهاد
 فرنت له الارواح والاجساد
 بجلومها تراقص العباد
 لم لا وكيف ومي عيون سداد
 خضر بها جمع الجمال جواد
 يوما ويوما يراد سهاد
 بشتائها تتزلزل الاطواد
 في جيش مهدي النوري اجناد
 سوى الذين وماهم اعداد
 والراد خل ولا يعقل بعداد

كذب أتى منه له وعناد
انقى نقى ما عليه سواد
وعلى الفعال من المقال مزاد
فى جنبه يستصغر الانشاد
جمل الصلاة كذا السلام يزداد
فتحت بأسيايف الرشاد بلاد
وعلا له فى الخافقين عماد

واحذر تقوّل ذى اعتداء جائر
انضى القتالة فيه حق كله
للحق جائر وللمناكر قاتل
يكفى الذى مليته فى حق من
وعلى النبى محمد خير الورى
ولآله والقائم المهدي ما
وسمت له رتب الولاة على السما

ورفع قصيدة ثالثة للمهدي قال فيها :-

لها فيه ما شاء السراب الملمع
فهاجك يا هذا العقيق ولعلم
عليه بها طير المنية وقمع
به هو فى البيداء واه مولع
وكل بكل دى عموم موجه
وتكبيرها كالعبد فيها مسجع
باشراق بدر الكواكب شرع
حياء فوالاها لثام وبرقع
بدا واليه الناس فى الارض جمع
المعد لها الحصن الحصين المنع
بهامته التاج النفيس المرصع
صحاح رواها هيرزى موضع
سعر الهوى فى القلب واجتد تبع
ولكنه منه اليه مشيع
ولكنه بالمجد منه موضع
ولم يلق للتطريب الا مسجع
سخاء بنوم العين والناس هجع
ذهاب عن الاغيار والناس طمع

أهاجك وصل بالاباطح يلمع
أم للبرق فى شعار العقيق لعلم
أم الواقع المبتول بين اجادع
دعاك ومل النفس لولاك من ولا
فسامرته والليل يلهو بنفسه
واسنى صلاة حان وقت ادائها
وظلعة شمس من سنى الغيب عزز
بها اتبهرت شمس السن من سنائها
عاد الهدى اس الجدى معدم العدا
ملاك اساطين الخلافة كفوها
امام المهدي الهادي لكل مرشد
به اخبرت من قبل وقت ظهوره
به انفجرت من قدح زند خواطرى
فاهديت در القول غير مثقب
واوليت ما اوليت عقدا منظما
ولرسلت دمع العين فيه مفقرا
سجدة ذى وجد عليك مؤبد
سجدة من لا غير وجهك قصده

خلقتهم هي مايس فيها طائل
 قصور وحور والحبور ونعمة
 وهالك وخذل منى ودونك واغبط
 بنا انت مالا حت بروق لغيرنا
 وما امعنت في الشجو ساجعة الحمام
 أدرت سراج الفكر في افق خاطري
 وما لذ في عيني وقلبي وقاليبي
 ولا سامرت نفسي من الليل سمرا
 ولا رد في وجهي السلام تحية
 فسرت به روي مسرة بهجة
 سواك فانت الجمع والفرق دائما
 لمن تزجر الحاجات زجرا مبرحا
 فهل دون مأمول الحبيب فناؤه
 انادى فلم يذهب ندائي للذهب
 واثني لعل الصوت يبلغ احدا
 توجه ومنه السير سر فيه تنتهي
 وقل عنه وأسمع لطف كل مقالة
 وعاین وما في العين الا اشعة
 وجمال يريق العين من فرط حسنه
 تغر له زهر الدراري كواسفا
 عليه صلاة دون كيف وعدة
 ومن شعر الشيخ الحسين هذه القصيدة :

وعلقها في كل طبع منقش
 ومال وآمال وخير ممنوع
 عما تبغى عفوا فانت مشفع
 وما اطربت آلات هو تقعقع
 على فنن غض وطلبت ترجع
 فلم ألق من فيه الكمال مجع
 ولا هياج اهوائي خباء مضلع
 ولا ضمني في الدهر بين مصرع
 من الناس شخص حاسر أو مقنع
 لحسن واحسان له اتضرع
 كذلك وانت الارور المتسرع
 ومن في حمي احسانه تتمر
 لحاح ذوى الحاجات باعيش مربع
 شقائي ولم يجمع شتائي مجمع
 فيعلم ما بي او يعيه فيسمع
 اليه فلولا اله البسيطة بلقع
 يمر في افق اذنك اصم
 يمر بها في افق اذنك اصم
 فيبهرها اذ بالجلال مقنع
 وتنزل من اوج العلا وهي خضع
 واستنى سلام ما تلالا يلمع

ونورا يفوق النور من كان والبدر
 إلى ان تراءى في العلا بيننا جهر
 لذلك السنا من قلبه يظهر السر

ولكن فيص الفضل من نعمة لرض
 وهيها كتم الغيب اشراق ضوءه
 ولما تبدى لى وفاض شعاعه
 وسامرت منه خير نفس ابيسة
 ومعنى متى احرزت من غير علة
 اظن بذات الضال في جرع رامة
 ارى مغرب الاغيار اعم ظلمة
 ارغب نور الشمس من كوة الحمى
 اردد فى تلك الطلول على الربى
 وان هى لم تفتح مغلق بابها
 وامكث ان لم الق من جانب الحمى
 اراقب من فيض الرحيم مراحما
 وارضى بكوني ناسكا غير عارف
 وان كان علم العقل غير موصل إلى
 نهاية اعقال العقول معاقل
 قديما ارتنا من وراء خيأها
 سبرنا بها بحرا المعاني فلم نجد
 الا ليت ذلك المبر ما كان حاصل
 فعض هكذا اما هكذا غير ما ترى
 به واحد فيه به وهو صاحب
 قرأت كتب الكائنات مسطرا
 وعانيت فيه كل صعب وسهر
 وسرت ببح السير مع كل صاحب
 تخيلته وهما فواقيت غيره فالتقيت
 ونمت فخال النوم اني ناظر
 بيني وبين الناعمات مجاهل بفضل

حدير بعطاء المنى لعد واجر
 واسفار وحي في الدجى يشرح الصدر
 تذكرت من نور الهداية لى ذكر
 وقدرنا تعالى ان احاذى به قدرا
 وفوزا بخير لم اخل بعده خيرا
 اصلى بظل الضال لى الظهر والعمرا
 فهيها هيها انتقالى ولا بدرا
 طوال الليالى علنى ان ارى الفجرا
 تردد ذى حاج ليدر كها شهرا
 عكفت بذاك الباب اطلبها عشرا
 رفيق بروق عند ذاك الحمى دهر
 ونعماء من ضراء لا تنتهى حصرا
 على حد علم العقل استعمل الفكر
 شرح علم السر اذ لم يزل قسرا
 عن الحق فى كنى قصرت قصرا
 ستور رسوم لم تزل للعلا سترا
 لنا بعد ذلك السبر من احد خيرا
 لقد ضيع الايام والفاضل الفخرا
 من الامر لا ترفع بأمر ترى امرا
 وليس به فيه فلا ترتكب جورا
 فلم استفد منه سوى واحد سطر
 فما شرحت تلك المعاناة لى صدرا
 فمارضيت امرا قطل يسر الامرا
 فى اخطار سبرى له خطرا
 اليه وادنى داره دونها بصرى
 لها الحريت عن ساحة الزهرا

ودوني ودون الملتقى كل شاهق
فيا املي دوني توقف فائني
ونادى صريخ بالترحيل واسمعت
افى الحشر بعد النشر أفت منازل
سلاما متمما من والى مجدد
مجيد القوافى الحاسرات وجوها
خذوا من الثبريح ذاب مفارقا
لكم فضل اصحاب النبي محمد
على احمد منى صلاة تأيدت

على ان يرى نسر السماء بها وكرا
رجوتك لي تعرضت الاخرى
خطوب الليالى ذا الندى لبني الغبرا
مقامى لأني اليوم انتظر الحشرا
ايادى عرف لا يرى بعدها نكرا
من الذل يا ابن العز يعزى إلى زهرا
وليس من الدنيا يعد ولا الاخرى
بخاتم اقطاب الورى الآية الكبرى
ونخير سلام قد ابى العد والحصرا

كهندوب تعرف صبرنا
 وهشيم تشهد عزمنا
 كيا طالما صدنا بها
 جيشا يزن سلاحه
 وسواكن تدرى بنا
 بالمشرف كأنه
 زمنا رصدنا نحوها
 ونثر في أرجائها
 ونظام نرتب
 من كل فتح يمتد
 فتجاذبتهم خيب
 بيض تلعب فيهم
 حتى أنت خصارنا
 وأقر ويك بفضلنا
 ونحقق أن لا نبنا
 نعي لدين لله بل
 منوسلين اليه بلهدى
 وخليفة المهدي
 من ان رحلت عنهمو
 من طاعة لولينب

كيف ارتكينا للمصاعب
 كيف أدرعنا للمصائب
 صيد القضاير للثعالب
 كالرعد اذ ما المزن صائب
 أنا لدى الهيجا نضارب
 وقع الصوافع في المضارب
 نبدي العجائب والغرائب
 كالبيت اذ نشب المخالب
 منها العسكاو الكنائسب
 بل يسرة من كل جانب
 ترمى بهم رمى الثواقب
 فوق العمائم والمصائب
 من مصر تكتتها البخواب
 الاعداء في كل المكاتب
 لى بالمشقة والمتاعب
 فى شأنه نلقى المعاطب
 وجهة كل راغب
 عبد الله مفتاح المطالب
 جزعا زلا خوف النوايب
 فليدر ذا كل الاجانب

في رثاء المهدي

دهنتا دواة يفرس القلب ناهيا
غداة نعى الناعون مهدينا الذي
امام المهدي المهدي افضل من دعا
ألا قد اصابنا اذ عدنا حبيب
لبيك له الدين الخفيف وملّة
فقدناك يا هديا يتمنا بفقد
إلى الله انا راجعون هو الذي
هو الفاعل المختار باق وانما
وكنا نرى انا تفوز بوصله
فلم يبق فيها الآن ما يبتغي له
سقى الله ارضا ضمته بقاعه
عزاء إلى الصديق نائبه الذي
عزاء إلى الفاروق من كان دأبه
عزاء إلى الكرار ذى الناصر الذي
عزاء إلى الآل الكرام اولى التقى
والحقنا المهدي في جنة العلى
الا ابلغوا عنا ضريح المهدي

ويوقد في الاحشاء نارا منابها
به ملة الاسلام جسل مصابها
إلى الله مفتاح النجاة وبابها
وضاقت بنا الارض الوسع رحابها
ابان هداها حين تم خرابها
فقدناك يا شمسا دهانا غيابها
إليه نفوس العالمين اياها
نفوس الورى جمعا اليه انقلاها
بذى الدار حتى صاح فينا غرابها
بقاها فقد اضحى سرايا سراياها
به فافت العرش العظيم قبابها
به الملة الغراء شد انتصابها
لدى نعم الدنيا الغرور اجتنبها
لديه يهاب البائرات ذبابها
على الله هاتيك الرزايا احتسابها
ليذهب عن هذى القلوب اكتئابها
تحايا إلى الله الكريم انتسابها

رفق الصوح وزهد الصهباء
 ربيبة نوية ملكية
 شمسية قمرية ما فض عنها
 تشدو بأعلى صوتها طربا بها
 معصومة عما يحرم كأسها
 أن كنت من أنصار مهديها لنا
 ما هديه غير الكتاب وستة
 أجل الصدا وأزاح أنوار الردى
 أضحى به روض المعالي يانعا
 أمست به آثار طه نورها
 فالوجد فيه مؤثل والفضل منه
 آياته نسجت بمحكم ناسج
 أن فاه يوما فى الذى خلق العلى
 ما قيس ما سبحان ما أحزايهم
 الله اكبر لا ارتباب لهديه
 والآخذون به لقد اعلاهم
 أمست فيه حليف ود لا ارو
 من أين تبدو والختام ختامه
 والعقل قبلا فيه يشهد أنه
 ولنا عليه نتائج بالفكر ثم
 اذ نصره من ربه مشهود كل
 وقتيلة يوم الطعان معجل
 هذا وما قصدى بنظمي ان أض

مذ كان فيها للعليل شفاء
 مهديّة روحية وسفاء
 ختمها فى ذهاب ورفاء
 فغدت تناوب شدوها الشعراء
 فأشربه ثم أدر هناك هباء
 مهدي الورى من فاض عنه هداء
 والتاركسون لذلك هم كفراء
 وسمت به فوق السما علياء
 وعلا لرواد الضلال رداء
 يعملو ولا يعملو عليه سناء
 مؤمل والناس فيه سواء
 ولواؤه بالنصر نعم لواء
 أبدت عجائب نطقه صدحاء
 فى بحره أبدا لهم ادلاء
 والجاحدون له اذن اعداء
 أوج العلا فقخرت بهم علياء
 م به بديلا لو بدت بدلاء
 ولروم شاهدة وفيه كفاء
 بعث الهدي أو ليس فيه خفاء
 لأ عين النظرا له أضواء
 العالمين وليس فيه مرأ
 أحراقه وبذلك لي أنباء
 م إلى الاولى مدحوا وهم بلغاء

لكستى عبد متم حبه
وكذلك لا الدنيا بمقصودى وان
بل مقصدى نظر بعين رضائه
نظر به يمحي شقاي وكلما
يا سيد السادات يا مهدي الوري
أن الزمان هو المحاول صرعتي
لى ذمة ارجوك نجح عهودها
أن قمت يا بن الطيبين بنا فما

استخدمتنى مدحه الآلاء
انا ذو احتياج لى اليه شكاء
عنى وان لى فى الهواء اعواء
كسبته حقا منى الاعضاء
منى النداء ومنك لى الارضاء
ويدي لدفع اذاه لى شلاء
وكذلك الآباء والابناء
هول له نخشى ولا حوء

وصف قبة المهدي

سمت قبة المهدي مجدا وسوددا
 وبصيغ من الاكليل تاج لها مها
 وقد نظمت زهر النجوم قلائدا
 ولاحت بانوار الهداية شمسها
 بنية مجد شادها العلم والتقى
 فله معناها ومحكم صنعها
 ولم لا وقد ضمت لأفضل وارث
 خلاصة صفو المجد عن آل هاشم
 إمام له في كل مجد وسودد
 محمد المهدي بشرى محمد شفيع
 ببشراه غنى بلبل السعد مطربا
 به الله احيانا واطهر دينه
 وقد احرز الدين الحنيفي بالظبا
 وجاهد من قد حاد عن شرح أحمد
 ولما دعاه الحق جل جلاله
 اجاب النداء فالقلب بعد فراقه
 وقد جبر الله الوجسود بأسره
 بهدي الذي قام فينا مقامه
 فقام بأمر الدين حق قيامه
 قلوب الوري تعنو جميعا لهديه
 امام اجل الله في الكون قدره
 مآثره في الدين يعسر حصرها
 وقد اصدر الامر الكريم مخاطبا
 ونيطت بها الجوزاء عقدا منضدا
 وسال بها نهر المجسرة مزبدا
 ليخيد علاها جائر سبق مفردا
 فأشرق منها الكون وانقشع الردي
 يطوف بها الزوار مثنى وموحدا
 وروضتها الزهراء بالفضل والندی
 تلخیر الوری طه المشفع احمدا
 وافضل من في الخير راح أو أغندی
 متأثر فضل ما اجل واجمدا
 الوری فی الحشر من طاب محتدا
 وقام علی غصن المسرات منشدا
 وأولاه افضالا ونصرا مؤيدا
 ودمر جبارا طغى وتردد
 وقد فل جيش المعتدين وشردا
 لدار بها الفوز العظيم مخلصدا
 يذوب أسي والصبر عز وابعدا
 وأعلى منار الدين حقا وشيدا
 خليفته هادي الوری قانع العدى
 واعمل في أهل الضلال المهندا
 فلا تنثنى الا وعنها انجلى الصدا
 وتوجه تاج القلوب وأيدا
 فغاية ما عندى القصود وقد بدا
 لانصار دين الله حالا ومبتدا

وقال لهم قوموا بكامل جهدكم
وبادر أبقاه الاله مسارعا
ومن بعده الانصار تحت اشارة
فجاءت بحمد الله اعظم قبة
فيا زائرا تلك البنية لاندأ
توسل يبشرى المصطفى متأدبا
وقف خاضعا وأرخ القبول مؤرخا

لنحرز اجرا فى البنية سرمدأ
يباشر اعمال البنية مرشدا
له وهو بدر فى سماء العلا بدا
حوت كل مجد لا يعد وسوددا
بقبر حوى الفضل الجسم المؤيدا
لتظفر بالحسنى وتبلغ مقصدا
بقبة مهدي الانام ترى هدى

رثاء المهدي

كيف التثام فزادى المفطور
أم كيف الضنا عن مهجة
أسف على المهدي من سهد الصبا
لازال في كنف العناية يغتدى
حتى انتهى لمقامه الاعلى الذي
واقامه المختار عنه خليفة
ورقى إلى كرسيه متستما
فدعا إلى الدين الخفيف مجاهدا
فتح الكفار ودمر الكفار في
ومن اهتدى بهداه أصبح داخلا
ومن انتهى لسراه أمسى حائرا
ما شئت فيه من الثناء فقل ولا
ما أطنبت مداحه الا وهم
هو مجمع البحرين بحر شريعة
سر الوجود وترجمان الحضرة
والله اكرمه بطيب تحية
قد كان قوام الدجى متبلا
طلق المحيا خاشعا متواضعا
وتقبض بالحدود الكثير يمينه
وبيت طاول الكشف جوعا وهو قد
لا يتغنى جاها ولا مالا ولا
ما همة الا اجتذاب الخلق من
لما ابان لنا السبيل ولم يدع

ورقؤ دمع محاجرى المنجور
أحشاؤها تصلى على تنسور
قد كان معصوما عن المحطور
بدقائق التبصير والتنوير
عنه النهى فى حيرة وقصور
خلعت عليه ملابس من نور
فى مشهد بالاوليا معمور
بالسيف والانذار والتبشير
كل البلاد يجيشه المنصور
سور الرضى اعظم به من سور
ضل الطريق بليلة ديجور
تأخذك لومة لائم مدحسور
عن وصف بعض حلاه فى تقصير
طام وبحر حقيقة مسحور
العليا ومظهر عليها المستور
يحبو بها موسى كليم الطيور
متواصل الاحسان غير فخور
كهف الفقير وجابر المكسور
أبدا بلا من ولا تكدير
اعطى الكنوز يجمعها الموفور
عز الملوك ولا ارتفاع الدور
درك الشقاوة عميم والعور
ايضاح منهي ولا مأمور

والدين عز وأمله بلغوا المسنى
ناقت إلى الذات العلية روحه
فمضى وأودع كل قلب حسرة
تبكى المساجد والمحارب فقد
ياطيب أرض ضم جسمك تربها
يا آل بيت المصطفى صبرا وان
فلکم تجمع في مصيبة جدكم
واذا توارت في الثرى شمس الهدى
أبقاه مهدي الاله وراءه
ويسوق للنهج القويم بحاله
هو ذاك عبد الله نجل محمد
وخليفة الفاروق نجم ثاقب
وخليفة الكرار سيف متضى
بطل اذا اقتحم الكتيبة غادر الا
فيهم قوام الدين بعد امامه
صلى الاله على ضريح ضمه

وتقبلوا في نعمة وجبور
وسعت لمقصد صدقها المزخور
وحشا الحشا ببلابل وسعير
ومواطن الازكار والتذكر
تررى بعرف المسك والكافور
جل المصاب وعز عن تبصير
خير الانام الحى والمقبور
فهنالك بدر هدى عظيم النور
خلفا يسير بسيره المشكور
ومقاله وحسامه المشهور
وسع الورى بالحلم والتدبير
بضياته يجلو ظلام الزور
بالحق يقطع هام كل كفور
نطال بين مخرج واسير
وبهم تمام ظهوره المأثور
أزكى صلاة فى المسا وبكور

أوميض برق أم سنى مصباح
أم قام فى الدياجى ناشر
أم ذى الغزاة تردهى بأشعة
أم تلك عارفة الزبير اخى الذى
ضخم الدسيسة ما خلعت أبوابه
من دوحة العباس عم المصطفى
أم ضوء فجر صادق الأصباح
بيض الملاء على درني وبطاح
مكسوة بجملها الوضاح
لألاؤها يجلو دجى الاتراح
من قاصديه فى مساء وصباح
أكرم به من سيد جحجج

إلى أن قال :-

هو فخر ستار الذى عظمت به
وتواضعت عظمائها لعلاه اذ
من فطة ونزاهة وشهامة
يخنو على مكنتهم بتعطف
فلذا تراهم يلهجون بذكره
يا من يباريه بلا فضل أفق
فأنه يبقبه ويجعل سعبه
ويمتج الاوطان منه بعودة

وجده عم بها جميع نواحي
علموا بما أوتي من الفتحاح
وشجاعة فى الغارة الملحاح
ويسد خلقهم يخفض جناح
لا يطربون بغير هذا الراح
أيسابق الباز بغير جناح
فى كل ما يهوى قرين نجاح
تهب الدواء بها لكل جراح

(٢)

شعراء الحكم الثاني

فى تحية العام الهجرى ١٣٥٥هـ

حدث فان حديثنا منك يشفىنى
 طفلا وانك قد شاهدت ذا النون
 وانت انت فتى فى عصر زبلين
 فان اخبار هذا العصر تبكىنى
 ان الملوك وان عزوا إلى هون
 واندب بها كل ماضى الغزم ميمون
 من ذى حفاظ وبذل غير ممنون
 فيها وعن سائل فيها لهارون
 بعد الامين حسام الشهم مأمون
 وكيف جرد من ماضى ومسنون
 من كل متضج الآثار مدفون
 بسادة عمروا الدنيا اساطين
 عفا واعطى برأى منه مرصون
 بالمال والمال من أجدى القرابين
 والذين والصفح كل المجد فى اللين
 على رقاب الورى امضى القواين
 جم الأياد من الشم العرائين
 فيها التقى وحنان للمساكين
 عطفا ورفقا لبادى الفقر محزون
 للمجد الاثيل بفخر غير ممنون
 لا يحزننكم بالنصح تلقينى
 وحمى ولين بفظ الروح مقرون
 تدين يوما لراضى النفس بالدون

يا ذا الهلال عن الدنيا او الدين
 طلعت كالتون لا تنفك فى صغر
 سابت نوحا ولم تركب سفينة
 خبر عن الاعصر الأولى لتضحكنى
 خبر ملوكا ذوى عز وابهة
 وارمق بطرفك من بغداد دائرها
 سلها تخبرك كم ضمت مقابرها
 سل دار عاتكة عن شأن عاتكة
 وصل زبيدة عن قصر تبوأه
 سلها عن الجيش جيش الله ابن مضى
 أخلى منابرها من فى مقابرها
 وقبلها ابلك دمشقا انها فجعت
 وصل معاوية عن شاتميه فكهم
 بأسو جروح مقال ليس تؤلمه
 هى السياسة تأليف وبذل وندى
 هى التى حكمتها بين القلوب له
 وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى
 واذكر لبالى لل فاروق أرقسة
 وكم تفجر فيها المصطفى كرما
 انى بكيت على ماضى تكفل
 احببى ودعاء الحب مرحمة
 قرب قول غليظ اللفظ باضنه
 ترضون بالدون والعلواء تقسم لا

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه
تفرق وتوان واتباع هوى
والخادئات تريكم كل آونة
فلا اعتبار ولا رقى لنازلة
لبيم وبلايا الدهر ان نزلت
بامة جهلت طرق العلاء فلم
للمدارس هجران وسخرية
وللفاسد اسراع وتلبية
والناس فى القطر اشياء ملفقة
فمن غنى فقير فى مروءته
ومن طليق حبيس الرأى متقبض
وأخر هو طوع البطل يبرز فى
وهيكل تبعته الناس عن شرف
يغتال بالدين للدنيا ليجمعها
أحبى هى نفس هاج هائجها
هزرت فكيم سيوفا فى مضاربها
ان الحياة للمضمار اذا ازدحمت
لها وسائل ان شدت أو اصرها
تواضع وتوان واتباع هوى
فاحسنوا انما الاحسان واسطة
ثم انشروا من شريف العلم أنفعه
العلم زين وبالاخلاق رفعته
ان الخلائق ان ظابت منابتها

من الجبان ولا ينقاد بالهوى
إن الهوى لهوان غير مأمون
ان التقاطع من شأن المجانين
ولا احتياط ولا رحى لمجنون
فالمصر يكشف منها كل مدفون
تسبق لغاية معقول ونخزون .
وللمتاجر ضعف غير موزون
ولا الثفات لمفروض ومسنون
فان تكشف فمن ضعف وتوهين
ومن قوى بضعف النفس مرهون
فاعجب لمنطلق فى الأرض مسجون
ى الملوك واخلاق البرازين
كالسامرى بلا عقل ولا دين
سحتا وتورده فى قاع سجين
من الشجون فلم تبخل بمكنون
عون الطريح وارهاب المطاعين
به الرجال تردى كل مفتون
تبين المجد فيها أى تبيين
والصبر والحزم ازكى فى الموازين
للعالمين به فى كل تمكين
وعند هم معنى كل تمكين
ان قارنته يد فى خسر
كانت لكسب المعالى كالبراهين

استقبال لورد النبي

وصبقلها الثبت والنبات
لنا في كل حادثة عظام
اصيب به الاطبة والرقاة
وقد خارت كهولهم فمانوا
ولا أدري أهم فيه نعمة
يلذ لها من الحزب القنات
وهم في يوم أزمته الحماة
وهم في يوم شدتها الكماة
وهم في بحر حاسدها الرماة
وارجفت المعاهد والجهات
تضم بها المنافع والشكات
تصحب لأمور محب
نفوس للمعالي جائعات
رفيقا في الامور لك انصلات
بها حجج النبوة مشرقات
وان قامت هناك المعجزات
رجال للهدى احيوا وماتوا
وخبر الواعظين بها رفات
نواد ارض ساكنة - سوات
وبعض من ملائمتهم عراة
تعود به على الشعب الحياة
فتحمونه البقاع الناهضات
تسير به الامور الصاعدات

هي الاخبار آفتها الرواة
وفي الخلدان آلام - ولكن
تعلفل بيتنا للجبن داء
فلا شبابنا جسدوا فنالوا
ولا أدري أهم لنقطر بشرى
فما لنفوسهم ذلت فظلت
وما لناهضين بها استراحوا
وهم في يوم زيتتها رجاء
وهم في يوم ظلمتها بلبور
ترامت مشكلات الدهر فينا
وجاء اللورد يرقل في ثياب
اذا ما قيل قد اوفى النبي
ألا يا حامل السيفين انا
دخلت (القدس) يوم دخلت برا
وسرت على جلالك فوق أرض
ولم يعجزك ان حيت فينا
وسرت بها يروقل في ثراها
فهل احرزت من عظة نصيا
مررت على الديار وجزت فيها
فبعض من تكاتفهم عراة
فهل للساكنين بها نصب
وهل اوليت هذا النقطر خيرا
وهل قدرت ان يبقى وبرقى

وعهدى ان ايديكم جميعا
وانك ان اعطقت فينا
لنا بالطب جهل اى جهل
وكيف يحوز قصب السبق قطر
شباب القطر في هف وشوق
هم القوم الذين على هداهم
ومنهم (كاتبون) وهم كرام
بأيديهم . وان كانوا قليلا
وفينا اذ نسام الهون عزم
وفينا فطنة كملت وطابت
فضع مجد البلاد على وداد
على حكم التسامع والتفاني
على حسن التفاهم من رجال
روض بالحدود جامحهم وايقن

عوامل فى الحوادث ناصبات
ايادى تستقل بها الهبات
وان الجهل من شعب ممات
جفاء مع المجامين الاساة (١)
إلى سبب تزال به الاذاة
يهذب ناشيء وتربى فتاة
ومنهم « حاكمون » وهم قضاة
مفاتيح القلوب الحاكمت
منيع لا تقل له سبات (١)
وفينا حين تبصرنا أناة
تقاد به القلوب النافرات
تدين لك النفوس الجامحات
كهول قرح وهم لعدات
بأن الامر تصلحه العداة

نأت بك عن ذات الحجاب الرواسم
 مدامع تنديها من البين مثلما
 جراح بأعماق النفوس تغرثها
 وائين ولا كالثاكلات ومهجة
 عيون ولا كالمرففات تألبت
 ترفق فما يحدى البكاء ولا ارى
 أرانا هجرنا الدين والدين معقل
 أرى البدعة الحمقاء ارخت سدولها
 أرى شرعة الاسلام رثت جبالها
 أرى زهرة الدنيا وشرح شبابها
 ارى ما ارى مذ ساد في الناس واهن
 سلام على الدين الحنيف وفتية
 تبدل ماضينا ولم تبق سنة
 اذا شئت يا ذات الثنايا تشاهدى
 اغاروا . وقد انجذت ، لما تحولوا
 فبيناهم للامر والعرض سالم
 يقال رجال . لا وربك انهم
 نفوس ابت فعل الجميل لاهلها
 فما روع العلياء الا عمائم
 أجل نظرا في من مضى من رعيننا
 تخلى لهم عن امره الدهر خاش
 رحن الحرب في ايديهم وزماتهم
 اذا نال من في الغرب سوء تراكضت

فقلبك مقسوم وبينك قاسم
 همت من حصار المرسلات غمام
 وهيهات منها ما تفيد المراهم
 براها حين قلدته الحمام
 عليها جيوش الهم لازم
 من الخير ما يلقاه في الناس نائم
 فما خير سيف لم يؤيده قائم
 على السنة الغراء لين الصوارم ؟
 وراحت بامواج الخطوب تلاطم
 تبدل بؤسا . بنس تلك المغارم
 وخارت عن الاقدام منا العزائم
 على عهدهم ترعى النهى والمحارم
 وصار لنا نعد المواسم
 بتيك على مر الليالي فهاهم
 عن العهد واستولى القباد سواهم
 اذا بهم يفضون والانف راغم
 جديرون حقا ان يقال الفواطم
 وايد الى الاعداد نعم المازم
 تساوم فينا وهي فينا سواهم
 فهم عند ناب الثابتات ضراغم
 وتسلم دولاب الحياة الأعاجم
 حليف وان هم سالموا فمالم
 سواجحه واهتز في انشرق عالم

ديرو عيبا كنش ذكرهم عسى
 كل كى تكى تعنى معيهم . .
 وبهم عيش دشم ومرة
 وكش ترى نيل من منعت
 وقد بعد به ما شمس
 وحس علا ان قلده هه
 على صروح من آه هشم
 كيف يدى دس شمس حمد
 من دس . كى مع صانع نرد
 ملائكة رحمت حرسه ومن

تريكه حاسه فى مؤمن دمه
 بنو سرير الشك مهم حساره
 بعد د حينها سعاد موسى
 وبالسند مندوب الخلافة حاكمه
 شون آبانت للفرجة . ما هم ؟
 فصار لها بعد الخفاء معالمة
 فقد ساد قدما فى الخلائق هاشم
 واحمد نودى حيث جبريل واجم
 ومن ملكوت الله ، لكن سماهم
 مقاتلة الانصار جند مقاوم

في استقبال الورد اللبني

وأجل الرجال من كل جنس
عمدت إلى دوائي وطرسى
بروح من المهيمن قدسى
مشرق فى الزمان اشراق شمس
لا حرب تدفع أو — من
وفى عن من بلاد ورأس
مثل مصر ومن يوم وفير من
مكسب من سعد من حكن
من من من حجاج وشعس
وكذا الجهل والنصب ينسى
مستحق كمن وفى ومن
ليد تعمم البلاد ورأس .
فى الهوى والضلال عالم وجس
قدر للعاملين من غير لبس
يثمر الحكم بين لين وبأس
من من من فجع كرسى
والود وهو أطيب غرس
من من من يومى وأفسى

أنا أهوى الكمال فى كل نفس
واذا جاشت العواطف فى نفسى
فاتح القدس قد تمنى الله
لك عزم من القضاء وذكر
جئت تستعرض الصفوف احتفاء
يا أجل القواد فى الحرب شرف
كان تاريخها القديم جليلا
ثم دار الزمان دورة نحس
فدرجتا على الصعيد حفلة
قل من يذكر الحقائق منا
فاسعدونا فقد شقينا بجهل
وافتحوا فتحن أحوج منكم
واسندوا الحكم للكرام فمنا
وادفعونا إلى الامام فانتم
وخذونا برأفة ويأس
عشت بالورد للبلاد وعاشت
وليدم بيننا التعاون والاخلاص
ثم لو تنطق البلاد لقالست

وحدة وادی النيل

ففي قصيدة يهنئ بها صديقا دخل الوزارة :-

ومن ضلّ الموت نال الحياة
وزيرهم اليوم نعم الوزير
فخسرت به لكريم الخصال
ويعجبني فيه حسن الجميل
ترد مضاعفة دون من
وما كان عرفانه للصنيع
فان هب قوم يعينونها
فليس جزاؤهم أن تقول
فما عتق العبد أن صار
وأما تقاضي اخي أجره
وقاسمتي بعد خوض الوعي
فما كان للرحم ما قدمت
ولو كان مغنما من متاع
ولكن حرية ان تشارك
وهل يشرك المرء في اهله
أمن عنده فرصة الانطلاق
هبوا أنها ضيعة ضخمة
يشاركم ملكها بالشيوع
انتهون في تلك أو تأمرون
ستغلدون مصالحكم طوعه
فلسنا على أرضنا سادة

وقولنا . فى اطار الحدود
 ترى العبد فى بيته سيّدا
 ليس انفرادك بالحق يعنى
 وليس الاخاء كوننا تبعا
 وخارجها . القولة الماضيه
 وخارجها يدفع الساقيه
 انفصام عرى القرية الدائيه
 وليس لنا فى الورى ذاتيه

وطنى

وطنى شقيت بشييه وشبابه
 قد اسلموك إلى الخراب ضحية
 وطنى تنازعه التحزب والهوى
 ولقد يعانى من جفا ابنائه
 بالامس كانوا وحدة فتفرقت
 واليوم هم شيع تنافس بعضها
 حتى انذى ثرف الدماء مسخرا
 كم أوهم الدهماء فيه فأمثلوا
 ومشت ذرافات الحجيج لبابه
 وطنى يعيث به العدو ولا ترى
 واذا انبرى ليلود عن سودانه
 لم يعدم الشر الدخيل جماعة
 وطنى أصيب بمعشر آواهمو
 لو طهر السودان من دخلائه
 لطنى على السودان من دخلائه

زمن سقالك السم من اكوابه
 واليوم هل طربوا لصوت غرابه ؟
 هذا يكيد له وذاك طغى به
 فوق الذى عاناه من اغرابه
 فسطا المغير بظفره وبنابه
 فرع برقها لمسود أو نابيه
 كالطير حفوا خشعا بركايه
 فى العالم الثاني جزيل ثوابه
 فكأنما البيت الحرام يبايه
 من دافع عن حوضه ورحابه
 البارع المتقدم من كتابه
 لترتل الامداد فى محرابه
 وأضلهم فسعوا ليوم خرابه
 لنظهر السودان من أوشابه
 لطنى على السودان من أحزابه

ثورة شاعر

ايها المفلق الحكيم الرشيد
عز ما تبغيه فالشعب غاف
أمة للخراب تسعى حيثما
أيقيد النشيد شعبا قنوعا
كم دعا قبلنا الدعاة إلى الحق
صادهم صائد الانانية الحمقاء
انها أمة تضيع بينها
يعمل القوم في الظلام خفاف
فشلت أمة يقوم بنوها
هام بالجاه والثراء كبير
قنع الشعب بالكفاف ركودا
لاطمح إلى العلاء أكيد
أمة خيم الجسود عليها
أمسها قائم وأقم منه
لا قديم من المحامد يوحى

عز ما قد (تريد) أو (لا تريد)
واهمن العزم والشعور بليد
وعن المجد والكمال تجرد
وله الجبن والوار نشيد ؟
وكم اخفق الدعاة وصيدوا
والجثث والنقود ، النقود
ولكم كاد للأبى عبيد
وبنو القطر في الضياء هجود
عبد النفس سعدا وسعيد
وارتضى الذل والهوان ولبد
وممات الشعوب هذا الركود
لا نزوع إلى النجاة حميد
وعداها النهوض والتجديد
يومها والغد الغد المتكود
لا جليل من الفخار جديد

آه يا موطني العزيز عزاء
آه يا موطني عزائك شعري

من دموع اذا الدموع تفيد
ان يكن احسن العزاء قصيد

بين السخط والرضا

لم تجلب سوى الضرر	منمت عبادة الارواح
في عالمي وفي مسرى	وعدت أشبه بالروح
محالا واضح العسر	أليس (المثل الأعلى)
إذا هممت به عمري	إذا فاتهموا عقلي
منال الكوكب الدرر	كما أنهم الذي يبغي

لم تجلب سوى الضرر	منمت عبادة الارواح
في عالمي وفي مسرى	وعدت أشبه بالروح
محالا واضح العسر	أليس (المثل الأعلى)
إذا هممت به عمري	إذا فاتهموا عقلي
منال الكوكب الدرر	كما أنهم الذي يبغي

كاد يضلني فكري	أهني عقولك السابق
وهو سجد لك كثر	سنت (من لاني)

الدهر خان وحلت البأساء
اجتاحت وقد لعبت بها الأعداء
أزياءه فتجاهل العلماء
عز البصير وضلت الأراء
والمسلمين من الأعداء
آثاره مذ خائنه الأمناء
رغم العدا مهما اليه اساءه
(والفضل ما شهدت به الأعداء)
والناس احرار لهم ما شاءوا
كم نيهتك بوعظك الحكماء
فتنبأت بمصيرك الخبيراء
ومن الحوادث راحة وعناء
كل من خالفهم
فيك الحياة وتحكم العقلاء
فيك الشعور وتنطق الشعراء
جهلا وفيها اسادة العلماء
ولحنفكم قادتكم الأهواء
طلب الملا ما لذة الاغواء
دسريهم من الأعداء

يا صاحب القرآن نظرة مشفق
عظنا على الاسلام ان شعوبه
عانت به أيدي الطغاة فبدلت
ما أضعف الاسلام فيما بيننا
حمل الزمان عليه حملة قادر
لو لم يكن ديننا قويا لانمحت
لكنه باق على حالاته
بالفضل قد شهدت له أعداؤه
دين النبي محمد دين الهدى
يا أمة هضم الزمان حقوقها
لعبت بك الأيام لعب مقامر
ما نلت من أحداث دهرك راحة
حظ الممالك والشعوب تقدر
فبأى حكم قد هويت ولم تزل
وبأى ذنب قد قتلت ولم يزل
ومن العجائب ان تموت بلادنا
يا قوم قد لعبت لكم أهواؤكم
نعم وما نام الزمان وان ما
حدث حزنكم قد ساء لكم

ما أيدوه لانهم جبناء
سن النبي فبدلوا ما شاءوا
قد افسدوا ما أصلح الآباء

هل أوهن الاسلام الا أهله
خانوا عهد الله لما استهجنوا
عقدوا على هدم الشريعة وحيهم

ما للمساجد لا تؤم حزيمة
 وديار فسق فتحت أبوابها
 الله اكبر كم سعت اباؤنا
 يا معشر الاسلام عفوا لم تكن
 أهل الشريعة ما الذى نرجوه قد
 هدى شريعتم ثمن لضعفها
 الدين دين الله . هذا قولكم
 يا رحمة الله العلى تنزلى
 يا صاحب الشرف الرفيع ومن له
 ماذا أقول وفيك كل فضيلة
 نور بدا للعالمين به الهدى
 يا معجز الحكماء والبلغاء
 بالحق قلت وأنت اصدق قائل
 نظقت بك التوراة وهى قديمة
 وبك الحواريون قديما بشروا
 بلغت ما أوحى اليك وما انثيت
 ما خفت جبارا وكنت مؤيدا
 أعلنت دين الحق بالترغيب
 صلى عليك الله ما ليل دجا

تبكى عليها السنة السمحاء
 علنا وبات يؤمها الابناء
 نحو النساء وكلنا شهداء
 ترضى بهذا همه شماء
 عظم المصاب. بكم يطول رجاء
 وجميعكم يدواها خبراء
 لكن نسيت انكم نصراء
 فالمسلمون جميعهم ضعفاء
 انتسب العلا والعزة انقصاء
 فجت بها الكتاب والشعراء
 فتفتت فى وصفه البلغاء
 والقصحاء عفوا هكذا العلباء
 استشهدت بحديثك الحكماء
 واستبشرت بظهورك القدماء
 وتواترت بمجيتك الاتباء
 عن الهدى اذ كذب السفهاء
 حتى علوت بالحضارة باءوا
 والترهيب فانقادت لك الآراء
 او ما بدا فجر ولاح ضياء

يا من رأى طوق الهلال وقد بدا
أكرم بطلعته وبهجة نوره
شبهته لما بدا متجليا
وغدت تحف به النجوم كأنها
يمشى على هام القرون مجددا
أنت الذى تهب الخيل لشاعر
ولانت إحدى بينات الهنا
أدركت اسرار الوجود فعزتها
هل انت مخبرنا عن القوم الى
القوا إلى الروح ، ها انا نافث
كانوا اولى تناجى رفقتى
هم انهجوا سنن الفضيلة واضحا
أخلوا بأعناق المكارم أخلوة
يرفعون عن الدنية او يرى
لا يرتضون الضيم شرعة مورد
شادوا لكم رفيعا سماكه
ذهبوا وقد أدوا الامانة حقها
انا غبرنا بعدهم فى هجعة
يا عام انا آملوك لخيرنا

يهدى لنا عاما اغر مشهرا
اذ بشرتنا ان سنحمد مخبرا
فى افقه ملكا تبوأ منبرا
حفل لتسمع فى الخطابة اسطرا
عصر الشيبة لا يمل من السرى
حتى يرى فوق المجرة طائرا
من ذا يراك ولا يسبح من برا
ورایت من آياته ما لا نرى
فلعلنا ان نستفيد تذكرنا ؟
بعض الحديث فهامس ذكر الورى
قد ادركوا ما أملوا بل اكثرا
هم اخرجوا علما غدا متفجرا
ونربعوا من عزهم فوق النرى
سبل الدماء على الاباطع انهرا
شأن الابى ، ولا للوان معشرا
وبنوا لكم مجدا اثيلا اكيرا
ونما اليكم ذكرهم منعطرا
شتان ما بين الثريا والثرى
املا ينيل الحظ فيك موفرا

ندبني من سلاف الحمراء
أترضى أن أضام وانت حر
فحدث عن بني النيلين قوما
بأننا نتمى حسبا ومجدا
يعز عليهم نحيبا ولسنا
وان لا يبصروا في النيل قرنا
يجود بنفسه للموت حبا
فليس الجود بذل درهمات
بل الجود المات على بلاد
سلام الله يا عهد المواضى
وعهدا فيه جبريل نبي
ويدلى حجة من بعد أخرى
يقول لهم اتيتكم رحيمًا
هلموا آمنوا بالله حقًا
فلاقي منهم كيدا وظلما
ولما أن رأوا منه اضطرابا
بكل مدحج في زى ليث
صليب الرأى قاسى القلب
قتال دائم غزو وسبى
وقد عبدوا الحجارة وهو كفر
وساقوا للقتال الجيش لجبا
وكل مقسم منهم يمينًا
فلاقي جيشهم جيش كريم

وشفتني بذكرى الماضيات
وتسمع أن تلين لهم قناني ؟
بأدني النيل أو أعلى الفرات
إلى ما بالجزيرة من رفات
مثلا بشجرة و...
ولا بطلا يعد من الكماء
بنيل الباقيات الصالحات
لمسكين على قيد الحياة
ليحبا أهلها بعد المات
وايام الضبا المرفعات
يحيى عمدا بالبينات
تزول لها جميع الراسيات
لاجمع شملكم بعد الشتات
ت...
وعدوانا . فأت للطفاة
رموه بكل جبار وعات
صؤول مغرم السبات
عنيد لا يمل من الأداة
وأزلام وواد للبنات
وقد سجدوا إلى عزى ولات
يزمجر كالبحار الزافرات
برأس محمد لتقوم آتى
به الروح الامين من الغزات

ومن يك جنده جبريل منهم
وما زال النبي بكل فج
وينهى القوم عن وثن وثار
إلى أن آمن الكفار منهم
وأصبح كل جبار عنيد
رفيقا بـ شهيد حليم
فدين محمد دين اتلاف
هو الدين قد عم نفعنا
كفى فخرا به اشلفت قلوب
فأصبح من بمصر اخا كريما
نقد حسنت به الدنيا وزانت
فهلل يا زمان به وكسبر
وأبلغ أمة بالشرق كانت
وكانت للعلا فيه منارا
بان يتمسكوا بالدين حقا
وأن لا يياسوا ما دام فيهم
فمولد أحمد في كل عام

بلا سيف يفوز ولا قناة
بيث الدين يدعو للصلوات
ويبهزم بتلك المعجزات
مسلمات القبائل واسلمت
أخا رفق وكان من القناة
كريم النفس من خير الهداة
دين مروءة والمكرمات
وقام على الثورة والاناة
وكانت قبلة متفرقات
لمن بالشام أو من بالفرات
كما ازدان السماء بالنيرات
وحاشا ومنحرفا سويت
تظل الشرق من كيد العداة
محطا للعلوم وللغات
وأن لا يعبأوا بالترهات
دم يسرى من الشم الأبية
يحدد للعهود الماضيات

عيد اغر محجل
والناس في شكر الاله
ارض بها الييت
وبها ثوى خير الانا
فالروض يسسم عن اقا
وملائك الرحمن تصعد
يا خير من عند الشدا
اشمل بلطفك جمعنا
وافض على نادى المدارس
واجهل بفضلك اهله
(شوقى) أجدت فليت
أتغزل ؟ أفديك من
ما الناي يضرب والمغنى
بالذ من سجع سجع
قل لى أهذا ما ابتكر
أم ما يبيع البحر
ان كان ظييك يستيح
أو كان يسبى العاشقين
أو كان يسحرهم بلحظه
فاعلم - بأن يسانك
هاروت يلثم لحظه
فالك بعذك اعزل

فوجدناكم اهلا وصحبا	ولقبنا محبة وودادا
ايها الضاربون تبها على بيدا	اغراضهم هوى وعنادا
قلتم الانجليز قد وعدونا	وركبت رؤسكم آحادا
وانخذتم من التحرير فراشا	وافترشنا من الاديم مهادا
حذا ذا العذاب لا بد يخلو	عندما تصبح البلاد بلادا

لا نريد العدا معكم ومعهم	انما لا نريد الاستعبادا
اين منى ضميركم فأتاجيه	فقد يقدح الزناد الزنادا
قد رسمنا طريقنا ومضينا	وبلغنا من المراد مرادا
خبرونا بما رسمتم لنستجلى	طريقا سلكنموه فرادى
حكموا الشرق ايناه وبالله	سيلا ومنطقا ورشادا
وسلوا الانجليز أى البلاد	واعدوها فأنجزوا الميعادا
أى قطر سلوهم خرجوا منه	وبقوا أسياد أسيادا

فيم تنساب كوثرنا وبخينا	وعلى من تبيه أو تنهادى
أيها النبيل ؟ قف ولا تجر فى	الوادى إلى ان تحطم الاصفادا
وإلى ان يعود وادبك حرا	يتغنى فيحن الانشادا
خدع الظالمون شعبك حتى	حنلدوا منه من يخون الضادا
بيننا عاث ذا الدخيل فيها	كما عاث فى البلاد فسادا
فرق الشمل واستغل من الاهواء	ما شاء بأسه استبدادا
سم هذا الخلاف ان شئت اشرا	كا وان شئت سمه إلحادا

وحدوا الشعب ان اردتم جهادا	وانزعوا من صدره الاحقادا
وانما الخلف والعدو مقبم	حجة للعدو كى يتمادا

این دار العزیز

این دار العزیز للمدلج السا
کم اناجی بها الحیاة کما ناجی
ری اناخت له المصائب رکبا
حبيب فی وهدة الیل حبا
من فیضه حدائق قلبا

اجر بی یا قطار واطو الفیافی
ذنب شوقا الی الشمال من الوا
وحدا بی الی الکنانة ما یحدو
أبن منی منابع کن للسودان
ادب رائع وفن طلیق
وطامح الی العلا ونهوض
وکفاح موحد وجهاد
اوفطر بی وانبب الارض بها
دی فمن لی بهم اهیلا وصحبا
بمن هام فی الکنانة حبا
وردا یعرب منهن عبا
وسع العلم والمعارف رجبا
عالج الشرق من أساة وطبا
أیقظ الشرق السبات فهبا

ان قیثاری اذا ذکر الوادی
لم أخاطب بها الذوات بمصرا
واناجی بها (البشاری) فکم ذاد
رجل کان فی المواقف کالغولاذ
کان کالطود شامخا وکاسد
کان والله للخیل قذا العین
لأقول الوداع مادمت قد خلقت
لا أقول الوداع ما دام فینا
تغنی قتیث اللحن عذبا
لا ولکتی أخاطب شعبا
غیورا وعن حمی النیل ذبا
صلبا وکالمهند غربا
الغساب ثبنا وکالمقادییر ضربا
وللاهمل والعشیرة هدبا
(م) (جاد) وجاد مثلك قلبا
قائدا کالبشاری عقلا ولبا

حی مصر وهنھا برجال قد
انت یا مصر کعبة الشرق مذکا
اشرق النور من رباک علینا
م اصفی علی المشارق فاهترت
قد دعوا الشرق للجهاد فلسی
ن وما زلت لمشارق قطبا
فمشینا الیک نخشال عجا
وقامت تناهض الغرب حربا

ايها الغرب هل علمت بأن
ان يك الشرق قبل ذلك يحبو
واعلموا انه افاق فالتفاكم

من رسولى إلى الطغاة فكم ذا
أفسدوا جادة الطريق ولو لا
ها هم الغاضبون قد تركوا النيل
غرسوا بكرة الشقاق بواديه
قل لهم خاب سعيكم فلرونا

وقد خبرنا طريقكم فغويننا
وصحبناكم طويلا فما لننا
قد نزلتم على البلاد شقاءا
أى عقل يحيز للذئب دعوا
سائلوا وفدنا الامين يبيكم
كل صوت عداه كان نشازا
وقف الشعب خلفه وقته الآ
إن يك الموت دون مطلبه الاسمى
فتية اوقفوا دماءهم لله

إن سوداننا هو العين للنيل (م)
غضب النيل فى متابعه العليا
وحب يس بسفسد
هو جل الوريد بينا متى تهره
هو سر الحياة تحده التاريخ

وحدة النيل مبدأ كان للسو
ليس فى منطق السياسة الاها

الشرق ما عاد فى حداثك كعبا
فاعلموا انه عن الطوق شبا
وحوشا تعيش فيها وغصبا

ضاق صدرى بهم وقد كان رحبا
هم قطعنا الطريق جريا ووثبا
جديبا ولم يك النيل جدبا
ليجنو من الدسائس ابا
نحن بعد الجلاء اهل وقرى

ووجدناه كالمثنية صعبا
سوى الفقر والجهالة صعبا
وحلتم بها عناءا وكربا
على من فرى فأرداه قضبا
عن امانى البلاد عجماء وعربا
لم يمثل سوى الخوارج حزبا
ساد يستجمع القوى ليذبا
(م) ير العيش دون ذلك عيبا
نلرا ووحدته النيل قري

وكانت له الكنانة قلبا
فثارت له الكنانة غضبي
وسقانا من المحبة نجبا
نقضى الغداة والله نجبا
حتى غدا اليها وربنا

دان جدى وكان أطيب عقى
طريق يرى وصوت يلبي

سفر الجهاد

في تأبين علي عبد اللطيف

لأن يبكي غيري على فقده
نقد كافح الظلم في عهده
(علي) وحسبك من ضيغم
ومن صال صولته في الزمان
بكيت على العيش من بعده
وقد كاد يردبه في مهده
تعيش الذئاب على صيده
يعيش الزمان على مجده

فما الموت ان تذهب الروح عنا
ولكنه أن تعيش طليقا
وان يغير المرء في لحده
ونيلك يرسف في قيده

لقد سطر الخلد نارا تلظى
وخاض إلى المجد بحر الدماء
وزلزل ركن الطفأة بعزم
وقارع تحت (الواء) الخوصوم
ونادى بوحدة نيل البلاد
وقال الجلاء فكان انقضاء
فأورى له الخلد من زنده
فشق الطريق على بعده
خروا سبياً في حربه
فلم تلتق بأما إلى صده
مناداة شيخ إلى ولده
جوابا تلقاه من (سعه)

ألا ليتني كنت في قيده
ويا ليتني بين من شردوا
وليت الردى اذ طواهم فرادى
(علي) وصحب (علي) تساموا
ويا ليتني كنت من جنده
ليشفع إلى النيل في سده
طواني جذلان فر برده
فتواهم الله في خلده

تميت لا راغبا في حياتي
على ، وهل مثله من شجاع
وهل كان من قبله فارس
ولكنني غرت من زهده
طيب المدافع لم يحده
وهل جاء مغوار من بعده

يضحي فكان من مثال البطولة
ولم يرتعد لوعيد الدخيل
لذلك فليعمل العاملون

م يته خوف من فساد
ولم يلق بالا إلى وعده
والا فليسوا على عهده

فيا شعب دونك سفر الجهاد
ويا شعب ان مات ذاك الزعيم
سينصرك (الازهرى) الرئيس
ويدفع عنك اقتراء الدخيل
فيا شعب كن خلفه صامدا
ويا شعب دونك حلق سليب
بعيد ولكن اذا لم تكافح

اذا رمت هديا فمن عنده
ليحي الزعيم هادى وفده
ويستل سيفك من غمده
إلى ان يشوب إلى رشده
اذا مسه غاشم افده
فشد الرحال إلى رده
سيزداد بعدا على بعده

لقد أوشك النيل يجري حمماً
تماسكه غاصب مستبد
وسخر من بين ابنائه
وألبه بسياط الضرائب
ففى مصر أعوانه مآخرين
وهاهم هنا يدأون الدخيل

فيا ضيعة النيل من ورده
وها هو يسعى إلى وأده
ذاًبا لتحمية من أسده
حتى يعيش على كده
كما يسخر الضد من ضده
عساهم ينالون من رده

لقد أوشك النيل يجري دماء
فيا شعب دونك عيش مرير
ودونك يا شعب هذا العدو
ويا شعب دون العدو الرصاص
ودونك ان تستكين والا

فيزداد وجدا على وجده
... وضع شوطى ورده
وناهيك منه ومن كيده
وكان الدليل على حقه
فاحشد قواك إلى طرده

الاسلام

وقد عبت طريق الخلود
 فى اهاب المجد المحمود
 الأرض بالنور فازدهت من جديد
 فى سماء الخلود دنيا الوجود
 ابتغى المهيمن المعبود
 كم ابادته آية التوحيد
 يعدو ويعدو بغير ما تقييد
 دياجى مذاهب التعديد
 ترقب الخلق من زمان بعيد
 فى مراقى الحجاو كل تليد
 فتهاوت مع الكليم و (هود)
 نعمى ورحمة للعيد
 ب للاء دينه المنشود
 اليوم اكملت للوجود وجودى

شعلة بددت دياجى الأباطيل
 هبطت فى الربيع مكة روحا
 غمرت كل بقعة من فجاج
 واشاحت عن الفناء فأحنت
 واشارت لنا على المثل
 واماطت عن الجنان حجابا
 وأناحت لجامح الفكر ان
 فانجلى الحق للبصائر وانجابت
 تلکم الشعلة الخيفة ظلمت
 مهدت للورى بكل طريف
 سايرت (عاد) حقة (فتمودا)
 انزلت من سمائها لهم الآيات
 فاذا ما اعدت الفكر لاستيعا
 صاغها الله فى الكتاب وقل

يتيماً من القرار البعيد
 وطب ففى الكتاب المجيد
 من العلم ما لها من حدود
 اثرا الغرب فى الركاب الرشيد
 ويفزو السلام كل صعيد
 ته شر سائد ومسود
 تحت ظل من الرضى الممدود
 بعزم من الالباء اكيد

من يغص فى الخضم يستخرج الدر
 كل ما ادهش الخلاق من فن
 تحت اشعاعه سنخلق اكوان
 وعلى ضوئه سنخطو ويخطو
 وعلى آيه سيلتم الشمل
 وإذن يأمن الضعيف على علا
 وإذن تسعد الخلاق جمعا
 تحت ملك من الضمائر محروس

نلكم الشعلة الخفيفة لا يزهر
بعثت للكمال وللعلم والنور
بعثت تصرع الرذيلة في كل
وإذا سادت الفضيلة والناس

ذلكم دينكم فهبوا مسرعا
واستمدوا قواكم منه بالتو
يا له مبدأ يوحد هذا
مبدأ خاند وروح قسوى

وأساس النهوض في الشرق روح
سنحله في غد برجال
وسنخطو به إلى ذروة العلياء

حسبنا ذلك الركود الأهبوا
وقياما إلى الفلاح تحرر
هذي يمتناى في يمينك يا هذا
لا تبالي تفاقم الخطب يوما
حقق (المهرجان) أمنية تهفو
لا تقل لى (عكاظ) قد بزها في
قد علا صوته بنهضتنا الفكرية
وزها نوره بحرية الفكر
سأغنى اذن باغية النيل
مزهرى حكمة الخنيفة في النادى
فاسمعوني مع الزمان اغنى
واسمعوني مع الحداثة اغنى

سراعا ، فلات حين ركود
شعبنا من سلاسل وقيود
وما كنت حائثا بعهدى
ن يحل دوننا وبذل الجهود
فما عذر الاديب التعيد
العلم والفن وابتكار الجديد
اليوم ، بال عصر الرشيد
وحسم النزاع والتأييد
لدى المهرجان فى كل عيد
وللوحدة اخليلة عودى
يالباالى البشير بالنصر عودى
يا سماء الفخار بالعز جودى

سانفرانسيسكو

هذه دموى حيرى فى محاجرها
سيان منهزم عندى ومتصر...
كلاهما خان بالامس اليهود ولم
هذا جزاء وفق للذى كسبت

قد انكرت ما اعانى اى انكار
هذا طريح وهذا جائع عارى
ولم يراع حقوق الجار للجار
يرع المواثيق ، لكن تحت استار
يد السياسة آثارا بأثار

ليت الألى وقعوا (فرساي) رائدهم
لا فرق بين قوى صال مغتصا
نسوا العدالة حتى هاج هائجها
ظنوا السياسة صنوا للعدالة فى
وللسياسة لحن مطرب أبدا
فأشعلتها ضروسا ملؤها حمم

رد الحقوق وليس الاخذ بالشار
حق الضعيف وبين الكاسر الضارى
وللعداة جيش جلد جرار
نبيل السلام وحسم الظلم والعار
كنغانيات وقلب جد غدار
شعواء تقذف طيارا بطيار

و...
تساقط النجم شهابا كلها رصدا
يا غارة الله نار الحشر الطف في
كم من دماء اريقت وهى آمنة
وكم صريع قضى نجبا بلا جدث
هذا يتم وهذا تاكل جزع

طير أبابيل مخلوق من النار
فاندكت الأرض لم تحفل بديار
نزاعة للشوى ، لكن بمقدار
فى غارة فاجأتنا دون انذار
وجنة تحت انتفاض من الدار
وتلك تبكى بقانى الدمع مدرار

حتى اذا شاخ وجه الارض كالحة
انقضى السلاح هزيل ما به رمتق
وعاد يشدو بتوقيع السلام على

لم يبق للناس فيها غير آثار
من الحياة سوى تاج من غار
عود السياسة ، هذا محض تكرار

يا عصبة الأمم الكبرى التي طلعت
ردت بضاعتكم ان كان خالطها

في سافرنسك نجما يرشد السارى
من الأراجيف ما قد يغيب الشارى

هل جئتم يجديد في حقائبكم
وهل شحذتم ضميرا قد يوفى من
وهل علمتم بأن الحرب قائمة
وهل سمعتم بأن الناس غايتهم
لا تجلسوا. وقفوا في البهو خاشعة
واستلموا الله في محراب قاعتكم
ثم استجيبوا إلى صوت الضمير ولا
ولتعجبوا كل شعب شد ساعده

وهل حفظتم بلرس من (ستمار) ؟
شحذ الحديد ورد النار بالنار
مالم يك العدل فيكم زنده وار
اوطانهم ليعيشوا عيش أحرار ،
قلوبكم قبل ان تدلوا بأفكار
بقلب مسترحم لا قلب جزار
يلهيكم كيد انصار لأنصار
كى تنقذوه من المستعمر الزارى

فرب حاسمة للشر تغفل فى
ورب بادرة للخير قد غرست
قضية العالم المنهوك فاشلة
اليوم فى اسرها كالليث رابضة
لانت ملامسها فاقضوا بانها
وروضوها لتجيا حرة أبدا

هنا سنرى في تمسار
أنبت نباتا واضحت ذات توار
ما شاب ساحتها اغراض جبار
خلف المطامع لامن خلف اسوار
فانها ذات أنياب وأظفار
فالليث، مهما انزوى فى أسره ضار

يا عصبة الأمم الكبرى هنا غرد
بهم بالمثل العليا التي هرعت
انى مهبط فما اقوى على سفر
ان تغفل سبرغورى غير حافنة
هل تسمعين إلى جواى انشدها
هى الأمانى غدت سرا يضيق بها
هى الحقوق التي غنى الزمان بها
هى الجلاء وفك القيد عن وطن

يطارح النيل اشعارا باشعار
من أجلها الناس لو يحظى بمقدار
اليك قد حال قيدي دون اسفارى
فربما تسبر الأيام اغوارى
ام تطرين إلى ألحان اوتارى
صدرى ولولاك ما افشيت اسرارى
من عهد آدم عهد الكهف والغار
قد ناصر الحلف لم يبخل بمغوار

حرية ما احبلاها غدت وطرا
حرية هي نجوى كل مؤتمر
من دونه الخطي جل أوطارى
نبيلة الأصل سودانية الدار

يا أمة النيل تقرير المصير لنا
خل التناوش واستعدى الجهود على
فى البيت فى المتدى فى كل قا
قد شمر الجلد عن ساقية فأتسمى
طوبى لمن ثقلت أوزانه سلفنا
فأن مؤتمر السودان واعدنا
حق نصرفه نصريف مختار
تنفيذه فهو محفوف بأخطار
عدة وفى الاقاليم - أرياف وامصار
هذى الحياة عداها الموت فاختارى
وكان بالامس جادا غير مهذار
بالبرلمان ولكن وعد أبرار

هلل الشرق

قيلت في عيد المحرة عام ١٣٦٧

شاهد المصطفى وصاحبه قدما	كما قد رأى بعينه (قصر)
وانبرى يرقب الجهاد عيانا	منذ ان هاجر النبي وكبر
وتهادى مع الخلائق اعجابا	فكم سجل الفخار وسطر
الضلال القديم شيعه لما	دعا الناس للهداية منذر
كان يستعرض المعارك بين الحق	والباطل السحق وينظر
كم رأى فارما يجند له السيف	دفاعا عن الهدى يستبشر
كم رأى ملما يبايع في الله	بامواله فلا يستكبر
ورأى قانتا يسوم النفس	زهذا لربها او ينذر
ساير الدعوة الخفيفة حتى	ادرك المشركون الله اكبر

دينتنا السمع واضح كل من سار	على هديه فلن يتعثر
قد ألقنا القشور منه وآثرنا	على هداه للمظهر
لو سلكنا طريقة ما ذوينا	وخضعنا لسطوة المستعمر

من محباك يا هلال يطل الدهر	طفلا وانما هو اكبر
قد عركنا للسلام فتمام الدهر	لا سلم في الحياة فشمر
وبلونا في الجهاد فقال الحق	للسيف طالما هو مشهر
فشهرنا سيوفنا فدحض الباطل	أنى نراه في الارض يظهر

اجر يا نبيل إن شانتك اليوم	حقير وانما هو أبتر
ان وادبك جنة تهادى	في رباها كما تهادى الكوثر
غير ان الدخيل يسلبها الخير	لبغنى بخيرها ما نشتر

دونك لو قد سله عن أمل
حفه لشعب رايض يرقب المو
لم يكن بالدخيل من بين عور
السودان او رغبة البلاد يعبر
قف بالموت في عد يستهتر
سوى ثلة بها قد غرر

خدمت بالدخيل اغراضه لما
ودخيل الدخيل ما زال يبدى
تدعى حجره وفي القلب منها
فئة ضلت الطريق فما فيها
ارادت على البلاد تسيطر
ناجديه وما يزال يكشف
مثلما بسين (عزة) و (كثير)
لنا غير مفروض ومسخر

رغم المخصوص ان انقسمت
أخذوا لنقشور في حومة الجد
قل لهم لا تقسم ما دامت الاحزاب
ان هدف تحل عن الاعراض
وأخذنا مع الغواية ندر
ولم يفتنوا لما في احوهم
ظراً بوحدة انييل تزار
فالويل لدى يسكر

من وحي الهجرة

حسبي من التاريخ ان اذكرا
حقبا على رأس الزمان كأنها
المجد شيد لنا بها والعز قد
حتى فشى فينا التنافر

حقبا تمر بنا كاحلام الكرى
تاج الفخار معززا وموقرا
أورى لنا أقياءه فتبلورا
والقلى فاندك على مجدنا وتدهورا

يا عالم والدنيا تنوء بأهلها
حربا يظن المشعلون ان

حربا ضروسا لا تقوم منكرا
اوطان الورى سلع تباع وتشتري

يا عام ذكرنا بهجرة احمد
ذكر فديتك بالجهاد فلم تكن
حي الصحابة يوم ساموا انفسا
قد جاهدوا والدين يعمر قلبهم
صالوا ليحيوا شرعة قدسية
« الله اكبر » دعوة هتفوا بها
دانت لبأسهم الملوك فغالبا
الحق غايتهم فما من باطل
ان سالموا كانوا ملائكة رحمة
يا عيد هجرة احمد احيننا

فاملنا منها تصوغ الجوهر
كجهاد وقفنا على طلب القرى
احيا بها الدين الحنيف النيرا
فالله عززهم بجند
الله أنزلها على خير الورى
كم ذا اذلت من طغي وتكبرا
كسرى وما تركوا هنالك قيصر
الا محوه وعن حماهم ادبرا
او خاصموا كانوا كآساد الشرى
بثرائك الباقي فكننت مبشرا

ما زال عرق العرب فينا نابضا
من مبلغ اسلافنا وهم الألى
عبث الزمان اذا أراد بأهلنا
حتى ترسف فى القيود وحولنا

حيا يعز على النهى ان يصبرا
قهروا الزمان بأننا لن تقهرا
سواء وأبدى ناجذيه وكشرا
ضيم عليه الحر لن يتصبرا

يا قوم والاقوام كانت خلفنا
دين الخنيقة سيفنا نبغى
وهذا الكتاب دليلنا لا نبغى
قد لاذ مؤتمر البلاد بنوره
يخطو بشعب قد صحا متوثبا
بالدين بالوطن الحبيب وبالعلا
قامت حداة للشعب تحت لوائه
فتفجر الوادى عيونا ثرة
وانساب وادى النيل كترا خالدا
يا نيل بارك جنة المأوى لنا
يا نيل واهتف بالحياة وقل لهم
سدد فسودنا التفضيلة والنهى

نقتادها في الام نمشى القهقري
من دونه سيفا صقيلا مشهرا
من دونه حكما نزيها مبصرا
يخطو بأمتنا إلى اعلى الذرا
ومحرما دمه الذى قد اهدرا
بالعلم والعرفان صاح مشمرا
صفا إلى ان تجلى المستعمرا
الخير يفعم نبعها المتفجرا
يجرى لجينا او نميرا احمررا
نرتادها ما انت الا كوثررا
اليوم حق لشاعري ان يفخررا
وسدى يحاولنا العدى ان نغبررا

يوم التعليم

العبد اقبل من ذا لا يحويه
هيا اذن واهتفوا بالعلم مفخرة
والعلم نادى فمن ذا لا يليه
البشر يعلو وجوه الخيرين به
فليحي عيد النهى طابت ليليه
حتى كأنهم البسمات فى فيه

ياعيد ذكر بنى السودان كان لنا
مذ هاجر المصطفى شيدت قوادمه
ماض مجيد هبطنا من أعاليه
وكررّ صاحب رسول الله سيفهم
على الهى وعلى التقوى خوافيه
لم يشتهم عرض الدنيا وزخرفها عن
ايانهم ان فى الايمان ما فيه
قد وحدوا الله فاشتدت سواعدهم
الجهاد وعن شتى عواديه
تلكم عظات لو أن الشرق قدرها
وطهروا الكون فانجابت دياجيه
ما أصبح الشرق فى ايدي اعاديه
معصوبة وهو ما ينفك فى تبه

طف بالعراق تجد خلفا وتفرقه
وبالشام ووادي النيل اجمعه
وفى فلسطين اربابا تعانیه
اذن أصبحوا فهذا الداء مصدره
سل من تلاقيه عما ذا يلاقيه؟
الانجليز هم قوم لبانتهم
كان للدخيل ويبقى ما نبقيه
قالوا رفاهية السودان غايتنا
ان يسحقوا الشرق او تحنى نواصيه
لو نبعث الصيحة الكبرى لكان لنا
حسب البلاد عناءا ما تعانیه
فيم الخلاف ودون النيل أمانة
شأن وكان لنا مما نرجيه
هى الإجلاء عن الوادى وشم لنا
كبرى كفلت هانت مساعيه
حرية النيل ماان قد هتفت بها
مع دولة النيل أمر قد نسويه
تراقصت شجنا منها او اذيه

احبتي كلما ارجوه من سند
تأييد وفد أمانينا امانيه

قد عاهد الشعب يوم الشعب عاهده لا يثنى أو يكون الحق ثانيه
فان تمسّدق غير الوفد مدّعيا انا نواليه ، لنا من مواليه
عزم عقدنا لا ننك نعبده نقديه بالمال والأرواح نقديه

يا عيد أدعوك باسم العلم مبهلا دعاء مؤتمر تهفو أمانيه
الله اكبر هذا القطر كعبتنا الجهل يقتله والعلم يحييه
فكيف نرضى موات الجهل فى وطن الشعب يكلّؤه والنيل يرويه
حاشا لعمر ك دين الحق مرشدنا فما الجهالة الا من نواهيه
ان جرد الجهل جيشا فاستعن ابدا بالعلم فهو الذى بالمال يرديه

اليوم قد وثب السودان متحدا تحدوه المثل العليا وتهديه
اليوم عيد النهى والبر فالتمسوا من فيضه حلة حسناء ترضيه
غدا سيكتبه تاريخ امتنا صفرا اياديكم البيضاء تمليه

هاتوا من المال للتعليم ما كسبت يد الكريم بلا من وتمسويه
بروا بلادا بها شدت تماثلكم فالبر عاجله اجدى لمعطيه

كفاح الشعب

نعيمك منهوب وشعبك جائع
صبرت على الاملاق خمسين حجه
فحتى متى يا نيل تنساب آملا
وحتى متى تشكو من الظلم ساسة
وما كان للباغى ضمير ولم يكن
اليس عجيبا ان ترى الظلم شافعا
قضية وادى النيل اكبر شاهد
فما مجلس الامن المهيض بنافع
وكيف يكون العدل فى الأرض سائدا
أجل ليس فى الدنيا عدالة منصف
وليس لمن يستملك الضعف قلبه
ولو كان انصاف الضعيف مؤملا
صبرنا على الحكم الثنائى وكله
لئن يشك من ظلم الحكومة عامل
وان ضج من دفع الضريبة تاجر
ولو يتصدى للحكومة ناقد
لنا طابع يدعى القلوب كآبة
فلا صرخات البائسين تهزها
اذا كان كل الشعب يقضى من الطوى

ودمعك مسكوب وحتك ضائع
فلا الرزق ميسور ولا الصبر نافع
وقد يئست ترجى المنابع
وليس لدى قلب السياسى وازع
له غير ضرب الهام بالسيف رادع
وليس لنا رغم العدالة شافع ؟
بأن مجال الظلم لا العدل واسع
ولا الدول الكبرى لديها مسمع
اذا وصمت سوح القضاء المطامع
اذا لم يكن دون العدالة
حياة وان ظل الحياة
لما احتكمت بين الانام المدافع
مأس حواشيها الخنا والفظائع
فقد ضاق بالرزق المقتر صانع
فقد أن من دفع الخراج المزارع
فليس له عند الحكومة سامع
وليس لها غير القساوة طابع
لتعطف او تجدى لديها المدامع
لماذا يطالب بالضريبة دافع

صبرنا على الحكم الثنائى وكله
صبرنا فكان الصبر منا جريمة
وكان جديرا ان نعادية مذاتى

مأس حواشيها الخنا والفظائع
نداهنسه طورا وطورا نصانع
نحاربه طورا وطورا نقاطع

على الضعف صفا واحدا لا يقارع
أساليب أغوت بعضنا فتراجعوا
ويكشفها الامر الذى هو واقع
لما ناصر الحكام زيذا وشايعوا

ولو كان هذا دأبنا لوجدتنا
ولكن للمستعمرين وحكمهم
أساليب فالتاريخ يفضح مكرها
إذا كان تقرير المصير منزها

أما كان عن هذى البلاد يدافع ؟
فدان له الانصار جمعا وبايعوا ؟
مطالب حق ليس فيه منازع
فهل لم يكن باسم الخليفة جامع ؟
يوادونه والارض قفر بلاقع ؟
معالم للتاريخ فيها مراجع ؟
ولم تنج مما دبروه المخادع

سلوهم اما كان (الخليفة) حاكما
أما اختاره المهدي بالامس واليا
لماذا اذن يستكرون على ابنه
وهبهم يعادون الخليفة وابنه
وهل ضاق وجه الارض ان يفسحوا لمن
وهل بلغ استهتارهم ان يشوهوا
فقد دبروا تشتيت شمل صفوفنا

تيقن بأن الشر لا بد واقع
وقالوا لهم قودوا الصفوف ودافعوا
يدافع عنها فى الصفوف الصنائع
مقاعسه للغاصبيين اصابع
ولم يرضها الا الخئون المخادع
بها كل من فى منصب الحكم طامع

إذا الفتنة الحمقاء أبدت نيوبها
لقد خلق المستعمرون صنائعا
وما كان للاوطان شأن اذا انبرى
سلوهم لماذا باركوا المجلس الذى
مقاعد لم يجلس بها غير مغرض
وظائف قد صيغت شرا كاليوقعوا

فان جبين الحق ابيض ناصع
فساروا اليها قانعين وسارعوا
وقلوا لوادى النيل انا نخادر
بغير الذى يرضى البلاد نمانع
ذلول مع الحكم الثنائى ظالع
تشرع ما قد انكرته الشرائع
هم انجليز سودتها البراقع

إذا الباطل الواهى اكفهر جبينه
لقد زعموا ان المجالس خطوة
ولو ادركو قالوا المجالس خدعة
ولو انصفوا قالوا بلحونبول اننا
فما مجلس التشريع الا مطية
وما مجلس التشريع الاحكومة
أرادته مملوكة ورجالها

تراهم حبال الانجليز . فساجد	إلى ربه حمد والا فراكع
جواسيس للأعداء عون وساعد	ولكن علينا اعين وطلائع
سماسرة هذا يساوم شاريا	وهذاك في سوق السياسة بائع
وهذا يمضى بالأرائك نفسه	وهذا في ظل الارائك قابع
فما كل من ضحى إلى المجد طامع	وما كل من صلى إلى الله ضارع
كفاحهم فعل مضى فهو ناقص	وأما كفاح الشعب فعل مضارع

فيا ويلهم ان يحكم الشعب نفسه	وان كشفت يوم الحساب المراجع
سيلقون عند الكادحين جزاءهم	متى ازدحمت بالكادحين الشوارع

عجبت لحكم لا يمثل اهله	فيرهقهم قسرا اذا لم يطاوعوا
اذا الحكم لم يأخذ بتمثيل شعبه	فذلك في ثدى الاجانب راضع
وان لم يكن حكم البلاد مؤيدا	من الشعب اطلاقا فما هو نافع
وان لم يكن للشعب حق يناله	فلا هو محكوم ولا هو خاضع

الأشد ما نلقى اذا لم نقف لهم	صناديد دون الحق لا تراجع
يريدون تكميم الاسود بغايبها	لتتق في غاب الاسود الضفادع
اعدوا لنا شتى السلاح وفاتهم	بأن سلاح الحق لا يتقارع

لنا في ظلام السجن تسبيح ناسك	وما السجن الا الكفاح صوامع
دعوهم يعدون السجن فأننا	على الحق ان الحق كالسيف قاطع
متى آمن الشعب المجد بحقه	فكل جعيم النعيم مراتع
اذا هبت الثورة يوما فكلنا	سلاح وكل الثائرين مقاطع

فيا شعب وادى النيل حقك ضائع	اذا لم تقف دون الحقوق تصارع
صراعا يرى المستعمرون مضاه	عليهم جعيما تصطليه المضاجع
تحرك مليا ايها الشعب نحوها	فليس الأماني دونها البون شاسع

نحرر من الحرمان والجهل والظنى
نحرك فقد لاح الصبحاح بنوره
نحرك ففى ركب التقدم منقذ
نحرك وأكسرهما القيود فأفهما
وحسبك غبنا انك اليوم جائع
وها نوره فى (جبهة الشعب) ساطع
وفيه لاعداء الشعوب مصارع
سلاسل رق حضمت وذرائع

فليس الكفاح الحق تأليف خطبة
ولكنه سجن ونفى وشدة
فما كل ذى درع من الطعن سالم
وليست حياة المرء الاوديعة
وما هو نظم فى الحماسة رائع
وضرب وحرب تصطلى ومواقع
وما كل من ينجو من الطعن دارع
ولا بد يوما ان ترد الودائع

يا زعيم البلاد

وضح الصبح جهرة للعيان ..
واختفى من صفوفنا كل رعديد
وقف المؤمنون بالله حقاً
كافحوا الغاصبين لما أهابت
يخافوا الرصاص دون أمانهم
واحدا اثر واحد أودعوا السجن
والطفاة الطغاة ارهبهم حتى
عذبوهم ، جوعوهم ، فويل
وضعوا فوق رأس كل سجين

فرأينا الرجال في الميدان
ضعيف ، وفتر كل جبان
وانزوى المؤمنون بالاوثان
بقواهم ضريبة الاوطان
ولم يرهبوا قوى السجن
فما زادهم سوى إيمان
زئير الاسود في القضبان
لهم من تمرد الجوعان
تاج فخر سماء على التجان

العذاب المرير شنته الظالم
كلما اشتط في العذاب رأينا
واذا ضمت السجون بريثا

لما يـئـوء بالخسران
هزيلا معذب الوجـدان
فالذي يحكم البلاد الجاني

وضح الصبح جهرة للعيان
المواثيق لم تعد تتمشى
والاباطيل لم تعد تتنافى

ورأت « مصر » محنة السودان
مع باغ يشتط في العدوان
مع ما يدعيه من بهتان

من رسول إلى الكنانة أنبها
لورأنا نقول مصر تأذى
لم يحد حجة سوى البطش
كلما قالت الوشائج شعب

بكيد الدخيل للأوطان ؟
وتحدى القلوب بالسلطان
بالاحرار او منطلقا سوى الطغيان
واحد ، قال : اتنا شعبان

يا شعب

أين الطغاة الكاذبون
واين اذئاب الطغاة
والكافرون بشعبهم
قولوا لهم ان كنتم
قد انزل الله السكينة
ليصروا الحق المبين
لعلهم يترجعون
الخارجون المارقون
عند الجهاد منافقين
في قلوب المؤمنين

الشعب ها هو رابض
والشعب ها هو هاتف
قد قاطع الجمعية
آلى واقسم ان يحطمها
مستبسل يحمى العرينا
بحقوقه لئلا تسمعونا
العرجاء بل حلف اليمين
ولو يلقي المنونا

يا ايها المستعمرون
تالله هذا الشعب
لن تفلحوا ان تحذرونا
شردونا عذبونا
بل حاربونا كيفما
انا ندين بحقنا !
الجائرون الغاصبون
مظلوم وانتم ظالمونا
لا امنوا ولما ترهبونا
وامنوا منا السجونا
شئتم والا فاقتلونا
افليس هذا الحق ديننا ؟

يا شعب كن حربا على
يا شعب خذ حقك لا
يا شعب كن صعبا على
لا تطلبن معيهم
يا شعب واهتف غاضبا
الباطل حتى لا يكونا
تطلبه حتى لا تمونا
الأعداء حتى لا تلبنا
واطلب من الله المعينا
فليسقط المستعمرون

يا شعب بل كانت قرونا	خمسون عاما قد خلت
كالطير ذ هجر الوكونا	قد كنت فيها هائما
ظل القصور منعينا	وتفيا الغرباء في
لم تبكن فيه قطينا	فكأئما السودان ربع
استنزفو منك الشئونا	الفقر والجهل الوخيم
استنفدا منك المعينا	والعري والمرض العضال
كى يعيشو أميننا	غدروك فامتصوا دماءك
لين ابدنهم رهينا	ولى متى يا شعب تعين

تئن بالشكوى انينا	خمسون عاما، حلفتك
وابقت الداء الدفينا	سببتك بعماء الخيانة
تندرف الدمع السخينا	حرماتك تقرير مصير

للألى يستردونا	يا شعب لا تترك زمامك
فلا تكن فرسا حرونا	ان القيادة فى يديك
تنظر شمالا او يمينا	سرخو هداك لا
يعتسى عيون السائين	حتى ترى النور الذى

فى السلاح مدججونا	يا شعب جلادوك هاهم
للغذاء مصمدين	لم يكفهما انا تكافح
فى الدماء مضسرجينا	جاءوا الينا كى يرونا
كما يشاء الحاكمونا	فليسفكوا دمننا الزكى
كفاحنا لن نستعيد	سنظل احمرارا بغير

وان تعيش مع الدنيا	يا شعب دونك ان تموت
أنفسهم فكانوا خالدينا	سسموا الوادى النيل

يا شعب ن لم تطلب الأوضاح كنت بها قمينا
من يطلب الحرية الخمراء يفتحهم اخصونا
فامهر بلادك بالدم القماني ولا تحشى المنسوف

باقعة الوادى

انظم سرى المعانى من امانينا
واسبح مع الشعر فى علياء جنته
وصنع لنا باقة منه يقدمها
قلت اسمعوا فما يجديكم كلمى
قد صار ذكرهما يدوى بكل فم
انشودة الحب غتها حواضرنا
يابن الخليفة، يابن الملك، آن لنا
هذا هو الشعب يمشى فى ركابكما
قد ودعوكم فما عادت قلوبهم
وعاهدوكم فما خنتم عهودهم
اسمعتما صوتنا للعالمين كما
من اين يدري (جروميكو) وشيعته
شددتما عضد اسماعيل بل لقد
القمتمما حجرا وفد العدى فغدوا
(مهلا بنى عمنا مهلا موالينا
سرنا مع الشرق شرقا غير انكم
هل طرتم لتقولوا ان راىكم
ام رحتم تدعون الملك يستدكم
قد فر شيطانكم لما بدا (عمر)
لو كان للملك ارثا كنت صاحبه

واطرب لها اليوم تغريدا وتلحيننا
واقطف لنا من رياض الشعر نسرينا
للوافدين وباسم الشعب واديننا
وان اتيتكم بالنجم موزونا
أنشودة هى أسمى من معانينا
فرجعتها باخلاص بواديننا
اليوم نفدى وفاء من مفديننا
جيشا تقودانه يغزو المياديننا
حتى رجعتهم لهم امنا وتحصينا
حتى طلعتهم لهم كالسعد ميمونا
باركتما وفدنا معنا وتضمننا
لولاكم اننا نحيا مساجيننا
قويتما صاحبه الغسر الميامينا
بكما يلقنهم (جونبول) تلقينا
لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا
سرتم مع الغرب غربا كى نخونونا
كان السد يد وراى الشرق مأفونا
وفد الدخيل واطماع المفضلينا
كالنجم يبرجم بالحق الشياطينا
وكنت يا عمر الفاروق مأمونا

مندوب روسيا فى مجلس الامن يشير إلى الانفصالينا

صدفت من اجل شعب النيل عن عرض الدنيا ولو رمته اصبحت «قارونا»
لا خير في ملك تسرى ارادته فينا وكان عليه التاج مرهونا
لم نسمع الدهر بالتيجان تصنع من احجار تاج يحل رأس «نيرونا»
التاج ما لم يضعه الشعب منقصة والحكم كان برغم الشعب أتونا

قل للألى حسبوا انا نسام متى حل الرقيق لكم حتى تسومونا
انتم ضحايا امانى الانكليز فلا تقدمونا لغزائكم قرايينا
الانكليز عرفناهم ونعرفكم كالذئب غدرا وكالحرباء تلويينا
لئن شكونا لهل فصل الجنوب راوا ان ينشبوا رهبا اظفارهم فينا
وان رأونا نصلى فى الجنوب على مرأى من الناس ، ويل للمصلينا
او قلدونا وساما كان قصدهم ان نستكين وان نحني نواصينا
وان افاعوا علينا من مناصبهم قد سخرونا على ويلات اهلينا
فلا يكفون اغلالا بارجلنا الا اذا احكموا تقييد ايدينا
حرية عن السكسون نعرفها فقد سمعنا صداها فى فلسطينا
قد قسمونا كما شئت ارادتهم وفرقونا فلم تعمّر مغائينا

يابن الخليفة شعب النيل قاطبة قد عاهد الله الا يرتضى الهوانا
وعاهد النيل واسماعيل قائده ألا يملأء دون الحق (سكسونا)
فلتحى وحدة وادى النيل تخرجهم عنا فيحيا مع الاحياء واديننا
تلكم مبادؤنا ان مسها عطب متنا اذن قبل ان تفنى مبادينا
الشعب افضل ميزان لدعوتنا ياليتهم حكموا هذى الموازيننا
ارادة الشعب فوق الحاكمين أجل بل انها السيف ذو الحدين مسنوننا
سل عن اذا هابنى التاييمز ان غضبت وعن قواها فصل موسكو وبرليننا
فهى السلاح اذا صلنا بقوته نلنا الامانى واخضعنا السلاطيننا
يا وحدة اثبت التاريخ نشأتها مذعهد خوف ووذ توت عنخ آمونا
ماذا يضير الاعادى منك ويحهم ان لم تكونى لهم صابا وغسلينا

مصر هي الرأس للسودان قل لهم
هيا اقنعونا بهذا الفصل — انكم
إننا لنأخذ دور الجلاء سدى
الله اكبر قال الشعب قولتسه
يا أيها الشعب سر نحو الحياة وخض
ان كان للحق دون الموت من أثر

كلاهما وحدة جسمًا وتكوينًا
او نحن ، ان تفلحرا ، كنا بجانب
مضى اليه فما تجدى امين
لما أراد فقال الحق آمينا
خر الدماء فليس العمر مضمون
حي . والا فان لموت يسعون

سجنوك

سجنوك ما سجنوا المروءة والشهامة والإباء
سجنوك هل أعشوا عيون الحق أم حجبوا الضياء
سجنوك ما ظفروا بقلبك فهو حر كيف شاء
قلب له فوق الكواكب من أمانيه سماء
قلب يدين بوحدة الوادى ويكفر بالخفاء

× × ×

(عبدون) لا تحفل فكم فى السجن غيرك أبرياء
بالامس نالوا من ابيك وكان قطبا (للواء)
واليوم نالوا منك انت وانت داعية الجلاء

× × ×

يا أحمد قم بالرسالة أدها خير الاداء
واحمل إلى (الفاروق) من سودانه تاج الولاء

× × ×

انى سألت الانكليز متى الجلاء بلا دمءاء
قالوا منبقى ما جسر فى حوض وادى النيل ماء
ريحت تجارتهم وكان نفاقهم ثمن الشراء

× × ×

قف بى لدى عابدين لو اشفى غليلي باللقاء
وأبث لها الشوق المبرح قبلة فيها الشفاء
قدم لدى اعتبارها شعبا توثب للنداء
شعبا يرجى للضراب وللنزاع وللعداء
تشجيه جلجلة الحديد هوى وتسكره الدماء
شعب يدين بوحدة الوادى يؤمن بالجلاء

ما راى كمن سمع

يا قطب ما راى بعينه كمن سمع النداء
خطفوك ليلا هكذا اعمالهم رهمن الخفاء
أرأيت كيف الحكم فى السودان ينكره القضاء
ورأيت كيف العدل فى أرجائه عمدا يساء ؟
كيف الأسى والذل يفرضه علينا الاوصياء
قالوا نبيء نشأكم للحكم : قولكم هراء

× × ×

انى لتنهضتنا وهم قد اقمعدونا القرفصاء
سلبوا الحياة رواءها عنا وما سلبوا الشقاء
تلك السياسة طيها مكر وظاهرها رياء

× × ×

أيان حل ركايبهم فعلى المسرات العفاء
تؤذيبهم ضحككتنا ويسرهم منا البكاء
قالوا البلاد فقيرة وجيوبهم ملئت ثراء

× × ×

قد كعموا الأفواه كيلا تملأ الدنيا استياء
وتفتنوا فى القيد كيلا نذرع الارض الفضاء
وأبو علينا أنه الشاكي وصيحات الرجاء
قد أبأستنا رحمة الارض فما شأن السماء

قال في معارضى وحدة وادى النيل :

جل وادى النيل

ايها النيل المفدى أجز غسيلنا وصاا
أو فقوض عذبك الشافى وابدله سراا
أو فقف يا نيل لا طببت اظاميهم شرابا
كلما قلنا لهم ثوبوا يزيدونا ارتيابا
أتراهم يوم عقوا النيل قد فقدوا الصوابا

× × ×

حسبهم يا نيل نعمى منها العيابا
كلما أرويتهم زادوك هما واكتئابا
كيف يوفونك بال عهد الألى خانوا الكتابا
ان يكن فيهن مصيب لم يعيش الا مصابا

× × ×

لو يقل فيهم مصيب قلل خطبه لا حطابا
واذا ساءلتهم فى أمرهم حاروا جوابا
جل وادى النيل أدب مع الاسد الذئابا .

عاش وادى النيل

ها هو الشعب بالأمس قد ودع وفده
ثابت الايمان بالسودان لن ينقض عهده
رابط الجأش غداة الروح لا تثنيه شدة
قد أتاك اليوم يا عيد ليستوحيك مجده

× × ×

أنه يا عيد جاء اليوم يستعرض جنده
يوم خف الوفد كالسيف الذى فارق غمده
يوم هب الشعب لاستقلاله شيا ومرده
يوم قلنا لن يعود الوفد الا أن يرده
كم به قد سجل التاريخ للسودان جلده

× × ×

قد مضى عام به قد كان يستجمع رشده
لم يكن فى غفلة بل كانوا يبلو فيه جنده
قد أتا اليوم يا عيد لكى ينجز وعده
وبعد العدة الكبرى لكى يكسر قيده

× × ×

كل من فى القطر مغبون يعانى اليوم سده
طاويا الا اذا مرغ مثل الكلب خده
فأذا ما صاح فى وجه الطغاة المستبده
جائع مترفع يشكو إلى الحاكم وجده
قال حذوه فكان السجن والتشريد حده

× × ×

هاهو الكاتب فى مكتبه يندب جده

قد رأى الغاصب يستترفه جهدا وجهده
ولديه من نعيم العيش ما يعيبك سرده
فاذا ما قال انصفنى غدا التنكيل رده
غضبوا منه وقالوا انه جاوز حـده

× × ×

ها هو الزارع لا يجنى برغم الكد كده
حظه الاشواك ثم الشهد فلا يطعم شده
حسبة البؤس الذى اضناه عدوانا وهده
يحصد العمر اجيرا انما يجهل حصده
فاذا قلنا لهم اعطوه كى يتقده ولده
غالطوا فى اجره قالوا لنا لا شىء عنده

× × ×

ها هو العامل منهوك تخال الشن جلده
يتفانى كلما أغروه كى يبذل جهده
فاذا ما طلب القوت الذى يكفل زنده
أعرضوا عنه وخلوه يعانى الموت وحده

× × ×

أن يك الغاصب قبل اليوم ظن الشعب عبده
فاستغل الجهل عونا واستباح الفقر عبده
وأذاق الشعب صلبا وهو يستجديه رفده
وأذل النيل بالقوة كى يحتل ورده
قل له قد هب وادى النيل لا يألوك جهده
ثم آلى ان يرد اليوم للغاصب كـبده
ها هو النيل المفدى ظل يستنجد أسده
ها هى القوة تغلى فى دم السودان وحده
ها هى النيران تجتاح الألى ييغون وأده

ها هي الثورة كالبركان تدوى بل أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب الزاري عرفنا اليوم قصده
فليشرد من يشاء هيئات نبدي اليوم رعه
ومحالا ان يضل الشعب او يفرط عقده

× × ×

انه الغاصب كالخرباء قد غير برده
يظهر اليوم المحبة انما يبطن حقه
قد رأنا عصبه في وجهه كالصخر صلده
فاتبرى يطلب من أسناده عوننا ونجده
واختفى من خلفهم كالذئب اذ يطلب صيده
فأتى بالمجلس الزائف يستجدي الموده

× × ×

انه سخرية الاجيال اما شئت نقسه
ليس هذا مجلس بل انه بوق (الاجنده)
فاذا قلنا ضعيف لن يحل الدهر عقده
يدعى الحاكم ان الشعب لم يبلغ أشده

× × ×

خاب سعي الغاصب عرفنا اليوم قصده
لن يقوم المجلس الزائف فلنخط لحده
قسما بالله لا حرية للشعب بعده
يسقط المجلس ترياق الطغاة المهتبه
وليعيش سوداننا حرا وعاش النيل وحده

لبیک مؤتمر السودان

الشرق يا عيد أدناه واقصاه
انظر اليه اسيرا في مرابضه
الغرب كان له ينقاد ممتثلا
فله يا عيد عن سلطان دولته
اين التقى والنهى منا واين هدى
اين الخلائف المسلمون واين
اين الكماة الا اين الحماة فقد
عهد به سطر التاريخ صفحته
بنو أمية قد شادوا دعائمه
عهد غبرناه لا ننك نذكره

عيد الفداء الأ لولا الفداء لما
سجبة أدرك (ابراهيم) قيمتها
وكبر الله لم يحفل بفلذته
ويح الخليل وقد دان الذبيح له؟
درس بليغ اذا ما شئت تضحية
التضحيات عماد الشرق قاطبة
لو كان واصلها ما اندك تالده

تنزل الشرق من عليائه فكبا
وهادن الغرب لم يدرك مطامعه
فاعجبت الليث فلاة بان يصحبه
وصار يحرسه خوفا ليطعمه

مذيع اخراء تضليلا بذنياه
والغرب قد لمعت بالغدر عيناه
ذئبا يراوغه فاحتل مغنايه
من الفتسات اذا ما قال أواه

الليث من حوله القضبان مائله
 وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى
 بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا
 أغرى اليهود فقال القدس موطنهم
 (صهيون) ضرب من استعمار فخذوا
 هيا بنى العرب فلنجمع كتابنا
 ما كان للذئب رغم الضعف يخشاه
 عن النهوض فئات العيش أغناه؟
 واليوم يرهقه (ترومن) بمسماه
 لاموطن العرب واستعدى رعاياه
 بناصر الشرق أن الغرب آذاه
 صفاء وإلا غدونا من ضحاياها

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته
 وجرد السيف واستعدى الكماة على
 وسار مؤتمر السودان سيلحق
 ليبيك مؤتمر السودان امض بنا
 فمن سواك أصغى الشعب الكريم له
 البرلمان رفعت اليوم رايته
 لولاك ما نهض السودان متحدا
 لولا جهادك كان اليأس اقعدنا
 وساو متنا ذئاب لا ضمير لها
 قضية النيل قد فصلتها فغدت
 فلن ترى النيل اشلاء ممزقة
 وخاصمت نومها في الليل عيناه
 صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
 بالركب الجليل الا فالشرق نأذاه
 إلى كفاح بنو السودان تمواه
 ومن عدالك سواد الشعب لباه
 على البلاد وهذا ما تمنناه
 او ما تنفس عما بات يلقاه
 وارغمونا على وضع أيدينا
 وناب عنا دعى ما أنبناه
 حقا يمزق للماجور دعواه
 الا اذا غدير السكسون بجراه

ليبيك مؤتمر السودان امض بنا
 من خلفك الشعب ان شئت القدا
 ما انت الا لسان الحال انت له
 إلى الكفاح بنو السودان تمواه
 وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
 السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه

الليث من حوله القضبان مائله
 وارحمتاه سلو الشرق المهيض ترى
 بالأمس عانى ضنى جونبول منفردا
 أغرى اليهود فقال القدس موطنهم
 (صهيون) ضرب من استعمار فخذوا
 هيا بنى العرب فلنجمع كتابنا
 ما كان للذئب رغم الضعف يخشاه
 عن النهوض فئات العيش أغناه؟
 واليوم يرهقه (ترومن) بمسماه
 لاموطن العرب واستعدى رعاياه
 بناصر الشرق أن الغرب آذاه
 صفأ وإلا غدونا من ضحاياها

ها قد صحا الشرق مأخوذا بعزته
 وجرد السيف واستعدى الكماة على
 وسار مؤتمر السودان سيلحق
 لييك مؤتمر السودان امض بنا
 فمن سواك أصغى الشعب الكريم له
 البرلمان رفعت اليوم رايته
 لولاك ما نهض السودان متحدا
 لولا جهادك كان اليأس اقعدنا
 وساو متنا ذئاب لا ضمير لها
 قضية النيل قد فصلتها فغدت
 فلن ترى النيل اشلاء ممزقة
 وخاصمت نومها في الليل عيناه
 صهيون حتى يقولوا اليوم ويلاه
 بالركب الجليل الا فالشرق نأذاه
 إلى كفاح بنو السودان تمواه
 ومن عدالك سواد الشعب لباه
 على البلاد وهذا ما تمنناه
 او ما تنفس عما بات يلقاه
 وارغمونا على وضع أبنائه
 وذاب عنا دعى ما أنبناه
 حقا يمزق للماجور دعواه
 الا اذا غدير السكسون مجراه

لييك مؤتمر السودان امض بنا
 من خلقتك الشعب ان شئت الفدا
 ما انت الا لسان الحال انت له
 إلى الكفاح بنو السودان تمواه
 وان شئت الدماء فانت اليوم ترعاه
 السيف الوحيد الذى لم يبق إلاه